بسم الله الرحمن الرحيم

عدد خاص بالبقيع

ميقات الحج

العدد: ٥٤

محرّم الحرام ١٤٤٣ هـ

السنة : ٣٨

Issn : 2538 - 1733

مجلة علميّة تخصصيّة نصف سنويّة تعنى بالشؤون الثقافية والتّاريخية والسياسية والاجتماعية للحجّ

هيْئةُ التَّحْريـر:

الشيخ محمد جواد الفاضل اللنكراني

الشيخ محمد القايني

الشيخ محمدهادي اليوسفي الغروي

الشيخ رضا المختاري

المُـديـرُ المسؤُول:

السيّد عبدالفـتّـاح نـوّاب

مُـديـرُ التحْـرِير:

الشيخ محمدعلي المقدادي

الفهرس:

حوارٌ مع السيّد عبد الفتّاح نـوّاب ممثّل الوليّ الفقيه في شؤون الحجّ والزّيارة و أمير الحاج ٥

حوارٌ مع رئيس معهد الحجّ و الزيارة د. علي أكبر ضيائي ٩

بناء الأضرحة و الأروقة لقبور الأنبياء و الأولياء و الأئمة عليهم السلام ١٥
الشيخ محمد القايني

ردود الأفعال إزاء هدم المقابر في البقيع ٣٥
السيد علي قاضي عسكر

بقيع الغرقد ٦٩
محسن الأسدي

دور العلّامة السيّد شرف الدين العاملي وجهوده العالمية في سبيل القضاء على جريمة هدم بقاع البقيع ١٣٣
د. محمد سعيد النجاتي

دور الهويّـة الحضارية للبقيع في التراث المشترك للمسلمين ١٧٣
د. محسن الألويري

الآثار السلبية لهدم البقيع على الوحدة الإسلامية ١٧٩
د. نور الدين أبو لحية

التطوّر و التحول في بناء و إعمار البقيع وفق التقارير التاريخية ١٨٥
د. عمّار أبو طالبى

نظرة على آراء إبراهيم بن فرحون في باب الزيارة والتبرّك ١٩٩
د. مجتبى الحيدري.

إسماعيل بن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهم السلام ٢١١
محمد مهدى فقيه بحر العلوم

ملخصات انجليزيه ٢١٥

ملاحظات :

يرجى من العلماء والمحققين الأفاضل الراغبين في التعاون مع المجلة مراعاة النقاط التالية:

١. ذكر المصادر والهوامش بدقّة.

٢. أن تكـون المقالـة مكتوبـة على الآلـة الكاتبة إن أمكـن أو أن تكتب بخـط اليد على وجه واحد مـن كلّ ورقة.

٣. أن تكـون المـادّة المرسـلة للنـشر في المجلـة غير منشـورة سـابقاً وغير مرسـلة للنشر إلى مجلـة أخرى.

٤. تقـوم المجلـة بدراسـة وتقييـم البحـوث والدراسـات المقدمـة إليهـا، ولهـا الحـقّ في صياغتهـا وتعديلهـا بـما تـراه مناسـباً مـع مراعـاة المضمـون والمعنـى.

٥. يعتمد ترتيب البحوث والمقالات في المجلة على أسس فنيّة.

٦. تعتذر المجلة عن إعادة المقالات إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تنشر.

٧. المقالات والبحوث التي تنشر على صفحات المجلة تمثّل وجهات نظر كتّابها و آرائهم.

٨. ترسل جميع البحوث والمقالات على عنوان المجلة.

٩. ترحّب إدارة التحرير في مجلة «**ميقات الحج**» بملاحظات القـّراء الكرام ومقترحاتهم.

حوارٌ مع السيّد عبد الفتّاح نـوّاب

ممثّـل الوليّ الفقيه في شؤون الحجّ والزّيارة و أمير الحاج

سـلام عليكـم، شـكراً لكم على قبولكـم إجراء هـذا الحوار، بـيّن لنا مكانة البقيع في الإسـلام والتاريخ الإسلامي؟

سماحة السيد نواب ممثّل وليّ الفقيه في شؤون الحجّ والزيارة:

عليكـم السـلام ورحمـة الله وبركاته ؛ هنـاك إنجاز عظيـم حقّقه معهد الحـج والزيارة، وبالطبـع ليـس الأول من نوعـه ، فقد سـبقته أبحاث أخرى عـن البقيع في المـاضي أيضاً ، و سـعي العاملـين في المعهد هـو تنظيم الأبحـاث والدراسـات و تقديم انتاج قيّـم للعالم ، و نأمـل فتح آفـاق مشرقة و جديـدة وخطط تنفيذيـة لذلك.

يعتـبر البقيـع أهـمّ بقعة بعد الحـرم النبوي في المدينـة المنورة ، حيث إنـه مضجع الأئمة الميامين عليهم السلام و الأصحاب المنتجبين لنبيّ الإسـلام صلى الله عليه وآله.

لعـلّ البعـض يعتقـد أنّ مسـجد قبا يلي مسـجد النبـي صلى الله عليه وآله من حيـث المكانة السـامية، والأهميـة الرفيعـة بـين مسـاجد المدينـة ، لكـنّ البقيـع يتميـز بعـد الحـرم النبـوي من بين المراقد الشـريفة و المقابر الطاهرة بمنزلة شـامخة ، و له دور مركزي في مدينة الرسـول صلى الله عليه وآله.

مكانة البقيع عند الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله و أهل البيت عليهم السلام

ثمّة أحاديث كثيرة تشير إلى وقوف النبي صلى الله عليه وآله بجوار البقيع و تحكي حدوث واقعة مّا و الرواة كانوا يبحثون عن حضرته و وجدوه في البقيع مما نستنتج أنّ للبقيع مكانةً رفيعةً و خاصةً لدى الرسول صلى الله عليه وآله و له إهتمام بالغ بزيارته و التواجد فيه ، و كذلك الأمر بالنسبة إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام عندما نطالع سيرتهم ، نلاحظ اعتناءهم الخاص و أحياناً كان يجعلون ملتقاهم ومواعيدهم في البقيع يتواجدون هناك، رغم الأماكن الأخرى في المدينة المنورة ، و يدلّ كلّ ذلك على مدى اهتمام الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام و تثمينهم لهذه البقعة المباركة ؛ و نشهد ذلك بوضوح في عصر خاتم المرسلين و الهداة المهديين ، و كذلك كان في عصر الغيبة ، و لكنّ الظروف العسيرة ، و التشدّد إزاء هذه المقبرة الشريفة شغل بال الزائرين ، و جعل مزاراً يؤجّج قلوب المسلمين ، و صار من أكثر الأماكن ازدحاماً بعد المسجد النبوي في مدينة النبي صلى الله عليه وآله.

حضور جمع غفير لزوّار أهل السنّة في البقيع

في فترة زمنية يتصوّر البعض أنّ البقيع مزار للشيعة فحسب ، و لكن الآن نرى أهل السنّة هناك ، إن لم يكونوا أكثر من الشيعة ؛ فقد يهتمّون لزيارة البقيع بمدى اهتمام إخوانهم الشيعة ، فجمع غفير من مسلمي العالم يزورون البقيع على مدار الساعة ليلاً و نهاراً ، لذا نشعر بحاجة ماسّة لتخطيط مشروع يليق بالموضوع في مجال البحث ، و على صعيد تجديد بناء البقيع و إحياء شأنه.

نحن نلاحظ طيلة التأريخ تشدّد جامح تجاه معالم أثرية مختلفة مما أدّى إلى تدميرها، و نشهد عكس ذلك أيضاً لمدّة أخرى تنال اهتماماً يؤدي إلى إعمارها. هذا الدمار و الإعمار لا يؤثر سلبياً في مساعينا الحثيثة لإعادة بناء البقيع و إحياء قضيته ، بل علينا أن نقوم بدورنا و مهامّنا ، عسى أن يجعل الله إحياء قضية البقيع و إعادة بناءه بيدكم

أنتـم أيها الإخـوة الكرام و الباحثـين العظام باتخاذكـم خطوات عملية مثمـرة حول ذلك.

لاشـك أنّ البقيـع و معالمه، و سـيرة الأئمـة عليهم السلام و الصحابة المدفونين في هـذه الروضة الطاهـرة، و كذلك الشـخصيات البـارزة فيه، كلّ ذلك يطالب مشروعـاً خاصاً و عملاقاً في البقيـع، حيـث إنّ بعـض الراقدين فيه شـخصيات فذة فريدة في تاريخ الإسـلام.

نطمـح تقريب الأفكار و الـرؤى، و رفـع الاختلافات المطروحـة و معالجتها، و نجد في المملكـة السـعودية وثائـق معروضـة أمـام مرئـى الجميـع، لنـرى في البقيع حرمـاً مثل حـرم الإمام أمير المؤمنـين عـلي عليه السلام في النجـف الأشرف، و الإمـام الحسـين في كربلا...

و لكن علينا أن نردّ الشـبهات بفضل الأبحاث القيّـمة و الدراسـات العلميّـة لأجل أن نزيـل الغمـوض عـن بعض زوايـا التاريخ من زلّات أو شـبهات.

و مـع الأسـف الشـديد، لقـد خربـوا أماكـن و معالم كثـيرة، و قامـوا بتعتيمهـا كي لا يعـرف المسـلمون و جميـع النـاس عنها، و يمـرّ الناس مـن جوارها مـرور الكـرام؛ و من هـذا المنطلق نستحسـن بتأكيد كشـف معالم البقيع ممّـا كان و يكـون و إعادة بنـاءه، و نودّ أن نـرى نتاجـات نافعـة و قويّـة في هـذا المعهـد، و إنجـازات و أبحاث و دراسـات حول ذلك...

حوارٌ مع رئيس معهد الحجّ و الزيارة

د. علي أكبر ضيائي (قم المقدّسة)

سؤال : ما هو المطلوب لمعالجة قضايا التراث الإسلامي ، خاصّة البقيع ، في المجتمع المعاصر؟

جواب : يعتبر القرآن الكريم أنّ أجر مكافأة رسالة الرسول الكريم هي المودّة والمحبّة لأهل البيت عليهم السلام.

الآن، ونحن على أعتاب الذكرى المئوية لتدمير البقيع ، لم يتم تكريم مزار أئمة البقيع عليهم السلام و العظماء المدفونين هناك بما يناسب شأنه فحسب ، بل تمّ حرمان زائريه كما منع حضور الزائرات من دخول البقيع و زيارته.

إنّ السعي في إحياء البقيع وإعماره يصبّ في الأمر الإلهي بمودّة ذوي القربى و مصدر لطهارة الفرد و المجتمع و تزكيتهما.

و يعتبر القرآن الكريم أيضاً أنّ تشييد مبنى خالد على مرقد أصحاب الكهف صفةً للمتدينين ، و يذكر رجلين إلهيين تقديراً لصلاح و سداد والد ، أعادوا جدار بيته حفاظاً على كنز أطفاله اليتامى.

من المؤكّد أنّ الحفاظ على أضرحة و بيوت رسول الله صلى الله عليه وآله و أهل البيت عليهم السلام

و رعايتها ، هـو أعظم شـأناً من إقامة جـدار رجل صالح بـارّ ، و مصـدراً للقرب الإلهي. لأنـه يجمـع قلوب عشّـاق أهل البيت عليهم السلام سـويّاً ، كـما تطلعهم على حقوقهـم و منزلتهم، و تتيـح فرصـة الاقتـداء بهم مما يعـود لكافّـة النـاس ببركة الإقتـداء بالإسـلام الأصيل.

إنّ غربـة البقيـع و الأضرحـة و الآثار الإسـلامية الأخرى التي تـمّ تدميرها ، و كذلك الوضـع الحالي للسياسـة السـعودية ضمن النهـج الليبرالي الـذي يولي القليل مـن الاهتمام للحساسـيات الدينيـة و اسـتعادة الآثار القديمة للبلاد و يولي الاهتمام للسـياحة في سـياق رؤيـة ٢٠٣٠م ، يضاعـف الحاجـة إلى الطلب العالمـي والوطني لمتابعة ترميـم و إعادة بناء هذه المقابر المقدسـة.

إنّ ايجـاد طلـبٍ عالمـيٍ عـلى إعـادة إعـمار البقيـع كنصـب تاريخـي و الاعـتراف بحـقّ الحجّـاج و السـيّاح في الزيـارة مـن منظـور الخطـاب الـدولي ، و هـذا الخطـاب يمكن أن يمهّـد الطريـق لإحيـاء البقيع.

و عليـه ، فـإنّ إسـتراتيجية المطالبـة بإعـادة إعـمار البقيـع بنفـس الخصائـص التـي كانـت عليهـا ، وضـع ضمـن جـدول أعـمال معهـد الحـجّ والزيـارة. و بدعـم قـوي من حجة الإسـلام والمسـلمين السـيد نوّاب ممثّل الولي الفقيه في شـؤون الحجّ والزيارة و بناءاً عـلى اقـتراح مـن رئيس معهـد الحجّ والزيـارة تمّ تأسـيس وحدة بحـوث البقيـع في المركز لتنظيـم أنشـطة بحثية حـول البقيع.

سـؤال : ماهـي الأنشـطة التـي قامـت بهـا وحـدة دراسـات البقيـع في مركـز الحـجّ و الزيـارة للبحـوث و الدراسـات في هـذا المجـال حتـى الآن؟

جـواب : تتمثّـل مهمّة هذه الوحدة في العمل المؤسـسي ، و هدفها الرئيس هو التنسـيق بـين مختلـف الجهود لإحيـاء البقيع طبقـاً لإيمان الإيرانيين والمسـلمين في جميـع أنحاء العالم و إعـادة بناء الأضرحة المقدسـة عبر الجهود الثقافية والدبلوماسـية.

تتركـز أنشـطة هذه الوحـدة عـلى مواصلة التخطيـط لجمـع الوثائق و تقديـم مجموعة

وثائـق البقيـع ، ومحاولـة نـشر الانجـازات العلميـة و الأدبيـة حـول البقيـع ، و العمل في الشـبكات الافتراضيـة حـول البقيـع ، و محاولـة إنتاج أعـمال فنية و علمية حـول موضوع البقيع .

في العديـد مـن اللقاءات مع النشـطاء في هـذا المجال ، تـمّ إدراج اقـتراح عقد الذكرى المئويـة لهدم مقابـر البقيع على جـدول الأعمال.

و نظـراً لأهميتهـا ، تـمّ النظـر في هـذه المسـألة نظـرة شـاملة و تـمّ إعداد خطة واسـعة لسـدّ الثغـرات العلميـة و البحثيـة و القانونيـة و الفنية.

و بعـد تقديمهـا لممثّـل وليّ الفقيـه في شـؤون الحـجّ والزيـارة ، سـيركز هـذا المؤتمـر و بمحوريـة البعثة على تعـاون جميع المؤسسـات و المنظمات ذات الصلـة و مكاتب مراجع الديـن العظام و المراكز العلمية و البحثية و لجان الشـعبية العامّـة في بُعدين العلمي و الفني لتدخّل حيّـز التنفيذ.

يحـضر المؤتمـر مفكّـرون مسـلمون محبّـون لأهـل البيـت عليهم السلام و مـن مختلـف الطوائف الإسـلامية ، و يوفّـر فرصـة تاريخيـة لإحيـاء البقيـع و تكريـم مدافـن أئمة البقيـع عليهم السلام و إحيـاء ذكـرى اضطهادهـم.

في هـذه الخطـة التـي سـتكون في مختلـف الأبعـاد التاريخيـة و القانونيـة و السياسـية و الفنيـة و الإعلاميـة ، حتـى يوجـد طلـب عالمـي لقضيـة إعـمار البقيـع.

و نظـراً لعظمـة و سـعة هـذا المؤتمـر و أبعـاده المختلفـة ، فـإنّ مسـؤوليته و ميزانيتـه سـتكون خـارج حـدود المركـز و سـيعقد بمشـاركة مكتـب ممثّـل الـوليّ الفقيه في شـؤون الحـجّ و الزيـارة و جميـع الجهـات و المؤسسـات الحكوميـة و الشـعبية.

و في هـذا الصـدد قـدم معهـد بحـوث الحـجّ و الزيـارة خـلال هـذا المشـروع ، عقـد اجتماعـات علميـة موسـمية و مؤتمـرات سـنوية و مهرجانـات فنّيـة و محـاضرات سـنوية و مجالـس العزاء في شـكل أنشـطة تمهيديـة للمؤتمر الـدولي بمناسـبة الذكـرى المئوية لهدم

البقيـع و إعـادة بنائـه باعتبـاره (جَنّةُ البقيـع مَضجعُ الأئمـة عليهم السلام والأصحاب). بالتنسـيق مـع الأمانـة العامّة لمؤتمـر الذكـرى المئوية.

و تواصـل بإقامـة احتفالات سـنوية للبقيـع و الأضرحة الأخـرى التي تـمّ تخريبها في الحرمـين الشريفين.

و في هذا الصدد قامت بالأنشطة التالية:

ـ تصميـم و تقديـم خطّة المؤتمـر الدولي للذكـرى المئوية لتدمير البقيـع و المطالبة بإعادة بنائهـا ، بعـد عرض الخطـة على أسـاتذة الجامعات و كبار الحـوزة العلمية ، و هم: الشـيخ رضـا الأسـتادي ، والشـيخ جـواد المروي ، والشـيخ اليوسـفي الغـروي ، والشـيخ رضا المختاري ، والشـيخ نجم الدين الطبسي ، والشـيخ محمدعلي المقدادي ، والشـيخ فرمانيان.

ـ افتتـاح موقـع جَنَّـة البقيـع في بوابة معهد الحـجّ والزيـارة كموقع إعلامي للأنشـطة البحثيـة للبقيـع و للتفاعـل و التعامل بـين المثقفين و الجمهـور المهتمّ بالبقيـع حتى يتمكن مـن الحـدّ من مظلوميـة البقيع و غربتـه في العـالم الإفتراضي.

ـ إطـلاق موقـع مسـتقل للبقيع يسـتقطب هـذا الموقع جميع عشّـاق البقيـع من مختلف المجـالات ، بالإضافـة إلى قاعـدة بيانـات علميـة حـول البقيـع ، بـما في ذلـك الوثائـق و المقـالات و مراجـع البقيـع للعمـل في الإعـلام و الصحافـة و الأخبـار عـن البقيـع.

ـ إطـلاق قنـاة و مجموعة التعـرّف على البقيـع في مواقـع التواصـل الاجتماعي كتطبيق (بله) و (التلغرام) و (الانسـتغرام) و (الواتسـاب).

ـ إعـداد نظـام دعم و قائمـة بأولويات البحـث لدراسـات البقيع و عرضهـا في الموقع الالكـتروني مـن خـلال قضـاء مـا يقـرب مـن خمسـمئة سـاعة و التشـاور مع الخـبراء في مختلـف المجـالات السياسـية و الاجتماعيـة و الفقهيـة و الكلامية و التاريخيـة و...

ـ قـد تمّ إعـداد هذه اللائحـة بالتعاون مع جمعية التراث الإسـلامي و تـمّ عرضها على موقـع «جَنَّة البقيع».

ـ عقـد الندوة الاستشـارية الأولى لباحثي البقيع و بحضـور مجموعات مختلفة و تحميل نصّ محادثاتها عـلى الموقع.

ـ تنظيـم عـدّة اجتماعـات لمجلـس البقيـع و بحضور متخصصـين و خـبراء و مراجعة المسـائل المطلوبـة للبقيع.

ـ توقيع مذكّرة تفاهم مع ثلاث لجان شعبية حول البقيع.

سؤال : ما هي الخطوات و الاجراءات المستقبلية حول البقيع؟

جواب :

– تفعيل مؤتمر الذكرى المئوية لهدم البقيع في الجانبين: البحثي والفني.

– إقامة المؤتمر السنوي في الثامن من شوال.

– إطلاق موقع البقيع الشامل.

– زيـادة التنسـيق بـين المنظـمات و المجموعات الشـعبية غـير الحكومية بما يتماشـى مع الأهـداف المعلنة.

بناء الأضرحة و الأروقة لقبور الأنبياء و الأولياء و الأئمة عليهم السلام

الشيخ محمد القايني.[1]

ملخّص البحث :

في مجال بناء الأضرحة والأروقة حول قبور الأولياء واستحبابه والترغيب فيه ، و الردّ على من يزعم حرمة ذلك ، بل الزاعم يتجاوز ذلك و يدّعي أنه من وجوه الشرك ، اغتراراً ببعض النصوص التي ما وعاها ، و جهلاً بما زعمه علماً و هبّ على أثره على آثار الصالحين ، فهدمها و جرى على قبور الأولياء و خرّبها جارياً على منهاج أسلافه ممّن هدموا قبر سيد الشهداء عليه السلام وحرشوا به و أجروا الماء عليه حتى لايبقى أثر لذلك الحائر و أرادوا بحرث قبره الشريف إعفاء و ملامحة بعد أن أجرى سلفهم على جسده الشريف الخيل و الحوافر يريدون محو جسده بعد قتله و لما لم يكن أراد الخلف محو أثره و معالم قبره ، و هذا أيضاً لايكون لأنّهم يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ

---

١. أستاذ دروس خارج الفقه والأصول في الحوزة العلمية (قم المقدّسة) .

﴿بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.[1]

و لعمري إنّهم يريدون لذلك إمحاء ذكر الله فإنّ أولياء الله يذكّرون بالله و لذكر الله أكبر من أن يمحى ، فإنه ثابت في قلوب المؤمنين و لايزيد الظالمين فعلهم إلّا خساراً.

الكلمات المفتاحية:

البقيع ، بناء القبور ، التسطيح ، التسنيم ، الأضرحة و القُبب ، الإسراج.

***

الغرض من التعرض لهذا المطلب مع ما سبق من أهل الفضل في هذا المجال هو بيان بعض ما يخطر بالبال فيما يتعلق بما يتشدق به البعض من الشبهات و يجري على بعض الأفواه من التسويلات لئلا يضلّ بها غيرهم وعسى أن يرعوي عنها قائلها إن لم يكن ممن جحدوا و استيقنتها أنفسهم و من الله استمد العون و عليه التكلان.

فأقول بعد كلّ هذا : إنّ البناء حول قبور الأولياء ليس في نفسه عمل محظور يحكم العقل بقبحه كالظلم ولا هو اتخاذ أصحاب القبور آلهة يعبدون من دون الله و إنّما غايته تعظيمهم واحترامهم كما يعظّم الناس كبرائهم و هم أحياء فليس التعظيم بعد الموت إلّا كالتعظيم حال الحياة.

أفهل يتوهم أنّ تعظيم الأحياء بتقبيل أياديهم و القيام لهم و تبجيلهم بل و الانحناء لهم يكون شركاً و عبادة لغير الله فكيف يتحوّل هذا الاحترام بعد الموت كفراً و شركاً و عبادة لغيرالله؟!

---

١. سورة التوبة : ٣٢ .

فيا ترى أنّ من يعظّم رسول الله ﷺ بزيارة قبره و الوقوف عنده مسلّماً عليه مخاطباً إياه بأنه عبد الله و رسوله ، و أنه أدّى الرسالة بالحكمة و الموعظة الحسنة ثمّ يتشهد في صلوات يومه تسع مرّات على الأقل بقوله: و أشهد أنّ محمداً عبده و رسوله ؛ أ هذا المسلم يتخذ رسول الله ﷺ فضلاً عن غيره من أهل بيته عليهم السلام أو أحفاده أو أتباعه من الأولياء إلهاً معبوداً من دون الله أو يشركه بالله في الألوهية أو الربوبية؟!

و لعمري إنه ليس للجهل غاية و لا للعناد حدّ ، و البناء حول قبر رسول الله ﷺ و الحضور عنده و كذا البناء و الحضور عند سائر قبور الأولياء لا ينقص و لايزيد إلّا تعظيماً لله و لشعائره و حرماته. ﴿**ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾، أ ترى أنّ قبر رسول الله ﷺ و جسده الشريف يقل عن أن يكون شعيرة من شعائر الله، و الشعيرة هي العلامة و أيّ علامة على الله أعظم من رسول الله ﷺ أو أهل بيت رسول الله ﷺ

بل العلماء و الشهداء و الصالحون كلّهم من شعائر الله ؛ فكلّ مَن يذكّر بالله ذكره ، يعدّ من شعائر الله و من يعظمه فإنه تعظيم لله و لشعائره.

و هناك بعض النصوص يتشبّث به المخالف و يتذرع إليه ، فلنتعرض له حتى يرى الإنسان المنصف أنه لايقوى على إثبات الدعوى ، و لا يثبت به المقالة فضلاً عن أن يستباح به دماء المسلمين و تهتك أعراضهم و تستحلّ أموالهم.

و ينبغي قبل هذا أن أُنبّه على قضيّة مهمّة و هي أنّ بعض المسلمين لايرى لغيره أية حرمة و لا لعقيدة غيره أيّ اعتبار مع أن غاية ما عنده أنه لم يثبت له ما ثبت لغيره إن لم يكن ممن جحده بعد الاستيقان و أنكره عن عناد.

فمن لم يثبت عنده شيء لايحل له الإنكار و لا يجوز له الردّ و إنّما غايته أن يكون معذوراً في عدم الاعتقاد و ترك الالتزام ، و من هذا المنطلق فإنّ سائر المسلمين لايحقّ لهم إنكار ما تعتقده الشيعة أخذاً من أهل بيت الرسول الذين أُمروا بالتمسك بهم مع

القـرآن و تابعوهـم مع الكتاب ؛ و لم يعتقدوا أنّ حسـبهم كتاب الله! بل يريـدون اتباع آثار رسـول الله صلى الله عليه وآله المنتهـى إليهـم عـبر أهل بيتـه، عـلي و أولاده عليهم السلام خزنه آثار رسـول الله صلى الله عليه وآله و أبـواب علمـه إذ كان واجبـاً عليهـم بنـصّ القـرآن حيث قـال: ﴿**وَمَـا آتَاكُمُ الرَّسُـولُ فَخُـذُوهُ وَمَـا نَهَاكُـمْ عَنْهُ فَانتَهُـوا**﴾، و قد قـال صلى الله عليه وآله: «**إني تاركٌ فيكم الثقلـين كتاب الله و عـترتي أهل بيتـي ما إن تمسكم بهما لـن تضلوا**».

بـل النـاس لايعـذرون في تـرك الأخذ بروايـات أئمة أهـل البيت عليهم السلام حتى لـو أنكروا خلافتهم و إمامتهـم الخاصّة.

فيـا ترى أنّ علياً و الحسـنين يقل اعتبـار حديثهم عن حديث رسـول الله صلى الله عليه وآله و حديث غيرهم مـن الصحابه.

أو تـرى أنّ أولاد الحسـين مـن أئمـة أهل البيـت عليهم السلام يضعّف حديثهم عـن آبائهم عن النبي صلى الله عليه وآله عـن حديث التابعـين وغيرهم!

أو ترى أنّ شرط اعتبار الحديث أن لا يكون راويه من عترة النبي صلى الله عليه وآله و أهل بيته!

أو تـرى أنّ أحاديـث أصحـاب الأئمـة الثقـات ممـن يعـترف بوثاقتهـم و صدقهـم الصديـق و العـدوّ لا ينبغـي الأخـذ بهـا!

فما للحديث يؤخذ به إذا كان راويه أبوهريرة و قد روى عنه بعض التابعين.

و لا يؤخـذ بحديـث إذا كان راويـه أمير المؤمنـين علي بن أبي طالـب عليه السلام و قد روى عنه الحسـنان عليهما السلام و روى عنهـما عـلي بن الحسـين زين العابديـن عليه السلام و روى عنـه محمد بن علي الباقـر عليه السلام و روى عنـه جعفـر بن محمـد الصادق عليه السلام إلى سـائر أئمـة أهل البيت عليهم السلام و قد صرّح في بعـض النصـوص بـأنّ حديـث الأئمـة عليهم السلام هـو حديـث أبائهم حتـى ينتهي إلى رسـول الله صلى الله عليه وآله و إلـى أمين وحـي الله جبرئيل عليه السلام ثـمّ إلى الله جـلّ وعلا.

و علـى هـذا الأسـاس فلو ثبـت حديث عام عـن رسـول الله صلى الله عليه وآله و ثبـت حديث آخر خـاص لا منـاص في تخصيـص ذاك العام بالخـاص ـ كما هو الشـأن في كلّ حديثين مختلفين

بالعمـوم و الخصـوص ـ فلـو فرض أنّ مـن لا يتبع أهـل بيت النبي صلى الله عليه وآله لا يأخـذ بحديثهم لعـذر ، فليـس لشـيعة أهل البيـت أن يتركـوا أحاديـث يعتقـدون أنّها أحاديـث النبي صلى الله عليه وآله و صلتهـم عـن طريـق أهـل بيتـه عليهم السلام و لا لغيرهـم أن يمنعوهـم عـن ذلك فضـلاً عن أن يكفّروهـم أو يتهموهم بالـشرك و المعصية.

و بنـاءاً علـى هـذا ، فلـو تـمّ حديـث عـام يمنـع مـن البنـاء حـول القبـور و زيارتهـا و الشـيعة تدعـي أنّ لهـم روايـات تحثّهـم علـى بنـاء قبـور النبـي و الأئمـة و الأولياء عليهم السلام لا يجـوز لأحـد أن يلـزم الشـيعة بالأخـذ بالحديـث العـام و تـرك مخصصّـه.

هـذا بـصرف النظـر عـن أنّ الحديث العـام الـذي يدعـى دلالته علـى المنع مـن البناء حـول القبـور ، لايمكـن الاعتماد عليـه في إثبـات الدعوى لقصـوره و دلالة على تسـليم السـند بالغـضّ عـن معارضه و مخصصّـه كـما نبيّنه بتفصيـل بحـول الله و قوته.

فلنرجـع إلـى النـصّ الآنف المدعـى دلالته على المنـع من البنـاء حول القبـور و أقول في مقدمتـه أنّ الـذي يتحصّـل مـن النصّ و الفتـوى أنّ هنـاك خلافاً بين المسـلمين فيما هو السـنّة و المطلوب من كيفية بناء القبر ، و أنه التسـطيح و الربيع أو السـنام و ينبغي دراسـة النصّ في هـذا الفضاء.

قـال الشـيخ في الخـلاف: تسـطيح القـبر هـو السـنّة و تسـنيمه غير مسـنون و بـه قال الشـافعي و أصحابـه ، و قالـوا هـو المذهـب إلّا ابـن أبي هريـرة فإنه قـال: التسـنيم أحب إلي و كذلـك تـرك الجهر بـبسم الله الرحمـن الرحيم ، لأنه صار شـعار أهل البـدع ؛ و قال أبوحنيفـة و الثـوري: التسـنيم هـو السـنّة. دليلنـا: إجمـاع الفرقـة و عملهـم و رووا عـن النبـي صلى الله عليه وآله أنه سـطح قـبر إبراهيم ولـده. و روى أبوالهياج الأسـدي قال: قـال لي علي عليه السلام: «أبعثـك علـى ما بعثنـي عليه رسـول الله صلى الله عليه وآله: لا ترى قـبراً مشـرفاً إلّا سـوّيته و لا تمثالاً إلّا طمسـته».[1]

---

١. الشيخ الطوسي، الخلاف ١ : ٧٠٦ .

و قال العلّامة في المنتهى: التسطيح أفضل من التسنيم و عليه علمائنا أجمع، و به قال الشافعي؛ قال ابن أبي هريرة: السنة التسطيح إلّا أنّ الشيعة استعملته فعدلنا إلى التسنيم. قال: و كذلك الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، هذا كما تراه ترك للسنّة و مخالفة للحق.

و قال مالك و أبوحنيفه و الثوري و أحمد: السنّة التسنيم. لنا: ما رواه الجمهور عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه سطح قبر ابنه إبراهيم و عن القاسم بن محمد قال: رأيت قبر النبي صلى الله عليه وآله و قبر أبي بكر و عمر مسطحة. و من طريق الخاصة ما رواه الشيخ عن محمد من مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال: «**تربّع قبره** ...».[1] و ذكر في آخر كلامه: احتجاج أبي حنيفة بما رواه إبراهيم النخعي قال: أخبرني من رأى قبر النبي صلى الله عليه وآله و صاحبيه مسنّمة. و أجاب بأنه مرسل فلا يعتمد عليه.

بعد كلّ هذا فالنصوص الواردة في مجال بناء القبور في مصادر الفريقين هي:

١ـ عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام: «**إنّ النبي صلى الله عليه وآله نهى أن يزاد على القبر تراب لم يخرج منه...**».[2]

٢ـ عن جابر قال: «**نهى النبي صلى الله عليه وآله أن يزاد على القبر على حفيرته**».[3]

و ظاهر هذا المضمون أنه لاينبغي رفع القبر عن الأرض كثيراً، بل ينبغي الاقتصار في ارتفاع القبر من الأرض على التراب الباقي من حفره بعد طمّه و ذلك المقدار بطبيعة الحال هو بمقدار تراب اللحد أو نحوه، فلا ينبغي أن يجعل على القبر تراب يرفع القبر من الأرض كثيراً، و قد حدّ في النصوص رفع القبر من الأرض بأربع أصابع أو نحوه.

١. العلامة الحلّي، المنتهى ٧: ٣٩٥.

٢. الحرّ العاملي، وسائل الشيعة (الإسلامية) ٢: ٦٢ الباب ٣٦ من الدفن، ح ١.

٣. سنن النسائي ٤: ٨٦؛ سنن البيهقي ٣: ٤١٠ وبهذا المضمون سنن أبي داود ٣: ٢١٦ الحديث: ٣٢٢٦.

٣ـ حماد بن عثمان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**قال لي أبي ذات يوم في مرضه: يا بنيّ أدخل أناساً من قريش من أهل المدينة حتى أُشهدهم. قال: فأدخلت عليه أناساً منهم فقال: يا جعفر إذا أنا متُّ فغسلني و دفّني و ارفع قبري أربع أصابع و رشّه بالماء فلما خرجوا قلتُ: يا أبت لو أمرتني بهذا صنعته، و لم ترد أن أُدخل عليك قوماً تشهدهم؟ قال: يا بنيّ أردت أن لاتنازع**».[١]

٤ـ عن عبيدالله الحلبي و محمد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**أمرني أبي أن أجعل ارتفاع قبره أربع أصابع مفرّجات...**»، الحديث.[٢]

٥ـ قال العلاّمة: و روي أربع أصابع مضمومات. رواه الشيخ عن سماعة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**يستحب أن يدخل معه في قبره جريدة رطبة و يرفع قبره من الأرض مقدار أربع أصابع مضمومة و ينضح عليه الماء ويخلي عنه**»، و الكلّ جائز.[٣]

٦ـ قال العلاّمة يكره أن يرفع أكثر من ذلك؛ روى الجمهور عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي عليه السلام: «**لا تدع مثالاً إلّا طمسته و لا قبراً مشرفاً إلّا سوّيته**». رواه مسلم و غيره. و المشرف ما رفع كثيراً. و قيل: المراد بذلك المسنّم و تسويته تسطيحه.

٧ـ ثمّ قال العلاّمة: و من طريق الخاصة ما رواه محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام: «**و تلزق القبر بالأرض إلّا قدر أربع أصابع مفرّجات و تربع قبره**».[٤]

٨ـ و في معتبرة السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام: قال: «**قال أمير المؤمنين عليه السلام بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة فقال: لاتدع صورة إلّا محوتها و لا قبراً إلّا سوّيته و لا كلباً إلّا قتلته**».[٥]

---

١. الحرّ العاملي، وسائل الشيعة (الإسلامية) ٢: ٨٥٧ الباب ٣١ من الدفن ح٥.

٢. نفس المصدر، الحديث: ٧.

٣. العلاّمة الحلي، المنتهى ٧: ٣٩٤؛ و راجع الوسائل ٢: ٨٥٦ الباب ٣١من الدفن، ح٤.

٤. العلاّمة الحلي، المنتهى ٧: ٣٩٤.

٥. الحرّ العاملي، وسائل الشيعة (الإسلامية) ٣: ٥٦٢، الباب ٣ ح٨.

٩ـ و في معتبرة ابن القداح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**قال أمير المؤمنين عليه السلام بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله في هدم القبور و كسر الصور**».

و قد جمع في كثير من النصوص بين هدم القبور و إزالة الصور و التماثيل فلا أدري هل كانت القبور مبنية بالتماثيل بأن كانت القبور مجسّمة لتمثال عليها، كما يحكى عن بعض الملل، و يرى في زماننا أيضاً بالنسبة إلى بعض قبور الرؤساء و العظماء و الملوك و هو موجود في بعض القبور القديمة من الفراعنة و غيرهم، و ربما كان التمثال غير الآدمي من الحيوانات كالأسد و غيره، و تمثال الآدمي قد يكون للميت نفسه و قد يكون لغيره كإله فيكون رمزاً لعقيدة تنافي الديانة و التوحيد.

١٠ـ الأصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**من جدّد قبراً أو مثّل مثالاً فقد خرج من الإسلام**».[1]

قال العلّامة في المنتهى: قال سعد بن عبدالله من علمائنا: حدّد (بالحاء غير المعجمة) أي سنّم.

قال الشيخ: و اختلف أصحابنا في رواية هذا الخبر وتأويله فقال محمد بن الحسن الصفار: من جدّد (بالجيم لاغير) و كان يقول: إنه لايجوز تجديد القبر و تطيين جميعه بعد مرور الأيام عليه، و بعد ما طيّن في الأول، و لكن إن مات ميّت فطيّن قبره فجائز أن يرم سائر القبور من غير أن يجدّد.

و قال سعد بن عبدالله: من حدّد (بالحاء) على ما نقلناه و أراد به التسنيم.

و قال أحمد بن أبي عبدالله البرقي: إنما هو من جدث قبراً بالجيم و التاء المنقطة من فوقها ثلاث نقط ولم يفسر معناه.

قال الشيخ: و يمكن أن يكون المعنى بهذه الرواية النهي أن يجعل القبر دفعة أُخرى قبراً لإنسان آخر، لأنّ الجدث هو القبر، فيجوز أن يكون الفعل مأخوذاً منه.

---

١. الحرّ العاملي، وسائل الشيعة (الإسلامية) ٣: ٥٦٢، الباب ٣ من المساكن، الحديث ١٠.

و قال محمد بن علي بن الحسين بن بابويه: إنما هو جدّد (بالجيم) قال: و معناه نبش قبراً لأن من نبش قبراً فقد جدده و أحوج إلى تجديده، و قد جعله جدثاً محفوراً.

و قال المفيد رحمه الله: إنه خدّد (بالخاء المعجمة و الدالين غير المعجمين) و هو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**قُتِلَ أَصحَابُ الأُخدُود**﴾، و الخدّ هو الشق يقال: خددت الأرض خدّاً، أي شققتها. قال: و على هذه الرواية يكون النهي يتناول شقّ القبر إما ليدفن فيه أو على جهة النبش على ما ذهب إليه ابن بابويه.[1]

١١ـ و في بعض النصوص: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».[2]

و في مرسل الصدوق: قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «**لا تتخذوا قبري قبلة و لا مسجداً فإنّ الله عزّوجلّ لعن اليهود حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».[3]

و في معتبرة زرارة المروية في العلل (علل الشرايع)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلتُ له: «**الصلاة بين القبور؟ قال: بين ظلّها و لا تتخذ شيئاً منها قبلة فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن ذلك و قال: لاتتخذوا قبري قبلة ولا مسجداً فإنّ الله عزّوجلّ لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

قال صاحب الوسائل: ويحتمل أن يريد بالقبلة أن يصلي إليه من جميع الجهات كالكعبة و بالمسجد أن يصلي فوق القبر.[4]

و اتخاذ قبر النبي صلى الله عليه وآله مسجداً غير بناء القبر المشار إليه في النصوص، فإنه لا ملازمة

---

١. العلّامة الحلي، المنتهى ٧: ٣٩٦.

٢. عن مسلم (صحيح مسلم) ٢: ٦٧ و عن البخاري (صحيح البخاري) ١: ١١٠ لكن بدون ذكر النصارى.

٣. الحرّ العاملي، وسائل الشيعة (الإسلامية) ٣: ٤٥٥، الباب ٢٦ مكان المصلي.

٤. نفس المصدر، الحديث ٥.

بين الأمرين، فغاية مدلول هذا الخبر أنه لاينبغي اتخاذ قبور الأنبياء مساجد بمعنى المسجد الاصطلاحي، أعني بيوت العبادة، نحو ما ورد في سورة الكهف من قوله تعالى حكاية: ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيهِم مَسجِداً**﴾.

أو بمعنى السجود على القبر بوضع الجبين عليه.

فعلى الثاني يكون المعنى المنع من السجود على قبور الأنبياء.

و على الأول يكون المعنى المنع من اتخاذ قبور الأنبياء معابد، ببناء المسجد حول القبور؛ و هذا لا ينا في كونها مزارات.

فممّا يشهد للاحتمال الثاني: رواية محمد بن عبدالله الحميري قال: كتبتُ إلى الفقيه أسأله عن الرجل يزور قبور الأئمة هل يجوز أن يسجد على القبر أم لا؟ و هل يجوز لمن صلّى عند قبورهم أن يقوم وراء القبر و يجعل القبر قبلة و يقوم عند رأسه و رجليه؟ و هل يجوز أن يتقدم القبر و يصلي و يجعله خلفه أم لا؟

فأجاب و قرأتُ التوقيع و منه نسخت: «**و أما السجود على القبر فلا يجوز في نافلة و لا فريضة و لا زيارة، بل يضع خدّه الأيمن على القبر، و أما الصلاة فإنها خلفه و يجعله الأمام و لايجوز أن يصلي بين يديه لأنّ الإمام لا يتقدم و يصلي عن يمينه و شماله**».[1]

و في نقل أو رواية: و لا يجوز أن يصلي بين يديه و لا عن يمينه و لا عن يساره لأنّ الإمام لا يتقدم عليه و لا يساوي.

و في رواية السكوني بإسناده قال: قال رسول الله ﷺ: «**الأرض كلّها مسجد إلّا الحمّام و القبر**».[2]

و هذا الخبر يحتمل كون القبر مسجداً اصطلاحياً، كما يحتمل أن يكون المراد الصلوة

---

١. الحرّ العاملي، وسائل الشيعة (الإسلامية) ٣: ٤٥٤، الباب ٢٦ مكان المصلي.

٢. الحرّ العاملي، وسائل الشيعة (الإسلامية) ٣: ٤٢٢ الباب ١ مكان المصلي.

على القبر كما في خبر يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يصلى على قبر أو يقعه عليه أو يبنى عليه**».[1]

و ربما يشهد للاحتمال الأول ما ورد من النهي عن الصلاة في المقابر.[2]

و في موثقة عمّار عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث قال: «**سألته عن الرجل يصلي بين القبور قال: لايجوز ذلك إلّا أن يجعل بينه وبين القبور إذا صلّى عشرة أذرع من بين يديه و عشرة أذرع من خلفه و عشرة أذرع عن يمينه و عشرة أذرع عن يساره، ثمّ يصلّي إن شاء**».[3]

لكن قد ورد في نصوص استثناء قبر الرسول صلى الله عليه وآله و الأئمة عليهم السلام في ذلك و أنه لا بأس بالصلوة عند قبورهم. (راجع الباب ٢٦، مكان المصلّي في كتاب وسائل الشيعة).

و كيف كان فشيء من الرواية المحذّرة من اتخاذ قبور الأنبياء مساجد، لا دلالة فيها على المنع من بناء القبر فضلاً عن الأبنية حوله.

١٢ـ و هناك بعض الراويات نهت عن البناء على القبر و تجصيصه؛ ففي رواية علي بن جعفر قال: «**سألت أبا الحسن موسى عليه السلام عن البناء على القبر و الجلوس عليه هل يصلح؟ قال: لايصلح البناء عليه و لا الجلوس و لا تجصيصه ولا تطيينه**».

و في رواية يونس بن ظبيان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يصلّى على قبر أويقعد عليه أو يبنى عليه**».

و في رواية جراح المدائني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**لا تبنوا على القبور و لا تصوّروا سقوف البيوت فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كره ذلك**».

و في رواية الصدوق بإسناده عن الحسين بن زيد، عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام

---

١. الحرّ العاملي، وسائل الشيعة (الإسلامية) ٢: ٨٦٩ الباب ٤٤ الدفن، الحديث ٢.

٢. الحرّ العاملي، وسائل الشيعة (الإسلامية) ٣: ٤٥٣ الباب ٢٥ مكان المصلي.

٣. الحرّ العاملي، وسائل الشيعة (الإسلامية) ٣: ٤٥٤ الباب ٢٥ مكان المصلي، الحديث ٥.

عـن رسـول الله ﷺ (في حديـث المناهي): «**أنـه نهى أن يجصّـص المقابر**».

و في مرفوعة عن النبي ﷺ إنّه نهى عن تقصيص القبور قال: و هو التجصيص.

و هـذه النصـوص مـع كونهـا عامّـة قابلة للتخصيـص، أقصى مـا فيها هـو البناء على القـبر وذلـك برفـع القبر عـن الأرض و بنائه رفيعـاً، و لا يكـون ذلـك إلّا أن يجعل المكان المتصـل باللحـد عاليـاً في قبال بنـاء القبر ملصقاً بـالأرض مسـاوياً له أو نحـو ذلك و أين هـذا مـن البنـاء حول القبر غرفـة أوحيطانـاً أو أروقة تحيط بالقـبر أو إحاطة القبر بشـبّاك.

و بالجملـه فمفـاد هـذه النصوص هو نفـس ما تضمنه نصـوص تسـطيح القبر و عدم رفعـه عـن الأرض بما يزيـد على أربـع أصابع.

و الذي يتحصّل من كلّ النصوص المتقدمة:

أولاً: إنّ المطلـوب رفـع القـبر مـن الأرض مقـدار أربـع أصابـع ، فـلا يكـون لاصقاً بـالأرض بـل مرتفعـاً عنهـا بهـذا المقدار.

ثانيـاً: المطلـوب هو تسـطيح القبر في مقابل كونه كالسـنام ، فالقبر في عـين ارتفاعه من الأرض ينبغـي أن تكـون مكعبـاً لا محـدوداً ، و هـذا هو المـراد من التربيع ، يعنـي ما تقابل السـنام المحـدودب و المسـتدير ، كسـنام الإبـل أو مثـل السـمكة ، و علـى السـنام عمـل المخالفـين و شـعارهم خلافـاً للشـيعة مـع اعترافهـم بأنّ السـنّة ما عليه الشـيعة كما سـبق من العلّامـة و غيره.

ثالثاً: المطلوب تسوية القبر مع الأرض ـ باستثناء مقدار أربع أصابع ـ .

رابعـاً: كراهـة رفـع القـبر في حـدّ الإشراف ، و أنـه ينبغـي إزالـة قـبر يكـون مشـرفاً و الإشراف (كـما تقـدم عـن العلّامة) هـو الرفع كثيراً ،و يلـوح لي أنّ مقداره مـا يزيد على طـول الإنسـان ليكون مشرفـاً و مسـلّطاً عليه.

و هنـاك في بعـض البـلاد يـزاد في طـول بناء القـبر على حسـب عظمة الميّـت و يكون العـبرة في منزلـة الميّـت و حرمته طول قـبره ؛ و قد عشـنا في العراق هذه الفكـرة من بعض

أهلـه ، فكان الإنسـان يضيـع في المقابر و خلف القبور و يخاف من توسـطها بسـبب طولها و اشرافهـا و منعهـا عن ظهور متوسـطها لمن كان في طـرف المقبرة.

خامسـاً: كراهـة البنـاء علـى القبر و ذلـك يكون برفـع بنائه علـى الأرض زائـداً على طمّـه ؛ و هـذا غـير البناء حـول القبر حيطـان و أروقـة ، و لا جعل صنـدوق و نحوه على القـبر بعـد بنـاء القـبر ، فـإن وضـع شيء علـى القبر ممـا لايعـدّ جزئـه شيء ، و بنـاء القبر بحجـم خـاص في طولـه و عرضـه شيء آخر.

سادسـاً: النهـي عـن السـجود على القـبر و الصلاة عليـه ، وكـذا الصلاة إليـه بجعله قبلـة ، أو اتخـاذ قبور الأنبياء مسـجداً.

وشيءٌ مـن هـذه الأمـور لاينـافي بنـاء الحيطـان حـول القبـور ، و لا جعـل الصناديـق المرتفعـة عليهـا و لا إحاطتهـا بالشـبابيك و ما تسـمى بالأضرحـة ، و لا بنـاء القبب فوق الأضرحـة ، و لا بنـاء الأروقـة والباحـات أطـراف القبور ممـا كلّ ذلك متـداول عند عامة المسـلمين في قبـور الأوليـاء و الأنبيـاء والأئمة عليهم السلام.

فـإنّ بنـاء القبر و البنـاء عليه أمر ، و وضع الصندوق و الشـباك عليه أمـر آخر و لا يعدّ شيء مـن ذلك بنـاءٌ للقبر ؛ فإنّ القبر هـو البناء المتصل باللحـد الملتصق بالأرض.

و ليـس مـا يجعـل علـى القبر هو مـن القبر ، كـما أنّه ليس مـا يحيط بالقبر مـن الحيطان و الأروقـة و الأبنية مـن جملة القبر.

و ليـس الغـرض مـن عدم رفـع القـبر في بنائه كثـيراً ، تعميـة القبر و ضياعـه و بطلان أثـره ؛ و إلّا لأمـر يمحـو أثر القـبر بالمرّة.

كـما أنّ التعبـد ببنـاء القـبر بالتربيع و التسـطيح في مقابـل السـنام أيضاً أمـر لاينافي مع شيءٍ ممـا عليـه سـيرة المسـلمين في عملهم مـن الأبنية حـول قبـور الاولياء.

كـما ظهـر بالنصـوص أنّـه و إن كان المطلـوب رفـع القـبر مقـدار أربـع أصابـع ، و أما الزائـد عليـه فـما لم يبلغ حـدّ عنـوان الإشراف ليـس فيه حظـر و إن فرض عدم اسـتحبابه

فـلا يجـوز التعرض لـه ما لم يبلغ حـدّ الإشراف. و المتيقـين من صـدق الإشراف هو ما زاد علـى القامـة ، وأطـل على الواقـف بجنبه.

و أمّـا ارتفـاع شـبر و ذراع و مـتر و مـا شـاكل ذلـك ، فـلا دليـل علـى جـواز هدمـه و التعـرض ، فإنّـه تـصرف في مـال الغـير لايحـلّ بـدون رضـاه.

هـذا فضلاً عـن التعرض لغـير القبر مـن الأبنية حولـه أو الصندوق و الشـباك و نحو ذلـك مما يوضـع على القـبر أو هدم القبـاب و السـقوف الملقية بظلّها علـى القبر.

هـذا مـن ناحيـة النـصّ المتضمـن للأمربتسـوية القـبر المشـرف ؛ و في خبر السـكوني الأمـر بتسـوية القبـور بلا تقييـد بالمشرف ، لكنـه مطلق قابـل للتقييد بما تضّمنـه و إلّا كان ذكـر القيـد لغواً.

ثـمّ لـو فـرض إطلاق القـبر على مجمـوع البناء مـن الباحـاث و الأروقة و القبـة المبنية حـول القـبر ، فهـو إطلاق مجـازي ، إطلاق اللفـظ الموضوع للجـزء على الـكلّ كالرقبة ، و إلّا فالقـبر الحقيقـي هـو البنـاء الملصق باللحـد المتصل بـه علـى الأرض ، دون ما يجعل علـى الأرض مـن صنـدوق أوشـباك ، فإنّـه موضوع علـى القـبر و ليس هو القـبر فضلاً عـن الأبنيـة الأخـرى المبنيـة حـول القـبر و بجـواره ؛ و لا يجـوز حمـل اللفـظ علـى معناه المجـازي مـا لم تكن عليـه قرينة.

فالأمر بهدم القبر المشرف لا يعني هدم الأبنية حول القبر.

إذن تحقـق بـما فصّلنـاه عـدم دلالـة شيء من النصـوص على المنـع من بنـاء الأضرحة علـى قبـور الأوليـاء ، حسـب المتـداول بـين المسـلمين ؛ و كـذا بنـاء الحيطـان و الأروقـة و نحوهـا حـول القبور.

و معـه فلاحاجـة إلـى نـصّ خـاص يـدلّ علـى تجويـز ذلـك ، بـل يكفـي في جـوازه الأصـل و مـع ذلـك كلّـه فاسـتحباب ذلـك هـو مقتضـى مـا ورد في الكتـاب العزيز من الأمـر بتعظيـم شـعائر الله ، و ما ورد مـن الترغيب في مـودّة النبيﷺ و أهـل بيتهعليهم‌السلام فإنّ

مثل هذه الأبنية من وجوه إظهار المحبة للنبي وآله صلوات الله عليهم ؛ و قد قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾، فكلّ ما يعدّ إظهاراً لحبّ قرابة النبي صلى الله عليه وآله فهو مطلوب.

مضافاً إلى ما ورد في بعض النصوص من الترغيب في عمارة قبور الأئمة عليهم السلام.

أضف إلى ذلك كلّه ماجرت عليه سيرة المسلمين من البناء حول قبور الأولياء و الأئمة عليهم السلام ، و هذه السيرة بمرئى من أئمة أهل البيت عليهم السلام و أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله و لم ينكروا ذلك ، بل أقروه و لم يردعوا عنه ، بل وافقوا عليه ، بل و رغبوا في ذلك.

و لو كان النبي صلى الله عليه وآله نهى عن مثل ذلك ، لم يسكت عنه أئمة أهل البيت عليهم السلام و هم أدرى بما في البيت ، و لا سكت عنه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله و فيهم أمير المؤمنين علي عليه السلام و غيره و هم أهل اللغة و المخاطب بالنصوص ، فلم يفهموا منها ما يمنعهم عما جرت عليه السيرة كما لم نفهم ، حتى انتهى الأمر إلى بعض القرون المتأخرة عن أولئك القدامى و فيهم العجم من أصحاب اللغات الحديثة كالافرنج ، فكفّروا و قتلوا ، و أغاروا على البلاد و العباد ، و نهبوا الأموال و نقضوا الأبنية و هدموا البيوت التي لها الحرمة مكبّرين كما كبّر أسلافهم عند قتلهم سبط النبي صلى الله عليه وآله و قد أبادوا رجاله و سبوا حريمه و سحقوا جسده الشريف بحوافر الخيول و لم يكتفوا بذلك بعد دفنه حتى حرثوا قبره و أجروا الماء عليه ليمحو أثره و لا يبقى له ذِكرٌ تقرباً إلى فراعنتهم و أمرائهم شاربي الخمور ، و قاتلي النفوس المحترمة ؛ تلك الشجرة الملعونة في القرآن، فإنّا لله و إنا إليه راجعون ، و لا حول و لا قوة إلّا بالله العلي العظيم ، و سيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون و العاقبة للمتقين.

من جملة العقائد للمتطرفين زائداً على تحريم بناء المساجد على القبور حتى قبور الأنبياء والأولياء هو حرمة الإسراج على القبور، ولذلك ترى البقيع في

مدينة النبي صلى الله عليه وآله مظلمة النور في لياليها، لا يضاء فيها كأنّها ليل في نهارها و بجنبها المسجد النبي صلى الله عليه وآله و ساحاته مغرقة في النور و الضياء كأنه نهار في ليله!

فهذان عنوانان أعني بناء المساجد حول القبور والإسراج و إيقاد المصابيح والضياء عندها؛ ينبغي دراستهما دليلاً و البحث عن صحة ذلك و سقمه. أضف إلى ذلك عنوان ثالث عند هؤلاء حيث يرون حرمة الصلاة عند القبور فينبغي دراسة هذا أيضاً.

و عمدة دليلهم على ذلك هو بعض النصوص كالمروي عن ابن عباس: «لعن رسول الله صلى الله عليه وآله زائرات القبور و المتخذين عليها المساجد والسرج».

و قد ورد في نصوص الفريقين الشيعة و السنّة لعن اليهود معللاً بأنّهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

فكأنّهم استفادوا من المنع من اتخاذ القبر مسجداً عدم جواز الصلاة عند القبر، و اعتبروا المسجد كناية عن الصلاة في ذلك المكان.

و قد يجعل المنع من اتخاذ قبور الأنبياء مساجد و اتخاذ المساجد على القبور دليلاً على عدم جواز البناء حول القبور، و على أساسه هدموا حرم الأئمة عليهم السلام و الأبنية حول قبورهم.

ثمّ إنّ الجمع بين الأمرين أعني الصلاة عند القبور والبناء حولها من قبيل استعمال اللفظ في معنيين و أحدهما مجازي، وهذا غريب. و قد يتضمّن النصّ المتقدم عنواناً آخر و هو اتخاذ السراج على القبر و قد فهموا منه حرمة إيقاد السراج عند القبور.

أقول بعد التوكّل على الله: إنه لو فرض إجمال الخبر المتضمّن للمنع من اتخاذ القبر مسجداً، لدوران الأمر بين إرادة السجود على القبر و بين اتخاذ القبر قبلة في الصلاة و بين اتخاذ ما حول القبر مسجداً و محلًّا للعبادة كالمسجد الاصطلاحي.

و لكن الإنصاف أنّ ما يضمّن المنع من اتخاذ المساجد على القبور ظاهر في الاحتمال

الأخير على التعيين نحو ما ورد في قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿**لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيهِم مَّسجِداً**﴾. وفي رواية مسلم عن النبي صلى الله عليه وآله «**إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً و صوّروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**».[1]

و قد ورد في النصوص ما يتعلق بحكم الصلاة عند القبر و كيفية ذلك و ما به تندفع الحزازة و الكراهة من مقدار البعد و عدم استقباله حال الصلاة و حكم التقدم على قبور المعصومين عليهم السلام و الصلاة خلفهم بما لا ضرورة في التعرض لها في هذه العجالة و ليس فيها ما يفترى على الشيعة من جعل القبر قبلة و لو بترك استقبال الكعبة المشرفة و نحو ذلك من أكاذيب الجهّال أو افترائهم و التعرض لها يتطلب مجالاً آخر و بالله العون.

و مع هذا فالعنوان المحظور حسب هذا النص هو اتخاذ محّل القبور مسجداً و مكاناً معدّاً لما أعدّ له المسجد شرعاً من الإعتكاف فيه و الصلاة و غيرها من العبادات المناسبة للمسجد.

فلا يدلّ هذا على منع إعداد القبور للزيارة لها و لو ببناء أبنية مناسبة حولها لراحة الزائر و إعانته على الزيارة كما يدلّ على المنع من مجرد صلاة ترتبط بالزيارة من دون أخذ ذلك المكان معدّاً لسائر الصلوات و نحوها من مناسبات المساجد و لا فعل صلاة أخرى أو عبادة من دون إعداد ذلك المكان لتلك العبادات. فالزائر إذا دخل عليه وقت الصلاة عند الزيارة لا تكون صلاته مندوحة في عنوان النصّ و هو اتخاذ المقبرة مصلّى و إن صلّى عندها إتفاقاً أو تكررت منه ما لم يجعل المكان معدّاً لذلك.

فالممنوع إمّا هو السجود على القبر أو اتخاذ مسجد حول القبر.

و أمّا بناء مزار بحيطان و قُبَبٍ على القبور و صلاة تتعلق بآداب الزيارة فلا دلالة في هذا النص على حظره.

---

١ . مسلم النيشابوري، صحيح مسلم ٢ : ٦٦ .

أضف إلى ذلك أنّ دلالة النصّ الآنف على منع بناء مساجد على قبور النبي صلى الله عليه وآله و أهل بيته عليهم السلام يكون بالعموم القابل للتخصيص.

و أمّا الإسراج على القبور فالاستدلال بالخبر المتقدم على منعه، فلعمري إنه يذكر لي بقضية طبيبٍ كان يخبر المريض بأسباب مرضه من مأكله و مشربه فيتعجب صانعه و تلميذه من تنبّؤه فسأله عن دليل معرفته بما أكل المريض أو شرب مع عدم صحبته لذاك المريض، فأجاب بأنه إذا دخل على المريض لاحظ أطرافه و عرف بذلك مأكل المريض، (والمعدة بيتُ كلّ داءٍ)، فأراد الصانع أن يباشر الطبابة على سياق أستاذه و معلمه! فدخل على مريض ليطبّبه! فقال إنّك أكلت الحمار! و هذا سبب مرضك! فأطرد فرجع إلى أستاذه و أطره بالقصّة وقال: إنّي عملتُ على سياقك و تنبئتُ على المريض بأكله الحمار! لما وجدتُ عنده سرجاً يشدّ على الحمار مطروحاً! ولكن قوبلتُ بما ترى. فأخبره الأستاذ بأنه لا ينبغي أن يتبؤ في أكل المريض بكلّ ما يرى حوله، وينبغي الالتفات إلى المناسبات.

فهؤلاء الضعفة العقول كأنّهم أخذوا بإطلاق المنع من الإسراج على القبر ومع ذلك هم مضطرون إلى الإسراج عند القبور حين يريدون دفن الأموات في الأوقات المظلمة فيتخذون أشياء موقتة تحذراً من إرتكاب ممنوع!

و قد غفلوا عن أنّ الأخذ بالنصوص ينبغي أن يكون بملاحظة القرائن و المناسبات، فلربما كان النهي عن اتخاذ السرج على القبور مشيراً إلى ما هو المتعارف الآن أيضاً في أماكن من إشعال الشموع على القبور و العمل بهذا كمنسك عند زيارة القبر كاتخاذ النصارى إيقاد الشموع في كنائسهم نسكاً تداولوا عليها و التزموا بها و عملوها حتى يومنا هذا.

فلو رأيت في هذا اليوم أنّك إن نهيت النصارى عن الإسراج أو إيقاد الشموع في الكنائس أكنت تحتمل أنّ المراد بذلك هو المنع من إضاءة الكنائس كما يضاء سائر

الأماكن حتى يرى الإنسان دربه و لايقع على غيره و لا يتخبط في مشيه؟! إلى غير ذلك ممّا هو مقصود من الإضاءة.

فالإضاءة عند المقابر لدى المتردد عندها ليست إلّا ليرى ما حوله في ليل أو ظلمة و نحو ذلك من المقاصد كيف يندرج في النهي عن اتخاذ السرج على القبور مع وجود هذا الذي ذكرنا من الإحتمال الوارد ليبرر المتطرّف أن يستحل دماء المسلمين إذا وجدهم أضائوا حول بعض القبور ليتمكنوا من الزيارة ليلهم كما يزورون نهارهم.

و كيف يسوغ لعاقل أن يحمل على أحد ما يفهم من نصّ غير ما فهم غيره؟! و لا يعذر في عمله على أساس فهمه كما قد يعذر ذلك الغير. و لعمري أنّ الجهالة و العصبية و العناد تكاد تعمي و تصمّ.

و على هذا الأساس يمكن أن يقال أنّ ما ورد في النصوص من الأمر بكسر التماثيل و الصور أيضاً ليس على إطلاقه، بل هو ناظر إلى صور و تماثيل مصنوعة عند القبور، مثلاً كانت متعارفة سابقاً و ربما الآن.

و لذا روى مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إنّ اولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً و صوّروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة».[1]

و لعلّه لذا تكرر الجمع في النصوص بين الهدم القبور و محو الصور و كسر التماثيل؛ فليس صناعة كلّ صورة و لو ذات روح بتجسيم أو غيره محظوراً و يؤيده ما ورد في النصوص لصناعة الصور: يكلّف المصوِّر يوم القيامة أن ينفخ فيها و ليس بنافخ.

وكان الفراغ منه ليلة السبت / ١٦/ محرّم الحرام/ ١٤٤٢ هـ.ق.

***

١. مسلم النيشابوري، صحيح مسلم ٢ : ٦٦ .

ردود الأفعال إزاء هدم المقابر في البقيع

السيد علي قاضي عسكر.[1]

ملخّص البحث :

تتناول هذه المقالة موضوع هدم و تخريب المدينة المنورة بالمدافع و الرّصاص على يَد الوهابيين سنة (١٨٩٠م) و ردود الأفعال التي أبداها العلماء الشيعة ، و تأسيس لجنة خاصّة في مجلس الشورى الوطني في إيران لبحث هذه الفاجعة، و التجمّع الذي شكّله العلماء و الفئات الشعبية المختلفة في العاصمة طهران في المسجد الجامع و إعلان ذلك اليوم عطلة رسمية و توقّف الدراسة وصلاة الجماعة بإمامة العَلَمين المرحومَيْن: الإصفهانيّ و النائينيّ في النجف الأشرف ، و انعكاسات هذا الخبر في الأقطار الإسلامية الأخرى بواسطة القنصلية الإيرانية في النجف الأشرف ، و أخيراً وصول خبر الهدم والتخريب إلى بلاد الهند و عدد من الأقطار الأخرى و العواصم و المدن المهمّة ، و ردود الأفعال الجادّة للمسلمين و الاعتراضات الكبيرة التي عمّت تلك البقاع ، و الأوامر التي أصدرتها وزارة الخارجية الإيرانية إلى (غفار خان جلال السلطنة) الوزير الإيراني المختار لدى

١. ممثّل ولي الفقيه سابقاً في شؤون الحجّ والزيارة وعضو مجلس التقنين لأئمة الجمعة وحاصل على السطح الرابع في الحوزة العلمية (قم المقدسة).

مصـــر و القاضيـة بضـــرورة متابعة هذا الأمـر الجَلل.

الكلمات المفتاحية:

الوهابيـون ؛ قصـفُ المدينـة المنـوّرة ؛ هـدم و تخريب المدينـة ؛ ردود الأفعـال إزاء الهـدم و التخريب.

***

قصف المدينة المنوّرة.[1]

أعلنـت صحيفـة (إيـران) بتأريخ (٢٤ أغسـطس/ آب سـنة ١٩٢٥م) نقلاً عـن راديو (برلـين)، أعلنـت عـن قيـام الجماعـات الوهابيـة بقصـف المدينـة المنـوّرة وإلحاق خسـائر فادحـة بالمسـجد الـذي يضـمّ ضريـح الرسـول الأعظـم صَـلّى الله عليـه وآلـه. (صحيفة «إيـران» السـنة التاسـعة، العـدد «١٨٩٠»، ص ٢).

وبعـد مـرور يومَيْن عـلى الحـادث (أي، في السـادس والعشرين من أغسـطس)، أعلن مراسـل (رويـتر) عـن مصـادر موثوقـة أنّ الوهابيـين شـنّوا هجومـاً عـلى المدينـة المنـورة وشرعـوا في قصفهـا وكانت النتيجـة حدوث دمار وخـراب كبيرَيْن حيث تضرّر المسـجد الكبـير الـذي يحتضـن قـبر النبـيّ الكريم صَـلّى الله عليـه وآله وكذلك مسـجد حمـزة (عَمّ النبـيّ صلى الله عليه وآله). (صحيفـة «إيران» السـنة التاسـعة، العـدد «١٨٩١»، ص ١).

و مع انتشـار الخبر المذكور ازداد قلق العلماء عموماً و الشـيعة خصوصاً، و كان آية الله الشـيخ جمـال الدين النجفي الإصفهانيّ (المشـهور بالحـاج آقا جمال الإصفهـاني «١٩٠٥-١٩٧٥م») و هـو شـقيق آيـة الله (آقـا نجفـي الإصفهـاني) و(آقا نـور الله الإصفهـاني) قد

١. إنّ تكـرار اسـتعمال كلمـة (القصـف) في هـذه المقالـة هو بسـبب تكرارها كذلـك في الوثائـق الخاصّة بتخريـب البقيـع ومـن الواضح أنّ سـبب ذلـك التخريب هـو إطـلاق القنابل وليـس إلقائها.

تلقّى العلوم الدينية لدى والده و أخيه ثمّ أتمّ تعليمه في الحوزة العلمية في النجف الأشرف. و خلال مشاركة العلماء الشهداء في النجف في الثورة الدستورية أيّد (آقا جمال) كذلك تلك الثورة، و بعد سقوط إصفهان بيَد الرّوس سافر (آقا جمال) إلى طهران حيث أصبح من علماء الطراز الأوّل هناك، و بدأ يلقي الدروس في مسجد (السيد عزيز الله) في طهران. و كان (آقا جمال) يُعدّ من المؤيّدين السياسيين لآية الله السيد حسن المدرّس حيث أبدى اعتراضه الشديد على الكثير من الإجراءات التي قام بها رضا شاه. و عندما توفّي (آقا جمال) انتشرت بعض الشائعات التي تقول إنّه اغتيل على يَد عملاء رضا شاه، و شيّع جثمانه بحفاوة كبيرة في مدينة (تخت فولاد) بإصفهان حيث و وُريَ جسده الثرى. (يوميات التأريخ الإيراني المعاصر ٥ : ٢٨٤).

هذا، و كتب أحد العلماء الإصفهانيين القاطنين في طهران عريضة إلى وزارة الخارجية (نسخة منها منشورة في يوميات التأريخ الإيراني المعاصر، ج٥) مُعبّراً فيها عن غضبه و استيائه الشديديْن، و فيما يأتي نصّ الرسالة: «نودّ إطلاع معاليكم بأنّنا نسأل الله دوماً أن يهب جنابكم السلامة و التوفيق الكاملَيْن من أجل إعلاء الكلمة الإلهية الحقّة و إحكام مبادئ استقلال مملكتنا المؤمنة. و لا بدّ أنّ معاليكم استمعتم إلى الأخبار التي تشير إلى قصف المدينة المنورة و تعرّض أطراف المرقد الطاهر الزكيّ لخاتم الأنبياء عليه آلاف الصلاة و السلام إلى الهدم و الإهانة، و هذه مصيبة عظيمة لا يمكن للمسلمين تحمّلها بأيّ شكل من الأشكال و لا سيّما دولة إيران العليّة و المسؤولين المحترمين فيها. إنّ جميع المسلمين ينتظرون اهتمام الدولة العليّة و ردّ فعلها إزاء هذا العمل المشين و أرجو أن تتفضّلوا بإبداء الاهتمام و الإجراءات الجادّة السبّاقة و إلّا أصبح ذلك سبباً لغضب المسلمين و ثورتهم، و إذا كان هذا الأمر كذباً فأمروا فوراً بنشر ذلك في الجرائد و بيان افترائه، و نستميحكم عذراً للإزعاج». (وثائق وزارة الخارجية، ٥٥-١-٣٠-١٣٠٤؛ يوميات التأريخ الإيراني المعاصر، ٥ : ٢٨٤).

و إثـر سـماعه لخـبر قصـف المدينـة المنـوّرة عـلى يَـد الوهابيـين طلـب آيـة الله المدرّس مقابلـة رضـا شـاه في صباح يـوم الخميـس الموافـق (٢٦ أغسـطس / آب ١٩٢٥م) لمتابعة الموضـوع باعتبـاره ممثّـلاً عـن طهـران في مجلـس الشـورى الوطنـي ، و قـد صرّح آيـة الله المـدرّس بعـد تلـك المقابلـة قائـلاً: «كنـتُ في خدمة السـيد رئيـس الـوزراء صبـاح اليوم فلاحظـت اهتمامهـم الكبـير بهـذه المسـألة المنشـورة في الصحـف و قـد أمـر بالتحقيق في هـذا الأمـر فـوراً وتقـصّي الحقائـق ، فـلا بـدّ مـن الاهتـمام بهـذا الموضـوع. و الآن و قـد بـدأوا بالبحـث و التحقيـق في الأمر فـإنّ الحقيقة سـتتجلّى و تظهـر» (مـدرّس والدورات التشريعيـة الخمـس، ٢ : ١٨٩).

و في اليـوم نفسـه حضر رضا شـاه في مجلس الشـورى الوطني و تلا عـلى أعضائه الخبر المنشـور في الصحـف و الجرائـد ثمّ علّـق بقوله: «لا بدّ من تشـكيل لجنة مـن قِبل المجلس إذا رأى الأعضـاء ضرورة لذلـك لمتابعـة هـذا الأمر بعد أخـذ موافقة الحكومـة» (المصدر نفسه : ١٩٠).

و بعـد ذلـك قامـت وزارة الخارجيـة بإرسـال البرقيـات إلى السـفارات الإيرانيـة في القاهـرة و لنـدن و الشـام و إعلامهـا بالخـبر الـذي نشرتـه وكالـة (رويـتر) بشـأن قصف الوهابيـين للمدينـة المنـوّرة ، و طلبـت منها تأييـد صحّة الخبر المذكور أو سـقمه و إرسـال التفاصيـل المطلوبـة فـوراً. (وثائـق وزارة الخارجيـة، ٥٢-١-٣٠-١٣٠٤).

و في صبيحـة اليوم العاشر من صفـر عام ١٣٤٤هـ (٢٩/ ٨/ ١٩٢٥م) ألقى المرحوم آيـة الله المـدرّس كلمـة في مجلـس الشـورى الوطني مبتدئـاً بطرح السـؤال التـالي: «ما هي هويّـة الشـعب؟» ثـمّ أجـاب هـو عـلى هـذا السـؤال قائـلاً: «إنّ هويـة أيّ شـعب أو ملّة مرتبطـة بجامعها». بعد ذلـك تحدّث بدور الجامع و الوسـيط و القائد بـين الناس و صرّح بـأنّ عـدم وجـود أيّ من هـؤلاء فإنّ أفـراد الشـعب و الفئـات داخل المجتمـع يصبحون كالجـدار المنشـعب ، فارتقـاء أيّ شـعب و تعاليـه يقومـان عـلى المحافظـة على مسـجدهم

و بارتقاء مسجدهم و تعاليه يتقدّم المجتمع و يرتقي. ثمّ أشار إلى جوامع إيران و مساجدها و سائر المساجد الأخرى في بعض الأقطار و الممالك الإسلامية مُعتبراً أنّها تمثّل الإسلام نفسه و قال: «اليوم هو أفضل وقت لرفع الراية الإسلامية». (صحيفة إيران، السنة التاسعة، العدد «١٨٩٤»، ص ١، و٢).

و في عصر ذلك اليوم كذلك تجمّع عدد من العلماء في مسجد (مروي) بطهران إلى جانب جماعة من التجّار و أصحاب المحالّ و طبقات الشعب المختلفة و كانوا ينصتون إلى كلمة آية الله المدرّس الذي كان يتحدّث ببعض الموضوعات المتعلّقة بتصرّف الوهابيين وسلوكهم في أرض الحجاز. كما أعلن آية الله المدرّس أنّ الأخبار الواصلة من هناك لم يتمّ تأييدها بعد من قِبل المصادر الرسمية. و رغم أنّه كان من المُقرّر أن يقوم جميع التجّار وأصحاب المحال بتعطيل العمل في يوم الثلاثاء استنكاراً لِما ارتكبه الوهابيون و يُعلنون ذلك اليوم عطلة رسمية لكنّهم أحجموا عن ذلك حتى تتّضح الأمور فيما بعد.

و بعد كلمة آية الله مدرّس اعتلى المنبر الشيخ علي الإصفهاني الذي قَدِم إلى طهران منذ فترة قريبة و ألقى كلمة أيضاً بهذه المناسبة. و في ليل يوم الأحد اجتمع علماء طهران في بيت إمام جمعة (خوئي) و تشاوروا بشأن هجوم الوهابيين على الأماكن المقدّسة في الحجاز. (المصدر نفسه، ص ٣).

و نشرت صحيفة (قانون) خبر تجمّع عدد كبير من الناس في المسجد الجامع عصر يوم الأحد و استماعهم إلى كلمة السيد علي الشوشتري التي أدان فيها قيام الوهابيين بارتكاب ذلك العمل الشنيع (صحيفة «قانون» السنة الرابعة، العدد «٤٧»، ص ٢).

و في عددها السادس و الأربعين الصادر في يوم الأحد (٢٩/ ٨/ ١٩٢٥م) نشرت صحيفة (قانون) مقالاً في صفحتها الأولى بالخط العريض جاء فيه: «إنّ الجرائم النّكراء التي يرتكبها الوهابيون هذه الأيام بحقّ العالم الإسلامي لا شكّ أنّها تؤذي روح

مؤسّس الشريعة الطاهرة و تعصر قلوب المسلمين كافة، فهذه هي الضربة الثانية التي توجّهها هذه الفرقة المجرمة المتوحشة إلى جسد الإسلام و النكتة السوداء الثانية التي يضعها هؤلاء في صفحات تأريخ الوهابية السّبُعية. إنّنا نُعبّر عن خالص حزننا و ألمنا إلى العالم الإسلامي بقلوب معصورة و عيون دامية متمنّين من الدولة العليّة الإيرانية و سائر الدول الإسلامية الموقّرة أن تخطو خطوات جادّة لسدّ هذه الثّغرة و مُداواة هذا الجرح العميق في قلب الإسلام» (صحيفة «قانون» السنة الرابعة، العدد ٤٧).

و في اليوم نفسه بعثت هيئة علماء همدان ببرقية إلى مجلس الشورى الوطني عبّروا فيها عن أسفهم و حزنهم بسبب ما أقدم عليه الوهابيون من عمل وحشيّ و الهجوم على الأماكن المقدّسة في المدينة المنوّرة و طالبوا بإرسال برقية إلى هيئة الأمم المتحدة لتقوم بدورها و الحيلولة دون استمرار الجرائم الوهابية و تطهير المدينة المنوّرة من دَنس هؤلاء المجرمين.

و ذكرت هيئة علماء همدان في برقيّتها أنّه إذا سمحت الحكومة لهم فإنّ باستطاعتهم الذهاب إلى المدينة المنوّرة للدفاع عن هويّة الإسلام و كرامته و أنّهم مستعدون للتضحية بأرواحهم في سبيل ذلك... «ثالثاً نطالب المجلس المقدّس بإعلان هذا اليوم يوم مصيبة المسلمين و اعتباره أكبر يوم في أيام عزاء المسلمين. (وثائق مجلس الشورى الوطني، الوثيقة رقم «٩٩/ ٤١/ ١٥٤/ ٥»).

و أعلن نائب القنصل الإيراني آنذاك في النّجف الأشرف أنّ حجّة الإسلام الشيخ أحمد كاشف الغطاء (من حُجج الإسلام الروّاد هناك) عطّل دروسه في الحوزة العلمية بعد سماعه خبر هجوم الوهابيين على المدينة المنوّرة و يبدو أنّه لن يحضر صلاة الجماعة أيضاً.

و أضاف معاليه قائلاً: «وقد اصطفّ إلى جانبه سائر العلماء العرب هناك حيث ينوون إرسال برقيات إلى الدول و المحافل الإسلامية، كما ذُكِر أنّه من المقرّر إقامة تجمّع

عـامّ اليوم أو غداً في مسـجد (هنـدي)». (وثائـق وزارة الخارجيـة، ٥١-١-٣٠-١٣٠٤).

و في رسـالة أخـرى بعثهـا نائب القنصل الإيراني أشـار فيهـا إلى تزايد الخـوف و القلق بـين أهـالي تلـك الديـار وذكـر أنّ مجالـس العلـماء والعـزاء لا حديـث لها سـوى موضوع الهجـوم الوهـابي على المدينة المنـوّرة، مضيفاً: «أنّ أهـل هذه الديار متأكّدون أنّه إذا اسـتولى الوهابيـون عـلى المدينة المنوّرة فإنّهم سـيهاجمون العراق بعدها». (صحيفة «قانون»، السـنة الرابعة، العـدد «٤٧»، ص ٢).

هـذا، و ذكـر (غفـار خان جـلال السـلطنة) الـذي عُيّن مؤخّـراً وزيـراً مختـاراً لإيران في القاهـرة، ذكـر أنّـه التقـى ممثّـل الحجـاز (أي، ممثّل الحجاز قبل اسـتيلاء آل سـعود على السـلطة هنـاك) و أنّ هذا الأخير أكّـد الأخبار الواردة عن مراسـلي (رويتر) بشـأن قصف المدينـة المنـوّرة و هدم وتخريب الأماكن المقدّسـة فيهـا، و قال إنّ دار السـيّدة (خديجة عليها السلام) و السـيّدة (آمنـة عليها السلام)، الأثريّـيْن في مكّـة المكرّمـة قـد تهدّمـا بالكامـل، و أنّـه إذا اسـتولى الوهابيـون عـلى المدينة المنـوّرة فإنّهم سـيهدّمون قبر النبـيّ صلى الله عليه وآله دون أدنى شـكّ... (وثائق وزارة الخارجيـة، ٥١-١- ٣٠-١٣٠٤).

و بالنّظر إلى المخالفات و الاعتراضات الواسـعة بين المسـلمين و لا سـيّما الشـيعة منهم فقـد عمـد الوهابيـون إلى تكذيب كلّ الأخبـار القادمة بشـتى الحيل و الادّعـاءات لكنّهم لم يعلّقـوا عـلى أخبـار هدم قبـور البقيع و المـزارات في (أُحـد) و ركّزوا عـلى موضوع عدم هـدم الضريـح الطاهر و القبّة الخضـراء للرسـول الأعظـم صلى الله عليه وآله. و قد ذكر نائـب القنصل الإيـراني في النّجـف الأشرف في تقريـره قائـلاً: «لقـد سـمحت الحكومـة العراقيـة (أي، الإنجليـز في الحقيقـة) للجماعـات الوهابيـة بـين نَجد و العـراق بالسـفر إلى بـلاد النّهريْن لشـراء المُـؤَن و الالتقاء ببعض الشـخصيات العربية من أهل النجـف الأشرف». و كتب نائـب القنصـل في تقريـره يقـول: «إنّ الوهابيـين يـصرّون على تكذيـب الأخبـارة الواردة عـن حـوادث المدينـة المنـوّرة و يصرّحـون بعكـس ذلك و أنّهـم يُعاملـون الجميـع بكمال

الرّأفة وأنّهم لن يقدموا أبداً على إهانة الأماكن المقدّسة أو الاستخفاف بها». (وثائق وزارة الخارجية، ١٦-١-٣٠- ١٣٠٤).

تشكيل لجنة خاصة في المجلس:

عقد مجلس الشورى الوطني برئاسة تديّن (النائب الثاني لرئيس المجلس)، جلسة في يوم الثلاثاء الحادي و الثلاثين من أغسطس/ آب (١٩٢٥م) المصادف للثاني عشر من شهر صفر عام (١٣٤٤هـ) و ناقش في بدء الجلسة موضوع هجوم الوهابيين على المدينة، و تقرّر بتأييد من آية الله المدرّس تشكيل لجنة تضمّ عشرة أعضاء لمتابعة هذه الحادثة. و في هذه الأثناء قال رضا شاه الذي كان حاضراً في تلك الجلسة أيضاً إنّ الموظفين الإيرانيين في الشام و مصر أيدّوا إلى حدّ ما الأخبار الخاصة بهجوم الوهابيين على المدينة المنوّرة، لكنّهم ذكروا أنّ المهاجمين لم يتمكّنوا بَعد من الاستيلاء على المدينة، إلّا أنّه لا بدّ من تشكيل اللجنة الخاصة. (صحيفة «إيران» السنة التاسعة، العدد «١٨٩٦»، ص ١).

و في عصر يوم الثلاثاء أيضاً حضر جمع كثير من الناس في المسجد الجامع بدعوة من العلماء و أُعلِن هناك أنّ يوم السبت القادم الذي سيصادف السادس عشر من شهر صفر سيكون عطلة رسميّة، ثمّ تُلي بيان رضا شاه بخصوص الموافقة على قرار العلماء بشأن العطلة المذكورة. (المصدر نفسه، ص ٣).

و في اليوم الحادي عشر نُشِر بيان رضا شاه الذي يُخاطب فيه جميع حكّام الإيلات و الولايات و موظّفي الدولة و أشار البيان إلى سوء الأدب و الوقاحة اللذيْن ارتكبهما الوهابيون في المدينة المنوّرة و مسجد النبيّ الأعظمﷺ و أثار سماع ذلك الخبر القلق لدى الحكومة التي ما زالت تُتابع الأخبار، لكن، و كإجراء أوّلي و بالاتّفاق مع آراء السادة حُجج الإسلام، تقرّر إعلان يوم السبت (٤/ ٩/ ١٩٢٥م)، المصادف للسادس عشر من شهر صفر عطلة رسمية في جميع أنحاء المملكة للتعبير عن إحساسات

المسلمين و مشاعرهم و إقامة مجالس التعزية و الحزن (صحيفة «إيران» السنة التاسعة، العدد «١٨٩٦»، ص ١).

كما أشار نائب القنصل الإيراني في النجف الأشرف آنذاك في تقريره إلى انعكاسات تعطيل الدروس و صلاة الجماعة في تلك المدينة المقدّسة وأنّ سماحة آية الله الإصفهاني و سماحة آية الله النائينيّ قد بعثا برسالة إلى رضا شاه حول هجوم الوهابيين على المدينة المنوّرة. (وثائق وزارة الخارجية، ١٢-١-٣٠-١٣٠٤).

و هكذا وصلت أنباء الهدم و التخريب إلى بلاد الهند فأثار ذلك غضب المسلمين الشديد هناك، و قد كتب الممثّل السياسي لإيران في الهند تقريراً حول هذا الموضوع جاء فيه: «بعد انتشار أخبار إهانة الوهابيين لمرقد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله اجتمع مُعظم المسلمين شيعة و سنّة في مدينة بومباي و بلغ عددهم أكثر من مئتي ألف شخص إضافة إلى الإيرانيين المُقيمين هناك، اجتمعوا في المساجد و المجامع الدينية المختلفة، و انتشر الصّخب و الصراخ في كلّ مكان. و عمد جميع الناس إلى إغلاق دكاكينهم و أسواقهم و تظاهروا في المعابر و الأزقّة لعدّة أيام». ثمّ يُضيف ممثّل إيران في الهند قائلاً: «لقد أثار ما ارتكبه الوهابيون الغضب العارم لدى أكثر من (٦٧) مليون مسلم في الهند كما تظاهر المسلمون في سائر المدن الأخرى. و في مدنية (لكنهو) و هي من المدن الهندية الكبيرة التي غالبية سكّانها من المسلمين و مركز تجمّع العلماء و رجال الدين كما تُعدّ مركزاً إسلامياً مهمّاً في الهند، تجمّع عدد كبير من المسلمين للتعبير عن سخطهم». و قال الممثّل الإيراني في تقريره كذلك: «لقد قام المجمع العلمي لعلماء (لكنهو) و المجلس الأعلى للمسلمين في الهند بإرسال برقية إلى القنصلية الإيرانية شكروا فيها قيام الحكومة الإيرانية بإعلان العطلة الرسمية و إقامة العزاء كردّ فعل على ما ارتكبه الوهابيون». (وثائق وزارة الخارجية، ١٢٦-١-٣٠- ١٣٠٤).

جواب وزارة الخارجية على طلب آية الله النجفي الأصفهاني:

أرسلت وزارة الخارجية (الإيرانية) كتاباً إلى آية الله (حاج آقا جمال الدين النّجفي الإصفهاني) في (٢/ ٩/ ١٩٢٥م) الموافق للرابع عشر من شهر صفر عام (١٣٤٤هـ) جواباً على رسالة سماحته إلى الوزارة، و جاء في رسالة وزارة الخارجية ما يلي: «... و تشير التحقيقات التي أجراها الموظفون الإيرانيون في كلّ من لندن و مصر و الشامات إلى أنّ الأخبار الواردة عن المدينة المنوّرة صحيحة للأسف الشديد». كما ورد في الرسالة المذكورة: «لقد تكدّرت الخواطر بوصول تلك الأخبار و أثار ذلك الحزن الشديد لدى الجميع، و قد أُرسلت البرقيات إلى جميع الموظفين الإيرانيين في الخارج لإبلاغ مسلمي العالم كافة بالألم و الحزن اللذيْن أصابا الحكومة الإيرانية و الشعب الإيراني و شجبهم لهذا التصرّف الوهابي المشين بسبب هتكهم لحرمة المقامات الإسلامية المقدّسة». (المصدر نفسه، ص ٥٦ و٥٧).

كما قام أهالي مدينة أردبيل يوم الخميس بتعطيل الأسواق و المحال التجارية و أقامة مجالس التعزية، و كذلك تعطّلت الأعمال في مدينة (خوي) و خرج الأهالي في مواكب لِلَطم الصدور و هم غارقون في حزن عظيم. (منظمة الوثائق الوطنية الإيرانية، الوثيقة رقم:٢٩٠١١٥٦).

هذا و بعث (كبلي آموري) ـ مستشار السفارة الأمريكية في طهران ـ رسالة إلى وزير الخارجية الإيراني بعد سماعه للظروف الحاصلة في البلاد و الاعتراضات الواسعة للعلماء و الناس، حيث عبّر في رسالته عن خالص مواساته للحكومة و الشعب. و ممّا جاء في رسالة المستشار: «لقد نكّست الأعلام في كلّ من سفارة الولايات المتحدة و قنصليّتها منذ طلوع الفجر حتى غروبها». (وثائق وزارة الخارجية، ٢٧-١-٣٠-١٣٠٤).

و من علماء محافظة تبريز بعث آية الله أبو الحسن أنگجي برقية إلى الآيات العظام في النّجف الأشرف و هم السيد أبي الحسن الإصفهانيّ و محمّد حسين النائينيّ و آية الله

الشيرازي و الفيروزآبادي ، و عبّر فيها عن تأثّره بالواقعة الشديدة و الفاجعة العظيمة في المدينة المنوّرة ، و أعلن استعداد المسلمين في المحافظة بالتضحية بكلّ غال و نفيس. (المصدر نفسه، ص ١٠٥).

كما أرسل العقيد علي قلي ـ الحاكم العسكري لمدينة شاهرود ـ برقية عاجلة إلى رضا شاه قال فيها: «إنّ علماء شاهرود ينوون تمديد عطلة يوم السبت السادس عشر من صفر حتى تقوم الحكومة باتّخاذ القرار النهائيّ في هذا الأمر». (وثائق مؤسسة الدراسات و البحوث السياسية ، الوثيقة رقم «١٣٠٤»، پ٧، ص ٣٣٦)؛ لكنّ وزارة الحربية أجابت عن برقية الحاكم العسكري لشاهرود و أخبرته أنّ يوم العطلة هو يوم السبت فقط. (المصدر نفسه، ص ٣٣٥).

تقرير حول عطلة السبت :

كتبت صحيفة (إيران) في عددها الصادر بتأريخ (٤/ ٩/ ١٩٢٥م) تقريراً جاء فيه:

«بالنّظر إلى الإخطار السابق فقد تعطّلت هذا اليوم جميع المحال التجارية و الأسواق و الدوائر الحكومية و حتى المخابز و الأفران استنكاراً لإهانة الوهابيين للأماكن المقدّسة في المدينة المنوّرة و تخريبها ، كما تجمّع الكثير من الناس في مسجد (سلطاني) و اعتلى المنبر أوّلاً الحاج الشيخ جواد العراقي ثمّ أعقبه الميرزا عبد الله و تحدّث كلاهما عن جريمة الوهابيين و أكّدا على ضرورة اتّحاد الدول الإسلامية ، و قد تقرّر أن يكون محلّ التجمّع الثاني لأهالي طهران خارج بوابة (دولت آباد). و حضرت الجموع في المسجد يغمرها الحزن الشديد و هي تحمل الأعلام السوداء ، و كان سيادة رئيس الوزراء قد تجوّل في السوق قبل ظهر اليوم ثمّ عاد أدراجه».

و أضافت صحيفة (إيران) في تقريرها هذا قائلة: «لقد كان تجمّع الناس خارج بوّابة (دولت آباد) بعد ظهر اليوم عظيماً و فذّاً و لم يسبق أن شوهِد مثل ذلك الحشد

الكبير في طهران من قَبل ، فقد تجمّع أكثر من خمسين ألف شخص في مكان واحد. و قد شارك في مراسم بعد ظهر ذلك اليوم أيضاً عدد من الوزراء المختارين للدول الإسلامية». (صحيفة «إيران» السنة التاسعة، العدد «١٨٩٩»، ص ٢).

تقرير السفارة البريطانية :

نشرت السفارة البريطانية تقريراً حول ردود أفعال المسؤولين و الناس في طهران إثر سماعهم خبر قصف مسجد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بالمدافع و ذكرت في تقريرها أنّ غضب الجماهير كان كبيراً و عارماً. و قد تشكّلت في المجلس هيئة خاصّة لتقديم المشورة إلى الحكومة حول هذا الموضوع و احتشدت الجموع الغفيرة في المساجد. كما جاء في تقرير السفارة أيضاً أنّه يبدو أنّ الصحف و المنشورات بشكل عامّ تؤيّد الاحتجاجات ضدّ القوى الكبرى و تدعو الدّول الإسلامية إلى الإسراع في إقامة مؤتمر من أجل إيجاد رقابة دولية إسلامية مشتركة على الحجاز.

و قد أعلنت بعض الصحف بشكل واسع و صريح أنّ القصف المذكور نُفِّذَ بتشجيع من بريطانيا ، بل و أشارت صحيفة (ستاره إيران) في عددها الخامس الصادر في سبتمبر/ أيلول بصراحة أنّ كلّ المشاكل و المصائب التي تحدث في الحجاز سببها تحريض بريطانيا في الماضي و الحاضر. هذا و أُعلِن يوم السبت الخامس من أيلول يوم حداد عام في كلّ أرجاء البلاد ، كما حضر صباح ذلك اليوم وليّ العهد و جميع العلماء المبرّزين و الوزراء المختارين في كلّ من أفغانستان و مصر و تركية إضافة إلى وزراء الحكومة ، حضروا في مسجد (شاه) ، و احتشد الكثير من الناس خارج المدينة في عصر اليوم المذكور منهم ممثّلو رجال الدين و أعضاء المجلس و وزارة الحربية و عدد كبير من الطبقات الاجتماعية الدنيا و المتوسطة إلى جانب بعض الجنود. و استمع حوالي (٤٠٠٠٠٠) مسلم غارق في الحزن و العزاء إلى الخُطَب الرنّانة التي ألقيت في ذلك اليوم كما كان هذا اليوم يوم حزن و عزاء في مصر و أفغانستان. و أعلنت الحكومة الإيرانية

استعدادها لإرسال المتطوّعين عند الحاجة، و خاطبَ رئيس المجلس الدبلوماسيين الأجانب قائلاً: «قد ترغبون أنتم كذلك في مواساة المسلمين في آلامهم و أحزانهم إلّا أنّ بإمكان المسلمين فعل ما ينبغي متى أرادوا ذلك!» (FoE5914/82/34).

إعلان العطلة في جميع أنحاء البلاد :

تشير التقارير الواردة من بعض المحافظات و المدن مثل إصفهان و كرمانشاه و أراك و تبريز و أردبيل و أرومية و مراغة و سلماس و أهر و مرند و ساوجبلاغ مكري (مهاباد حالياً) و بندر عباس و شرف خانه (و هو أحد موانئ بحيرة أرومية و من توابع مدينة شبستر) و ساري و بارفوش (بابُل حالياً) و أشرف (بهشهر حالياً) و رشت و بندر بهلوي (بندر أنزلي) و لنگرود و رودسر و لاهيجان، تشير إلى تعطيل الأهالي هناك كلّ محالّهم و أعمالهم و إقامة مراسم العزاء كالتي تُقام في عاشوراء و التجمّع في المساجد و الخروج في مسيرات كبيرة، كما شارك أبناء العامّة كذلك في مراسم العزاء تلك استنكاراً لِما قامَ به الوهابيون. (منظمة الوثائق الوطنية الإيرانية، الوثائق ٢٩٣٦٨٨٣ و ٢٩٠١١٥٦ و ٢٩١٢١٩٣ و ٢٩٣٥٥٣٧).

الهجوم على الحكومة البريطانية :

ألقى (آقا سيّد جلال) ـ رئيس دائرة البريد الحكومية ـ كلمة على جمع غفير من أهالي بندر عباس خلال مراسم العزاء التي أقيمت اليوم (السبت ٤/ ٩/ ١٩٢٥م) ندّد فيها بقيام الوهابيين بهدم و تخريب الأماكن المقدّسة في المدينة المنوّرة. و خلال شجبه لهذه الجريمة هاجم (آقا سيّد جلال) الحكومة البريطانية و حمّلها مسؤولية تشجيع الوهابيين على الاعتداء على الأماكن المقدّسة للمسلمين و تقديم الأسلحة لهم، و شدّد السيّد على ضرورة انتفاض جميع المسلمين ضدّ بريطانيا. (وثائق وزارة الخارجية، ٤٥-١-٣٠-١٣٠٤).

انتفاضة الشعب الهندي :

بعث الممثّل السياسي الإيراني في الهند برسالة إلى وزارة الخارجية أشار فيها إلى تجمّع المسلمين في مدينة (لاهور) و (لكنهو) و (بومباي) و (تبنا) و أضاف: «إنّ الغضب الجماهيريّ ما زال مشتعلاً كما خطب محمّدعلي جناح ـ أحد قادة المسلمين ـ في جمع من أهالي مدينة لاهور و أكّد على ضرورة إعلان الجهاد و قال: إنّنا لا نحتاج إلى أيّ مساعدات أبداً من الحكومة البريطانية بل نطلب المساعدة و الدّعم من الدول الإسلامية فقط مثل تركية و إيران و أفغانستان».

و قال الممثّل السياسي الإيراني في رسالته: «وصل العديد من الرسائل من بعض التشكيلات و التجمّعات إلى مكتبنا هناك تشكر فيها قيام مجلس الشورى الوطني بإدانة جرائم الوهابيين». و في ختام الرسالة قال الممثّل السياسيّ: «لقد تمّ نشر بيان وزارة الخارجية باللغة الأردو و الإنجليزية و الفارسية في الصحف المحلية». (وثائق وزارة الخارجية، ١١١-١-٣٠-١٣٠٤).

تجمّع الإيرانيين المقيمين في (تفليس) و(عشق آباد) :

ذكر الجنرال في القنصلية الإيرانية في مدينة (تفليس) أنّ الإيرانيين المقيمين في تلك المدينة تجمّعوا في مسجد (شاه عباس) استنكاراً للإهانة و التخريب اللذيْن ارتكبهما الوهابيون ضدّ الأماكن المقدّسة في مكّة و المدينة المنوّرة، ثمّ أضاف قائلاً: «إنّ الرأي الرّسمي للحكومة الحالية هو أنّ تصرّف ابن سعود هو من تدبير البريطانيين و أنّهم هم المُقصّرون الحقيقيون»، إلّا أنّ تصريحات الجنرال المذكور تشير بشكل غير حيادي و لا يُعارض بيان وزارة الخارجية الموقّرة إلى أنّ ابن سعود هو المُسبّب لتلك الأعمال. (المصدر نفسه، ١٠-١-٣٠-١٣٠٤).

و قد حرّر المجتمعون رسالة حملت توقيعاتهم رفعوها إلى مجلس الشورى الوطني

و رضا شـاه مُعلنين اسـتعدادهم للذهاب إلى الحجاز و اسـتئصال جـذور الوهابيين هناك. (المصدر نفسـه، ٢/ ٩ و٣/ ٩-١-٣٠-١٣٠٤).

تقارير أخرى حول هجوم الوهابيين على المدينة :

بعـث (حبيـب الله هويدا) ـ الجنـرال في القنصلية الإيرانية في الشـام ـ رسـالة إلى وزارة الخارجيـة بتأريـخ (٥/ ٩/ ١٩٢٥م) ذكـر فيهـا ورود أخبـار عـن مصادر مختلفة تشـير إلى هجـوم الوهابيـين على المدينـة المنـوّرة ممّـا أدّى إلى هدم و تخريـب ضريح حمـزة عليه السلام الواقع خـارج القلعـة ، لكن بما أنّ القلعـة المذكورة قويّة و محكمة فقد اسـتطاع مقاتلو (سـاخلو) الدفـاع و المقاومـة ببسـالة وردّ الوهابيين على أعقابهم. و قد تعرّضـت قبة خاتم النبيين صلى الله عليه وآله إلى أضرار جسـيمة بسـبب القصـف الوهـابي ، و مـا زالت المدينـة المنوّرة محـاصرة من كلّ جانـب ، لكـن من المُسـتبعد أن يتمكّـن الوهابيون من الاسـتيلاء على المدينـة و احتلالها.

و أضاف السـيد (هويدا) في رسـالته المذكورة أنّ هذه الأعمال تُمثّـل عاراً على الوهابيين حيـث أثـارت أفعالهم غضب مسـلمي العالم الشـديد ضدّهـم ، و قد شرع النـاس في جميع المـدن بلَعنهـم عـلى المنابـر. و قـال (هويـدا) كذلـك: «إنّ ابن سـعود يحاول جاهـداً حفظ مـاء وجهه عَـبر تكذيب الموضـوع برمّته ، لكـن لم يَعُد ذلك ينفعـه الآن».[1]

تجمّع الإيرانيين المقيمين في (بادكوبه) ضدّ الوهابيين :

ذكر السـيد (أسـد الله يمين إسـفنديارى) ـ الجنرال في القنصلية الإيرانيـة في (بادكوبه) ـ أنّ الإيرانيـين المقيمـين في تلك المدينة تجمّعوا في المسـاجد يـوم (٥/ ٩/ ١٩٢٥م) و عبّروا عـن اسـتنكارهم إزاء الأعـمال التـي قـام بهـا الوهابيـون و تخريبهـم للأماكـن المقدّسـة في المدينـة المنـورة ، كـما أعلنـوا اسـتعدادهم للتضحيـة بأرواحهـم في سـبيل مذهبهـم إذا

١. (وثائـق وزارة الخارجيـة ١٧٦ - ١-٣٠- ١٣٠٤) سـنبيّن في التقارير اللاحقـة دور حبيب الله هويدا (عـين الملك) الـذي ينتمي للفرقـة البهائية في التقليل من شـأن موضـوع التخريب.

سـمحت لهـم الحكومـة الإيرانية.

و أضـاف (يمـين إسـفنديارى) قائـلاً: «رغـم هيمنـة الحكومـة السـوفياتية و فـرض الرقابـة الشـديدة عـلى الصحـف التـي تتّبـع أوامـر و توصيـات الحـزب الشـيوعي بدقّـة و رغـم مُعارضـة الحكومـة المحلية كذلك لـكلّ ما يمـتّ بصِلة بالديـن ، إلّا أنّه تمّ نشـر بيـان وزارة الخارجيـة في الصحـف الروسـية و التركيـة». (وثائـق وزارة الخارجيـة، ٩٥ و٩٤-١-٣٠-١٣٠٤).

مَكر السعوديين في تكذيب الأخبار :

عمـدت لجنـة الخلافـة في المجلـس الأعـلى للمسـلمين في بيـت المقدس و فلسـطين ، عمـدت إلى تكذيـب الأخبـار المتعلّقة بالقصف الوهـابي للمدينة المنـوّرة. و ورد في البرقية التـي أُرسـلت إلى وزيـر الخارجية الإيـراني بهذا الصدد أنّ ابن سـعود كـذّب تلك الأخبار عـلى لسـان ممثّلـه في مـصر و قـال: «إنّ القضيـة برمّتهـا هـي مـن افـتراء الأعـداء الذيـن يحاولـون التقليـل مـن شـأن العاملـين المسـلمين و إشـعال الفتنـة العقائديـة بـين الإخوة المسـلمين». (وثائـق وزارة الخارجيـة، ١٨٢-١-٣٠-١٣٠٤).

تأييد الشركات الأجنبية :

بعـث ممثّلو الـشركات الأجنبية العاملـة في (أراك) برقية إلى وزير الخارجيـة عبّروا فيها عن أسـفهم الشـديد و مواساتهم للعالم الإسـلامي و لا سيّما الشـعب الإيراني النّبيل الذي يعيشـون بين ظهرانيه بمودّة و محبّة. (وثائق وزارة الخارجيـة، ٣٢-١-٣٠-١٣٠٤).

إنعكاس تلك التجمّعات على أهالي الشام :

أطلـع (حبيـب الله هويدا) ـ الجنـرال في القنصليـة الإيرانية في الشـام ـ وزارة الخارجية بتأريـخ (٩/ ٩/ ١٩٢٥م)، أطلعهـا بقيامـه بنـشر بيـان الحكومـة الإيرانيـة الـذي تُديـن

فيه أعمال الوهابيين في الصحف المختلفة في الشام و بيروت و طرابلس و حلب و الإسكندرية و فلسطين ، فكان لذلك انعكاس و تأثير كبير في أهالي تلك البقاع حيث بعث السرور و الفرحة في قلوب المسلمين بسبب الغيرة الإسلامية التي أبدتها الحكومة العليّة في إيران ممّا دفع الكثير من العلماء و التجّار و الشباب و طلاب المدارس في الشام إلى التجمّع أمام القنصلية الإيرانية للتعبير عن شكرهم و امتنانهم و اعتبار إيران الدولة الإسلامية الوحيدة المُدافعة عن الدين. و أضاف الجنرال الإيراني قائلاً: «من المُقرّر أن يجتمع الناس من مختلف الطبقات يوم غد الجمعة (١٠/ ٩/ ١٩٢٥م) في مساجد الشام للتعبير عن استنكارهم لأعمال الوهابيين ثمّ القيام بعدد من المظاهرات ؛ لكن بما أنّ القتال ما زال قائماً بين الفرنسيين و الدروز و خضوع مدن الشام إلى الأحكام العرفية، فمن المُستبعد أن يُسمَح للناس بالتجمّع و التظاهر و ذلك لخوف السلطات من أن يُتَّخَذ ذلك ذريعة لانتفاض الناس الساخطين على الحكومة المحلية ضدّها و وقوع بعض الأحداث».

و في موضع آخر من تقريره حول آثار الإجراءات التي قامت بها الحكومة الإيرانية في إدانة الوهابيين ، قال السيد (هويدا): «إنّ أهالي هذه المناطق أبدوا امتعاضهم كذلك ضدّ الحكومة التركية لعدم اهتمامها في هذا الوقت العصيب بما يحدث في المدينة المنوّرة و قصف الوهابيين لها و لقبر الرسول صلى الله عليه وآله و حماية الدين المبين كما فعلت الحكومة الإيرانية و تركيزها على إجبار الناس على ارتداء القبب». (وثائق وزارة الخارجية، ١٤١-١-٣٠-١٣٠٤).

طلب أهالي المدينة المنوّرة للنّصرة و المَدد :

أرسل جماعة من أهالي المدينة المنوّرة بتأريخ (١٠/ ٩/ ١٩٢٥م) برقية إلى الملك (أحمد شاه) و العلماء في إيران يُعلمونهم فيها بتعرّض المدينة المنوّرة لحصار الوهابيين و قطع المياه و الخبز عنهم ؛ و لم يُعرَف التأريخ الدقيق لوصول البرقية المذكورة إلّا أنّ

(جعفر قلي خان بختياري) ـ وزير البريد و الكهربا آنذاك ـ كتب في مذكّراته ما يلي:

«سلّمتُ البرقية المذكورة إلى سيادة (رضا شاه) بنفسي، و بعد أن نظر فيها قال: إبعثوا البرقية مباشرة إلى الملك و العلماء. فسلّمت نسخة من البرقية إلى وليّ العهد و النسخة الأخرى الخاصّة بالعلماء إلى سماحة (آقا ميرزا محمّد البهبهاني». (يوميات التأريخ الإيراني المعاصر ٥ : ٣٠٥).

كما أُرسلَت نسخة من تلك البرقية كذلك إلى رئيس البلدية و علماء النّجف حيث كان القنصل في النّجف قد أرسلها إلى وزارة الخارجية.

و فيما يلي نَصّ رسالة أهالي المدينة المنوّرة:

«نحن إخوانكم الساكنين في أفضل البقاع المقدّسة مُحاصرون في الوقت الحاضر، و قد منع الوهابيون العصاة دخول الماء و الخبز إلى سكّان مدينة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله منذ شهر كما قطعوا جميع الطرق، و قد أوشكنا على الهلاك بسبب الجوع و العطش. و من الأفعال القبيحة التي يقوم بها أفراد هذه الطائفة الضالّة قصفهم لقبر الرسول الكريم صلى الله عليه وآله و آل بيته عليهم السلام، و قد استهدفوا بقصفهم المئذنة ممّا أجبر المؤذّن على النزول بعد تحطّمها تماماً. كما عمد الوهابيون إلى تخريب قبر حمزة سيّد الشهداء عليه السلام عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله و قد كانوا هدّموا قبل ذلك قبر ابن عبّاس في الطائف، و لم يكتفوا بذلك بل كتبوا إلينا يقولون: أنتم كُفّار تعبدون حمزة! و من الأعمال القبيحة لهذه الطائفة أيضاً اعتدائهم على قبر الرسول الكريم صلى الله عليه وآله و قتلهم للأهالي الأبرياء في تلك البلدة الطيبة. فنحن لا يسعنا أبداً الاستسلام لهذه الطائفة الضالّة حتى و لو هلكنا جميعاً. ألا يُثير هتك حرمة هذه الأماكن المقدّسة و القيام بتلك الأعمال الشنيعة الغضب فيكم؟ فإذا لم تُسارعوا إلى نجدتنا رغم عدد المسلمين الكبير في الأرض فبما ذا ستُجيبون الله و رسوله يوم القيامة و ما هو عذركم؟ هل يمكنكم تحمّل كلّ ذلك و الجلوس آمنين و أنتم تشهدون ما تفعله هذه الطائفة الضالّة بنا؟ يا أيّها المسلمون! يجب عليكم مساعدتنا

و تخليصنا بأرواحكم و أموالكم و اقترحوا على كلّ دولة إسلامية أمراً ما و أطلعوهم على ضرورة وضع نهاية لهذه الحرب و إراحتنا من شرّ هؤلاء. إنّ الحرب القائمة في (الحرمين) هي بين طائفتيْن مسلمتيْن، و قد خاطب الوهابيون أهل الحرمين قائلين: إنّ مَن يشهد بالرسالة بعد كلمة التوحيد فهو كافر. و قد أجبروا الناس هناك على قول: «لا إله إلّا الله مالك يوم الدين»، دون زيادة أو نقصان، و أنّه إذا أضاف أحد ما أيّ كلمة زيادة عن ذلك فهو مشرك و كافر. كما أباح الوهابيون أموال المسلمين دون وجه حقّ و احتلّوا بيوتات المسلمين و جعلوا المسلمين عبيداً و إماءً عندهم و أنكروا ضرائر الدين الإسلامي. إنّ الذين تمّ أسرهم من قِبل الوهابيين هم مسلمون حقيقيون و هم الذين يدافعون عن دين محمّدﷺ و عليه، فإنّ من واجب كلّ مسلم المساعدة و الدعم. يا أهل الإحسان و التقوى! هل نسيتم ما فعله أجداد هذه الطائفة ببيت الله الحرام و ضريح الرسول محمّد المصطفىﷺ و الخسائر و الأضرار التي حدثت عند دخولهم البيت الحرام؟ ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا**﴾. لقد قصف هؤلاء قبّة الرسولﷺ و أصحابه؛ أليس ذلك كُفر و ضلال و وقاحة؟ سارعوا إذاً إلى نجاتنا و تخليصنا من هذه المحنة و هذا البلاء؛ إنّا وكّلنا أعمالنا إلى الذي كان بعباده بصيراً». (وثائق وزارة الخارجية، ١٢٤-١-٣٠-١٣٠٤).

برقية المسلمين في (باتوم) بجرجستان:

بعث حوالي مئة و خمسين شخصاً من مسلمي (باتوم) ـ و هي ميناء يقع في جرجستان ـ برقية إلى مجلس الشورى الوطني و رضا شاه و ذلك بتأريخ (١٠/ ٩/ ١٩٢٥م) عبّروا فيها عن غضبهم و امتعاضهم لِما ارتكبه الوهابيين، و ذكروا في برقيّتهم أنّهم عطّلوا كلّ الأعمال بعيون باكية و قلوب مُعتصرة و اعتصموا في مسجد الإيرانيين ليظهروا اشمئزازهم و مقتهم الشديديْن للطائفة الوهابية الساقطة و الملعونة.

و أضاف مسلمو (باتوم) في برقيّتهم تلك أنّهم رهن إشارة الحكومة الإسلامية في إيران بفارغ الصّبر. (وثائق وزارة الخارجية، ١٢٣-١-٣٠- ١٣٠٤).

تقرير من لندن :

أطلع (نادر آراسته) ـ الممثّل السياسي لإيران في لندن ـ وزارة الخارجية أنّ التحقيقات التي أجراها بنفسه تشير إلى صدق الأخبار المتعلّقة بقصف و تخريب الأماكن المقدّسة للمسلمين في مكّة و المدينة ، و أضاف قائلاً: «لقد أثارت الأعمال التي ارتكبها الوهابيون الغضب و السّخط لدى مسلمي الهند أكثر من أيّ مكان آخر و أعتقد أنّ تكذيب ابن سعود للأخبار جملة و تفصيلاً إنّما هو للتخفيف من غضب المسلمين. و في الوقت الحاضر فقد تسبّبت هذه القضيّة بصدمة أخلاقية كبيرة لسياسة ابن سعود و لا سيّما تحقيق أهداف أتباع الوهابيين». (وثائق وزارة الخارجية، ١٤٤ و١٤٣-١-٣٠-١٣٠٤).

ممثّل ابن سعود في جنوب الخليج الفارسي :

أطلعت ممثلية الخليج الفارسي وزارة الخارجية عن قيام ممثّل ابن سعود مؤخّراً بزيارة كلّ من دبي و الشارجة و أبو ظبي لدعوة أمرائها إلى دعم و تأييد الوهابيين ، لكنّ أمراء تلك المناطق لم يقدّموا الممثّل ابن سعود أيّ جواب صريح بشأن ذلك ، و قالوا إنّهم سيتصرّفون بما يقتضيه التكليف بعد المشاورة و المداولة.

و أضاف ممثّل الخليج الفارسي قائلاً: «دعا بن صقر ـ أمير الشارجة ـ جميع رؤساء العشائر و عقد معهم جلسة تشاور سريّة ، و عقدوا بينهم ميثاقاً ضدّ ابن سعود». (وثائق وزارة الخارجية، ١٠٣-١-٣٠-١٣٠٤).

إجراءات المراجع في النّجف الأشرف :

بعث آية الله العظمى السيد أبو الحسن الإصفهاني و آية الله العظمى محمّد حسين

النائيني برقية إلى شيخ الأزهر و مُفتي مصر ذكرا فيها أنّ المدينة المنوّرة التي تُعدّ من شعائر الإسلام التي ينبغي الحفاظ عليها تتعرّض للقصف و أنّ أبناء تلك المدينة الشريفة مُحاصرون.

و قال العالمان الجليلان في برقيّتهما: «لقد أرسلنا خطاباً إلى الحكومة و الشعب الإيرانيين و أظهروا تأثّرهم و غضبهم، و نتمنّى من مقامكم الدينيّ الرفيع و حكومتكم الإسلامية المساهمة و المشاركة لدرء هذه الغائلة الشريرة». (وثائق وزارة الخارجية، ١٣٠٤-١-٣٠-١٠٣).

و وقّعت البرقية هكذا: علماء المذهب الجعفري، أبو الحسن الموسوي الإصفهانيّ، محمّد حسين النائينيّ، والله المستعان.

الظروف تزداد صعوبة و حرجاً:

نشرت صحيفة (تايمز) خبراً بتأريخ (١٦/ ٩/ ١٩٢٥م) مفاده أنّ الوهابيين استولوا على المدينة المنوّرة. (وثائق وزارة الخارجية، ١٣٠٤-١-٣٠-٢٣).

و بدأ البريطانيون بالعمل، فأعلنت مصادرهم أنّه مع قيام الحكومة الإيرانية بتشكيل لجنة لمتابعة ما يفعله الوهابيون في مكّة و المدينة المنوّرة إلّا أنّهم يميلون في الوقت الحاضر إلى الإصرار على عدم صحّة التقارير الواردة. (المصدر نفسه، Foe6242/82/34/23).

تجمّع علماء النّجف الأشرف عند الضريح الطاهر:

أعلن نائب القنصل الإيراني في النّجف الأشرف عصر يوم الخميس (١٦/ ٩/ ١٩٢٥م) أنّ جميع العلماء الإيرانيين و العرب و كذلك طلاب العلوم الدينية تجمّعوا في إيوان الضريح الطاهر و حضرت هناك جموع غفيرة أيضاً و اعتلى أحدهم المنبر و تلا على

الجموع البرقيات الواردة من المدينة المنوّرة خلال الأيام القليلة الماضية، ثمّ دعا المسلمين إلى الاتّحاد و الألفة؛ و بعدها تفرّق الجميع. (وثائق وزارة الخارجية، ١٠٨-١-٣٠-١٣٠٤).

مؤامرة الفرنسيين:

بعث (حبيب الله هويدا) ـ الجنرال في القنصلية الإيرانية في الشام ـ برسالة إلى وزارة الخارجية قال فيها: «إنّ خبر سقوط المدينة المنوّرة بيَد الوهابيين كان شائعة نشرتها الحكومة الفرنسية عَبر وكالة أنباء (هاواس) التابعة لها». و أضاف (هويدا) أنّ الحكومة الفرنسية أجبرت الصحف البيروتية على طبع الخبر المذكور فأرادت بذلك أوّلاً إبطال تأثير بيانات الحكومة الإيرانية في المنطقة عَبر نشر خبر سقوط المدينة و أنّ الأوان قد فات لفعل أيّ شيء لأنّ تلك البيانات كانت قد تسبّبت في إثارة الغضب لدى أهل الشام، كما أنّ الحكومة الفرنسية كانت تهدف من وراء ذلك إظهار قوّة الوهابيين و بطشهم للآخرين حتى تمنّ على الوهابيين، لأنّهم كانوا قد استأجروا عدداً من هؤلاء الوهابيين لحماية الطريق من الشام إلى بغداد. إضافة إلى ذلك فإنّ الحكومة الفرنسية تضمر حقداً ضدّ الشريف حسين، فهي تعتبره و أبناءه السبب الرئيس في إشعال ثورة الدروز الذين ما زالوا يقاتلون الجنود الفرنسيين. (يوميات التأريخ الإيراني المعاصر ٥ : ٣١٧).

إيفاد ممثّل للتحقيق في أعمال الوهابيين:

بعثت وزارة الخارجية الإيرانية بتأريخ (٢١/ ٩/ ١٩٢٥م) برقية إلى (غفار خان جلال السلطنة) ـ الوزير الإيراني المختار لدى مصر ـ تأمره فيها بالسفر برفقة (معتضد السلطنة) و أحد المترجمين إلى جدّة و مكّة للتحقيق في أعمال الوهابيين في مكّة و المدينة المنوّرة. و جاء في البرقية المذكورة أنّ (مبلغ ٤٠٠ پوند إنجليزي) تمّ إرساله عَبر البنك

الشاهنشاهي لتنفيذ هذه المهمّة. و أمّا النقطة الأهمّ في تلك البرقية فهي أنّ الحكومة لا تودّ بأيّ شكل من الأشكال دخول الوزير المختار في وساطة في المباحثات التي تجري مع ابن سعود و الأمير علي و أنّ الهدف الرئيس من هذه المهمّة هو الاطّلاع على الأوضاع في تلك المنطقة و التحقيق في صحّة أو سقم الأخبار المتعلّقة بتعرّض الأماكن المقدّسة للإهانة و التخريب و منها هدم بيت خديجة عليها السلام و قبرها. و أنّه خلال التقائكم بابن سعود و الأمير علي بيّنوا لهما أنّه لا بدّ من إشراك حكومتنا رسمياً في الهيئة التحقيقية الخاصة بالبحث في الإهانات الواردة على الأماكن المقدّسة لكي نُطلع حكومتنا بما شاهدناه، و بشكل خاصّ و ضمن إظهار تلك البيانات بيّنوا أنّ الحكومة الإيرانية تبدي غاية اهتمامها بموضوع الحفاظ على الأماكن الإسلامية المقدّسة و أنّه إذا كانت الأخبار المنتشرة صحيحة فإنّها لن تبخل ببذل كلّ جهد و نفوذ في سبيل إصلاح ما فسد.

كما أُرسِلت برقية أخرى إلى (معتضد السلطنة) لكي يصحبكم إلى هناك، فأرسلوا قائمة بنفقاتكم اللازمة فإذا كانت هناك نفقات إضافية اذكروها. و قد أُرسلت برقية ثانية إلى (عين الملك) للسفر إلى المدينة. (وثائق وزارة الخارجية، ١٥-١-٣٠-١٣٠٤).

إنتقال السلطة في إيران:

كانت الظروف داخل إيران حرجة للغاية، فقد كان البريطانيون و عملاؤهم مشغولين وراء الكواليس في وضع خطّة لنقل السلطة في إيران و إنهاء الحكم القاجاري. و في (٣٠/ ١٠/ ١٩٢٥م) و بعد الانتهاء من المقدّمات الأوليّة تمّ خلع القاجاريين من المُلك و تكليف رضا شاه بتشكيل حكومة مؤقّتة، لكنّ المرحوم آية الله المدرّس عارض هذا الأمر إلّا أنّ المجلس صادق على قيام الحكومة المؤقّتة برئاسة رضا شاه بأغلبية أعضائه. فاضطرّ آية الله المدرّس إلى ترك قاعة المجلس و قال في أثناء خروجه: «إنّ هذا مخالف للقانون حتى و لو أيّده مئة ألف رأي»! (المدرّس، الدورات التشريعية

الخمس٢ : ٢٠٥).

و يُذكَر أنّ رضا شاه كان قبل ذلك حارساً في السفارة البريطانية في طهران ثمّ رُقي إلى منصب رئاسة الوزراء و وزارة الحربية ، حتى أعلن نفسه ملكاً على إيران. (وثائق وزارة الخارجية، ٣ و٢-٢٤-٦٤-١٣٠٤).

و كان للجنرال (آيرونساید) دور كبير في مجيء رضا شاه إلى السلطة عندما كان يرأس القوات البريطانية في شمال غرب إيران ، بحسب ما ذكرته صحيفة (ويست مينيستر كازيت) طبعة لندن. (المصدر نفسه : ٨٠).

و هكذا أصبح موضوع هجوم الوهابيين على المدينة و الجرائم التي ارتكبوها موضوعاً ثانوياً إلى حدّ ما في ظلّ الظروف المذكورة من جهة ، و ضعف الحكومة العثمانية و الظروف التي كانت تمرّ بها المنطقة و العالم أجمع ، لكن بتأريخ (٧/ ١٢/ ١٩٢٥م) استطاع آية الله المدرّس إحياء موضوع البقيع من جديد خلال كلمته في المجلس و الإشارة إلى الأخبار المنشورة في بعض الصحف الإيرانية المتعلّقة باستيلاء الوهابيين على المدينة المنوّرة. و ممّا قاله آية الله مدرّس: «قبل بضعة أشهر عندما انتشرت تلك الأخبار حصل حراك كبير بمقتضى الواجب السياسي و الديني و أُعلن يوم ما عطلة رسمية و تقرّر إرسال ممثّلين عن وزارة الخارجية إلى نجد ليأتوا بالأخبار الصحيحة ؛ لكن هذه المرّة ، و عند نشر الخبر المذكور و كذلك الخبر القائل بقيام الوهابيين بعقد الاتفاقيات و المعاهدات مع دولة عظمى ، فإنّنا لم نشهد سوى السكوت و الخنوع ، فما هو الصواب»؟

ثمّ أشار آية الله المدرّس إلى تأريخ ظهور الوهابيين و قال: «ينبغي لأهل مكّة و المدينة أن يعلموا بأنّنا لم نسكت ، و أقول بالأصالة عن نفسي و بالنيابة عن جميع السادة الحضور في هذا المجلس و الشعب الإيراني إنّه لا بدّ من إعلان سخطنا و غضبنا لِما حَدث ، و أن لا نبق ساكتين و مكتوفي الأيدي إزاء تلك الحوادث بل يجب

أن نُعـدّ ما اسـتطعنا من قـوّة و طاقة و أن نكـون حذرين و يقظين ، إذن ، مَن المسـؤول عن هـذا السـكوت و الخنوع؟ أنـا؟ كلّا». (صحيفـة إيران، السـنة العاشرة، العـدد «١٩٧٥»، ص ١).

إنتقال السلطة إلى رضا شاه :

اعتـلى رضـا شـاه العـرش في يـوم السـبت (١١/ ١٢/ ١٩٢٥م) بعـد قيـام مجلـس المؤسسـين بتسميته ملكاً ، فسـارع البريطانيون و الفرنسـيون و الإيطاليون و مؤيّدوهم إلى الاعتراف رسـمياً بهذا الانتقال للسـلطة باعتبارهـم المخرجين الأصليـين لعملية الانتقال هـذه. (يوميـات التأريخ الإيـراني المعـاصر٥ : ٤٨٦).

و قـد أدّى تغـيّر الحكومـة في إيـران و التحـوّلات في الحجـاز و حكـم الوهابيـين مـن جهـة إلى منـع الحكومـة المؤقّتـة الإيرانيين من الذهـاب إلى الحـجّ (صحيفة «إيران» السـنة العـاشرة، العـدد «٢٠٤٤»، ص ٢) و مـن جهـة أخرى تراجـع العلماء و الشـعب الإيراني عـن متابعـة موضـوع المدينـة و لم يَعُـد يُنـشَر في الصحف أيّ خـبر مهمّ.

رسالة ابن سعود لإيران :

بعـث عبـد العزيـز بن سـعود الـذي سـمّى نفسـه ملكاً عـلى الحجـاز و سـلطان نَجد و ضواحيهـا، بعـث في (٨/ ٢/ ١٩٢٦م) برسـالة إلى نائـب القنصليـة الإيرانيـة في جـدّة و طلـب منـه إرسـالها إلى الحكومـة الإيرانيـة فـوراً. و كان بن سـعود قد كتب في الرسـالة المذكـورة أنّ كلّ منطقـة الحجـاز تنعـم في أمـن و سـلام بفضـل الله و أنّ النـاس يـؤدّون مناسـكهم الدينيـة بحرّيـة تامّـة و منها زيارة مسـجد الرسـول الأعظـمﷺ و أنّ حكومته تتعهّـد بتوفـير الراحـة و الأمن للحجّـاج ، و أنّ ما يشـيعه الأعـداء من أنّ بـلاده لا تتمتّع بالحريـة و الأمـن غير صحيـح لأنّهم يسـعون إلى تعطيل الشـعائر الإسـلامية... إلى آخره. و قـد أدرجت صـورة الرسـالة في هـذه المقالة.

مساعي السعودية لإقامة علاقات مع إيران :

سعى الحكّام في السعودية إلى استخدام ذريعة الحجّ لإقامة علاقات وديّة بين البلديْن، و كان السفير الإيراني في مصر قد بعث بتقرير إلى طهران في (٢٩/ ٣/ ١٩٢٦م) ذكر فيه آثار وتبعات منع الوهابيين لصدور الجوازات للحجّاج الإيرانيين قائلاً: «زارني بعض أصدقاء ابن سعود و طلبوا منّي السّعي إلى إقناع الحكومة الإيرانية لكي تتخلّى عن هذا الموضوع و تدعم ابن سعود. و قد أقنعتهم بالأدلّة بأنّه لا يحقّ لابن سعود و أتباعه مؤاخذة إيران ، و أنّ إيران قد بذلت ما بوسعها للتفاهم مع ابن سعود».

و أضاف السفير الإيراني قائلاً: «إنّه و من أجل إقامة علاقات وديّة بين الحكومتيْن العليّتيْن فقد قضيتُ مدّة شهر كامل في براري الحجاز تحت حرارة الشمس لكنّ ابن سعود لم يَفِ بأيّ من التزاماته الخطيّة مع الحكومة الإيرانية و غيرها ، بل و لم يكلّف نفسه حتى في تقديم العذر لعدم إيفائه بعهوده. و مع هذا كلّه فإنّني سأبذل كلّ ما في وسعي لإقامة علاقات طيّبة بين البلديْن». ثمّ خاطب السفير العلماء المقرّبين من ابن سعود قائلاً: «من الأفضل لكم أيضاً أن تنصحوا ابن سعود و ترشدوه لكي يُغيّر سلوكه بعض الشيء حتى تؤتي جهودي ثمارها من أجل إقامة علاقات طيّبة بين البلديْن ، و تعهّد أصدقاء ابن سعود بتقديم النصائح اللازمة إليه خطيّاً». (منظمة الوثائق الوطنية في إيران، ٨-٣١٠٠٠١٣١٨).

***

الوثائق :

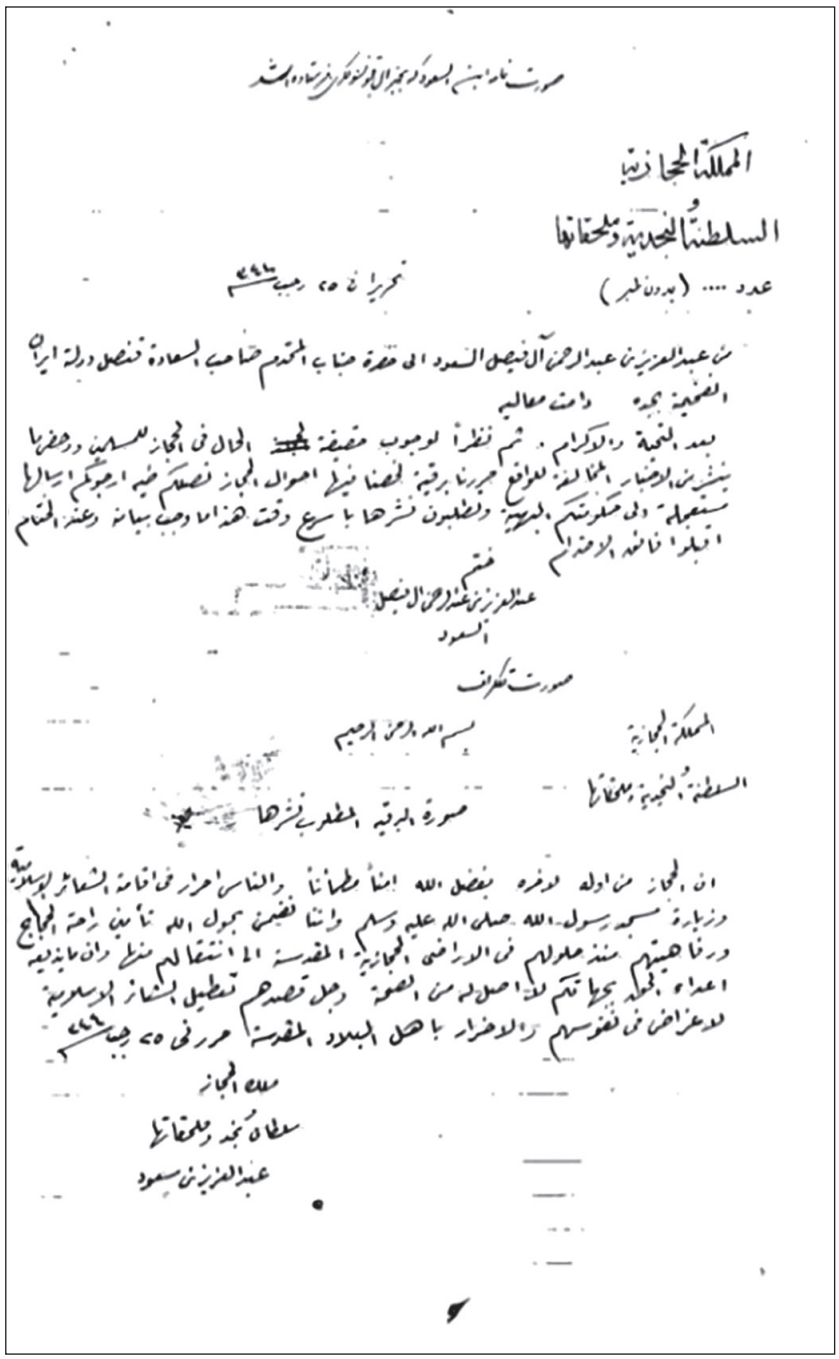

صورت نامه ابن السعود كه بجواب تلگرافي فرستاده شد

المملكة الحجازية
السلطنة النجدية وملحقاتها

عدد .... (بدون نمبر) تحريراً في ٥ رجب ١٣٤٦

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل السعود الى حضرة جناب المحترم صاحب السعادة قنصل دولة ايران الفخيمة بجدة دامت معاليه

بعد التحية والاكرام . ثم نظراً لوجوب مصلحة الحال في الحجاز للمسلمين وحضرة بيشي من الاضطراب المنافية للواقع حررنا برقية لحضرة نائب اصوال الحجاز نصلكم صورتها لجوكم سيالها سيصلكم الى حكومتكم البرقية والمطلوب نشرها باسرع وقت هذا ما وجب بيانه وعند المقام اقبلوا فائقه الاحترام

ختم
عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل
السعود

صورت تكراف

المملكة الحجازية بسم الله الرحمن الرحيم

السلطنة النجدية وملحقاتها

صورة البرقية المطلوب نشرها

ان الحجاز من اوله لآخره بفضل الله امناً مطمئناً والناس احرار في اقامة الشعائر الدينية وزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم واننا نغتنم هذه الفرصة لنهنئ الحجاج ورفاهيتهم منذ حلولهم في الاراضي الحجازية المقدسة الى انتقالهم منها وان ما يذيعه اعداء الحكومة بحيث تتم لذة اصول الصحة وجل قصدهم تعطيل الشعائر الدينية لاغراض في نفوسهم والاضرار باهل البلاد المقدسة حررت في ٥ رجب ١٣٤٦

ملك الحجاز
سلطان نجد وملحقاتها
عبد العزيز بن سعود

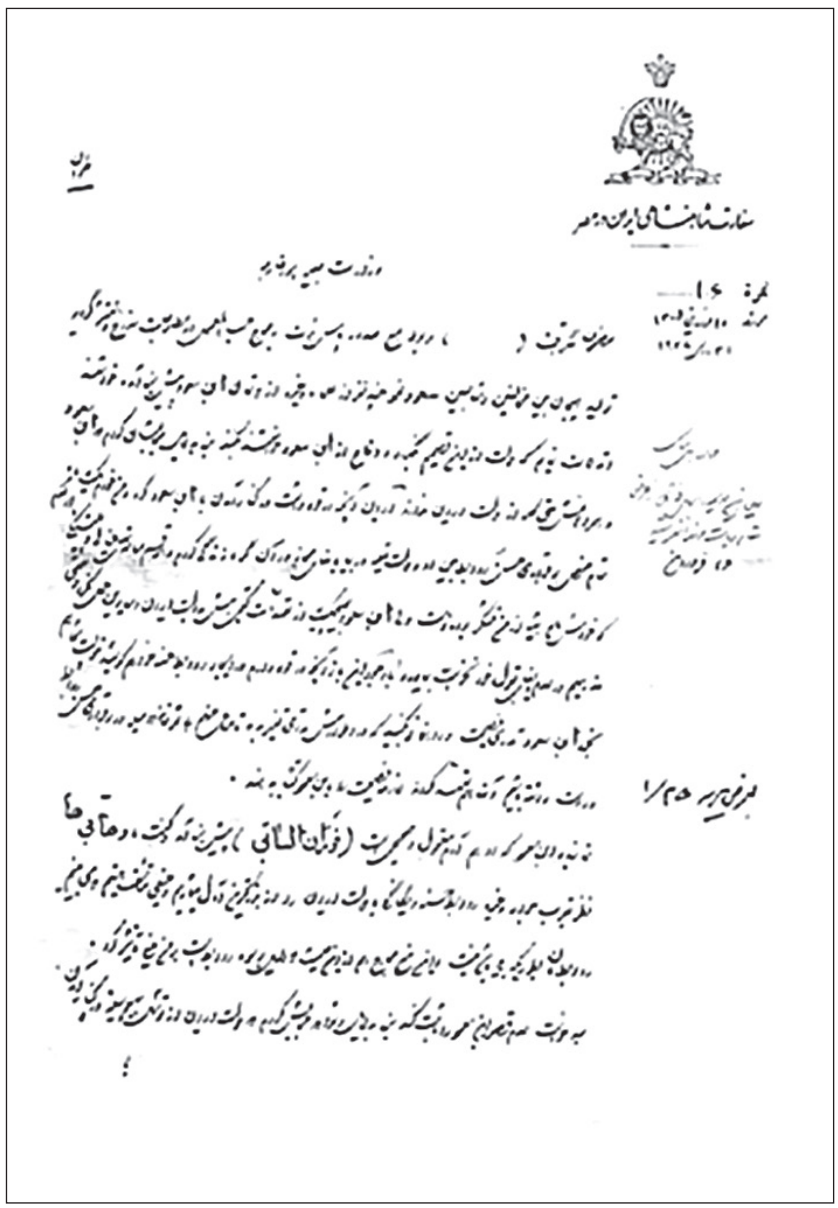

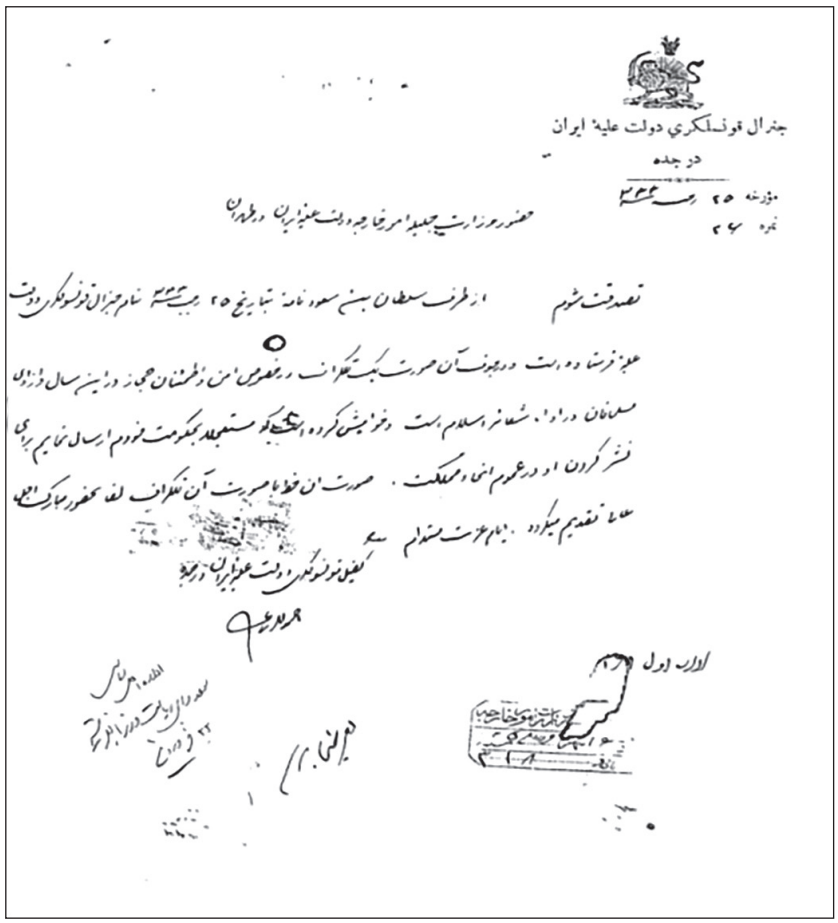

جنرال قونسلگري دولت عليهٔ ايران

در جده

نمره ۲۶

حضور وزارت جليلهٔ امور خارجه دولت عليهٔ ايران در طهران

تصديق شوم

از طرف سلطان بسن سعود نامه بتاريخ ۲۵ ربيع ۳۴۴ بنام جنرال قونسولگري دولت عليهٔ فرستاده است در جواب آن صورت يک تلگراف در خصوص امن و اطمينان حجاج در اين سال فرزندان مسلمانان در اداء شعائر اسلام است و خواهش کرده است که مستدعا است بحکومت خود ارسال نمايم براي نشر کردن او در عموم امنا و ممالک . صورت آن خطا صورت آن تلگراف لفا بحضور مبارک حضرت اجل تقديم ميگردد . بنام عزت مستدام

کفيل قونسولگري دولت عليهٔ ايران در جده

اوراد اول

سفارت شاهنشاهی ایران در مصر

نمرة

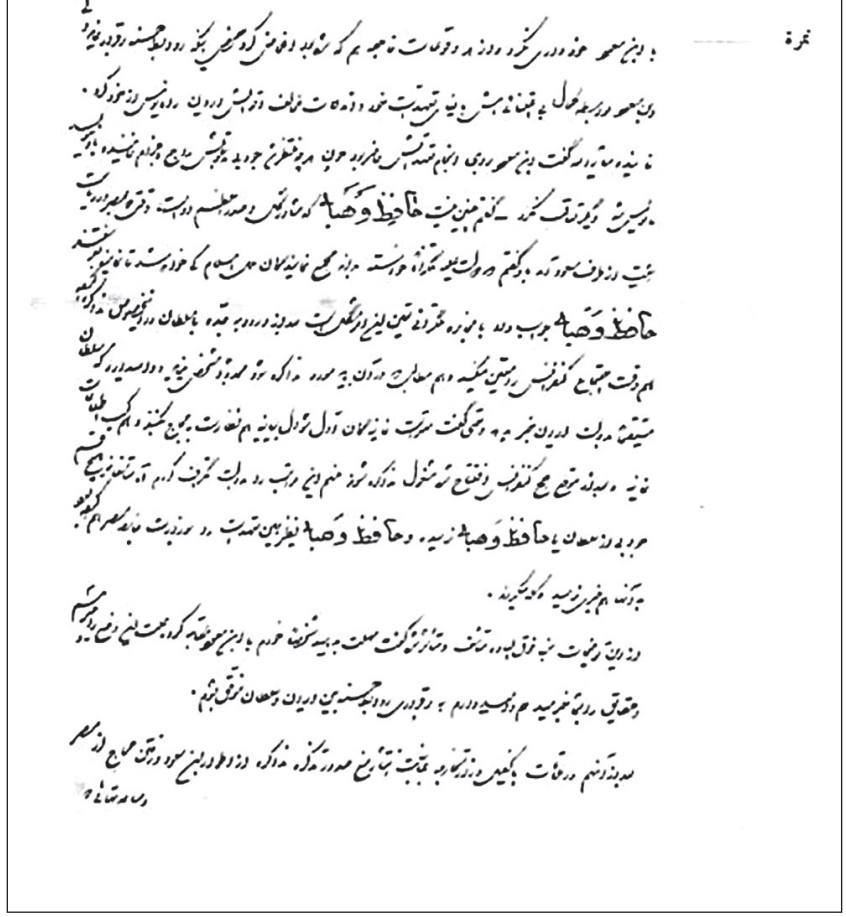

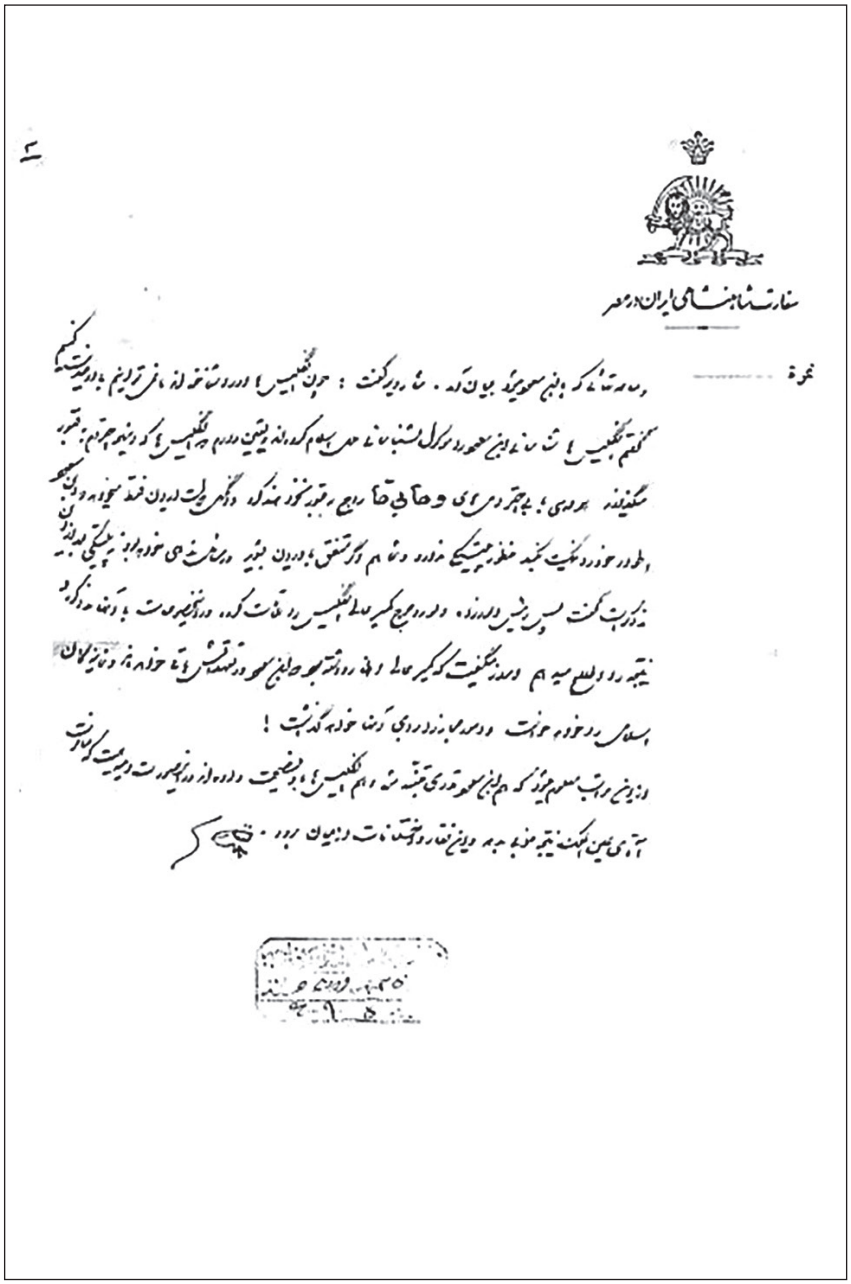

سفارت شاهنشاهی ایران در مصر

نمره .....

ملاحظة أساسية :

أودّ أن أنـوّه إلى ملاحظـة أساسـية وأكيـد لا تخفـى عنكـم أحبّتي الحضـور و هي عدم تحريـض الجانـب السـعودي و لابـدّ من الإتجـاه نحو النشـاط العلمـي و البحثـي في هذه القضيـة و بما أن بعد الثورة الإسـلامية حسـب علمي معظم الشـخصيات السياسـية كان يطالبـون بإعـادة بنـاء البقيـع و كذلك الفقيد سـماحة الشـيخ آيـة الله الهاشـمي تحدث مع الملـك عبـدالله بهـذا الشـأن و الملك أشـار بمنـع الوهابية في هـذه القضية.

نعيـش الآن و بعـد ضعـف دور الوهابيـة فرصـة ثمينـة فلابـد مـن إغتنامهـا و لكـن العلاقـات السياسـية ما بين البلديـن متأزمة حالياً و علينـا الإمتناع في تسـييس القضية بل نعطيها صبغـة علميـة و بحثية.

هنـاك اقتراحات قد عرضت على ممثل ولي الفقيه في شـؤون الحجّ و الزيارة و ناقشـناها سـواء كان يعيـدون البنـاء أم لا مـن الرائـع أن يقدم المهندسـون و المعماريـون تصميماً لبناء البقيـع في ما إذا اسـتجابوا لطلبنا لإعمار المقبرة الشـريفة نعرضهـا عليهم بالفور.

تسليط الضوء على رؤية المذاهب الإسلامية تجاه البقيع :

مـن الملاحظـات الهامـة التـي أشـار اليهـا سـماحة السـيد الممثـل لـولي الفقيـه أنّ كافة المسـلمين يوفدون لزيارة البقيع و كما نلاحظ أنّ مختلف المذاهب الإسـلامية شـيعة و سـنة مـن شـتّى بقـاع المعمـورة و نرتكـز على أقـوال شـخصيات أهـل السـنّة البـارزة و ندوّنها و نقـوم بطبعهـا. بإمكاننـا أن نتخطّـى خطـوات عمليـة و بمشـاركة النخـب الحاضريـن و الآخريـن و نتقـدم نحـو الأمـام. لدينـا أفلام و صـور قديمـة و حديثـة للبقعـة المباركة و عـلى سـبيل المثال قمنـا بشراء كتـب قيّمة لمكتبـة مركز أبحاث الحـجّ من تركيـا و أماكن أخـرى و أمامكـم بعضها توثـق القباب و بنـاء المراقد في البقيـع في الماضي كما نـرى صوراً حديثـة و قـد تغيرت المعـالم كثيراً منذ السـنين الأولى التـي كنّا نقصد بيـت الله عام١٩٨١م

و آنـذاك كنـا نرى زقـاق بني هاشـم ؛ و شـهدت الآن تغييراً أساسـياً.

ضرورة تبيين مراحل إعادة بناء البقيع و إعماره :

لعّـل أن نسـتفسر مـن مرشـدي القوافل و هـم لا يعلمـون مواعيد إعـادة بنـاء البقيع و مراحلهـا و هـم بحاجـة إلى تحديـث معلوماتهـم و نزودهم بوثائـق و مصادر أساسـية.

تفاصيـل هـذه المباحـث كثـيرة جـدّاً و نذكـر لكـم مثـالاً حيـث كان بعض مرشـدي القوافـل مـن رجـال الديـن ، الذيـن يرشـدون النـاس إلى مـكانٍ خلـف مقـبرة البقيع في خرابـة و يتضرع النـاس فيها و كان يتصورون أنها بيت الأحزان! و بعد الدراسـة اكتشـفنا أنّ بيـت الأحـزان يجـاور مراقـد الأئمة عليهم السلام داخـل البقيع و ليـس في الخرابة مـكان يدعى بيـت الأحـزان و يسـأل السـائل تـرى ما هـذا البيـت و مـا تفاصيل إتيـان السـيدة فاطمة الزهـراء عليها السلام و قد أشـار سـماحة السـيد الممثل المحـترم إلى نقـاط مهمّة منها الشـخصيات و منهـم الأئمـة و الصحابـة الأجلاء و غيرهم مـن المدفونـين في المقبرة المباركـة ، فلابد أن نتأكـد و نقـوم بالبحث و الدراسـة عنها لنعـرف مدى مصداقيتهـا بالأدلـة و الوثائق و قد أجريـت بنفـسي محادثـات كثـيرة مـع وزارة الخارجيـة لتوسـيع العمـل على هـذا الصعيد و هنـاك جهـود تصـبّ في هـذا المجـال و بحاجـة إلى المزيـد مـن التوثيـق و يمكننـا إقامـة معـارض عديـدة بالموضـوع و نعـرض للجميـع هـذه الأسـناد و الوثائـق و المخطوطات القديمـة ، و كـذا تصميـم نموذجـي للبقيـع و كثير مـن النشـاطات الأخرى.

هنـاك اقـتراح في تسـمية شـوارع المـدن بالبقيـع أو نطلـق إسـم البقيـع عـلى مراكـز و مشـاريع و أفـكار مشـابهة و أرجو مـن الجميع الإهتـمام بمثل هـذه الإجتماعـات بعناية فائقـة و بمنتهـى السـعي نجهد أن نخـرج البقيع مـن غربتـه و مظلومية شـأنه و بالذكرى المئويـة لتهديـم البقيـع تقـدّم نتاجـات راقية و قيّمـة تليـق بالبقعة إن شـاء الله.

***

المصادر :

١ . أرشيف وثائق منظمة الوثائق الوطنية في إيران.

٢ . أرشيف وثائق مجلس الشورى الإسلامي ، المكتبة ، متحف و وثائق مجلس الشورى الإسلامي.

٣ . أرشيف وثائق مركز الوثائق والتأريخ الدبلوماسي لوزارة الخارجية.

٤ . أرشيف وثائق مؤسسة الدراسات والبحوث السياسية.

٥ . يوميات تأريخ إيران المعاصر ، طهران ، مؤسسة الدراسات والبحوث السياسية، ٢٠١١م.

٦ . صحيفة إيران ، السنة التاسعة ، العدد« ١٨٩٠ ».

٧ . صحيفة قانون ، السنة الرابعة.

٨ . تركمان ، محمد ، (مدرّس ، الدورات التشريعية الخمس) ، طهران ، مكتب نشر الثقافة الإسلامية ، ١٩٨٨م.

***

بقيع الغرقد

محسن الأسدي.[1]

ملخّص البحث:

تناولت هذه المقالة بقيع الغرقد لغةً، و موقعاً و تاريخاً، و فضائل و مناقب و نعماً لطالما أسبغه عليه رسول اللهﷺ و من واسع فضله، لم يكن يتصف به لولا رسول الرحمةﷺ و اختياره له، حتى جعل منه بقعةً مباركةً، مقبرةً طيبةً، مدفناً لعدد من أئمة العترة الطاهرةعليهم السلام و للكثير من الصالحين و الشهداء، و أعلام من الصحابة أنصاراً و مهاجرين، و التابعين... فصار بحقٍّ جنّة المأوى و قبلةً للمسلمين؛ للحجيج و الزائرين على اختلاف مدارسهم و توجهاتهم، يؤمّونه اقتداءً برسول اللهﷺ و قد واظب على زيارته، يناجي من دفن فيه من المسلمين، يستغفر لهم، يطلب لهم الرحمة، و يعدهم بشفاعته! يزورونه طلباً للأجر، و وفاءً لمن دفن فيه من عباد اللهِّ الصالحين، و ها نحن لا نجد أكثرهم إلّا و قد ختم حجّه أو أكمل عمرته بزيارة ضريح رسول اللهﷺ و أضرحة أئمة أهل البيتعليهم السلام

---

١. محقق و باحثٌ ديني.

و الصالحين و أعلامهم ، و لم يتوقفوا أو يتأخروا عن ذلك ، و إن اعتصرت الآلامُ قلوبَهم ، و تكسرت الحسراتُ و الآهاتُ في صدورهم حزناً على ما يرونه ؛ و قد عبثت به فئةٌ اختزلت فهم الدين بها ، فتفرّدت بفتاوٍ انطلقت من أفهامٍ مستبّدة ، لم تُعر أهميّةً لفهم الآخر و لرأيه و دليله ، فتعدّت على حرمة البقيع، و أساءت لمناقبه و فضائله ، و تجاسرت على أضرحة رموزه ، و أضاعت معالمه؛ حين سعت عبر جهالةٍ و أيادٍ وسخة في تخريبه و تهديمه تحت مزاعم واهية، دون الاكتراث بعقائد غيرهم من المسلمين و مشاعرهم ، بل ازدادت طغياناً حين وصفت نفسها بأنّها القولُ الحقُّ و غيرها في ضلال مبين ، و راحت تكيل الاتهامات لعقائد المسلمين بتكفيرهم و تضليلهم و تسقيط حرمتهم تمهيداً لإباحة دمائهم ، و كأنَّ السماء لم تخلق غيرهم ، و لم تسمع إلّا منهم ، و لم ترَ إلّا فتاويهم..!!

الكلمات المفتاحية :

بقيع الغرقد ، يثرب ، البقيع بين الفضائل والمعاول و...

***

يثرب تلك البلدة ، التي عرفت بهذا الاسم منذ نشأتها الأولى ، قبل البعثة النبويّة المباركة بألف وخمسمئة سنة أو تزيد قليلاً ؛ منطقة محدودة تقع في سهل يمتدّ من الشمال من جبل سلع وحتى أطراف جبل أُحد من الغرب فوادي بطحان.

و يُقال: إنّ يثرب اسم الحفيد السابع لنبيِّ الله نوح عليه السلام من ابنه سام. و إنه أول من سكنها ، أو لأنّ الذي نزلها من العماليق اسمه يثرب ابن عميل ؛ أو عبيل بن مهلائيل ابن عوض بن عملاق بن لاوذ بن إرم.

فعن ابن عباس أنَّ يثرب كان اسماً لابن عبيل الذي هو أول من نزل المدينة و إلى

ابنـه المذكور سـمّيت البلـدة يثرب.

و قـد ذكـرت يثـرب مـرّةً واحـدة في التنزيـل العزيـز في سـورة الأحـزاب على لسـان طائفـة مـن المنافقـين: ﴿وَإِذْ قَالَـت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يـا أَهْلَ يَـثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُـمْ فَارْجِعُواْ وَ يَسْـتَئْذِنُ فَرِيـقٌ مِّنْهُـمُ النَّبِيَّ يَقُولُـونَ إِنَّ بُيُوتَنَـا عَوْرَةٌ وَمَـا هِيَ بِعَـوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً﴾.[1]

لتصـل أسـماؤها فيـما بعد إلى مـا يقارب تسـعة و عشرين اسـماً، و بعضهـم تحدث عن ثمانـين اسـماً؛ منها طيبة و طابـة و المباركـة، و دار الهجرة...

و لكـن أشـهرها المدينـة المنـورة، كـما سـمّاها رسـول الله صلى الله عليه وآله و ثبُـت اسـمها في القرآن الكريـم: ﴿وَمِمَّـنْ حَوْلَكُـمْ مِّـنَ الأَعْـرَابِ مُنَافِقُـونَ وَ مِنْ أَهْـلِ الْمَدِينَةِ مَـرَدُواْ عَلَى النِّفَـاقِ لاَ تَعْلَمُهُـمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَـنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُـمَّ يُرَدُّونَ إِلَىَ عَـذَابٍ عَظِيمٍ﴾.[2]

﴿مَـا كَانَ لِأَهْـلِ الْمدِينَـةِ وَ مَـنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْـرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُـولِ اللّهِ وَ لاَ يَرْغَبُـواْ بِأَنفُسِـهِمْ عَـن نَّفْسِـهِ ذَلِـكَ بِأَنَّهُـمْ لاَ يُصِيبُهُـمْ ظَمَـأٌ وَ لاَ نَصَـبٌ وَ لاَ مَخْمَصَـةٌ فِي سَـبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَـؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيـظُ الْكُفَّارَ وَ لاَ يَنَالُونَ مِـنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِـبَ لَهُـم بِهِ عَمَـلٌ صَالِـحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمحْسِـنِينَ﴾.[3]

و قـد عرفـت و اشـتهرت بـه بعد الهجـرة، و هو أليـق بها، و بعـد أن قدر لهـا الله تعالى أن تُفتـح بالقـرآن الكريـم، فتكـون داراً و منـزلاً و قراراً لأفضـل الخلق جميعاً رسـول الله محمـد صلى الله عليه وآله حين وطأت قدمـاه المباركتان ترابها في هجرته إليها مـن مكة المكرمة؛ و لتحظى بـشرف وجوده المبـارك، و أهلها بـشرف الإيمان به و برسـالته، و بنصرتـه صلى الله عليه وآله و إيوائه.

فتصبـح بذلـك مركـز انتشـار الدعـوة الإسـلاميّة و عاصمـة دولتهـا و لتكـون ثـاني

---

١. سورة الأحزاب: ١٣.

٢. سورة التوبة: ١٠١.

٣. سورة التوبة: ١٢٠.

الحرمين الشّريفين: مكة و المدينة ، و أهمّ مدينة إلى جانب مكة المكرّمة و بيت المقدس ، و لتتميّز أيضاً بمعالم عديدة ؛ مساجد و مواقع ، أهمّها:

ـ **المسجد النّبوي**: و يُعدُّ أكبر المساجد فيها ، أسّسه النبيُّ ﷺ موقعاً عباديًّا و مقرًّا قياديًّا ، و مركزاً إداريًّا لشؤون الدولة و الناس... و على مقربة منه شرقاً ، بل الأقرب إليه من جميع المعالم ، يقع بقيع الغرقد ، مقبرة رئيسية لأهل المدينة و ما حولها...

ـ بقيع الغرقد : البقيع بين الفضائل و المعاول :

فالبقيع لغةً: الموضع و البَقيعُ ، موضعٌ فيه أرومُ الشجَرِ من ضُروبٍ شتّى ، و به سمي بقيع الغرقد ، فهو مكان متّسع فيه أشجار مختلفة ، يكثر و يتنوع فيه أُروم الشجر ، و هو الغرقد ؛ كبار العوسج ، شجرٌ عِظامٌ ، أو هي العَوْسَجُ إذا عَظُمَ و كبر.

قال الراجز:

ألفن ضالاً ناعماً و غرقداً.

و قال الخطيم العكلي:

أواعس في برث من الأرض طيّب و أودية ينبتن سدراً و غرقداً

واحِدُهُ: غَرْقَدَةٌ ، فلذا سُمّي ببقيع الغَرْقَدُ ، و قد ذهب الغرقد الذي كان ينبت هناك ، فبقي الاسم ملازماً له و ذهب الشجر ، و أيضاً كان كثير الأعشاب تأكلها الأغنام و الإبل.

و في لسان العرب: غرقد: اَلْغَرْقَدُ: شَجَرٌ عِظَامٌ وَ هُوَ مِنَ الْعِضَاهِ وَاحِدَتُهُ غَرْقَدَةٌ وَ بِهَا سُمِّيَ الرَّجُلُ. قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: إِذَا عَظُمَتِ الْعَوْسَجَةُ فَهِيَ الْغَرْقَدَةُ. وَ قَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ: الْغَرْقَدُ مِنْ نَبَاتِ الْقُفِّ. وَ الْغَرْقَدُ: كبارُ الْعَوْسَجِ وَ بِهِ سُمِّيَ بَقِيعُ الْغَرْقَدِ لِأَنَّهُ كانَ فِيهِ غَرْقَدٌ ، وَ قَالَ الشَّاعِرُ : أَلِفْنَ ضَالًا نَاعِمًا وَغَرْقَدَا.

وَ فِي حَدِيثِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: إِلَّا الْغَرْقَدُ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ ؛ وَ فِي رِوَايَةٍ: إِلَّا

الْغَرْقَدَةُ؛ هُوَ ضَرْبٌ مِنْ شَجَرِ الْعِضَاهِ وَ شَجَرِ الشَّوْكِ، وَ الْغَرْقَدَةُ وَاحِدَتُهُ؛ وَ مِنْهُ قِيلَ لِمَقْبَرَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ: بَقِيعُ الْغَرْقَدِ، لِأَنَّهُ كَانَ فِيهِ غَرْقَدٌ وَ قُطِعَ. قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: وَ بَقِيعُ الْغَرْقَدِ مَقَابِرُ بِالْمَدِينَةِ وَ رُبَّمَا قِيلَ لَهُ الْغَرْقَدُ؛ قَالَ زُهَيْرٌ:

لِمَنِ الدِّيَارُ غَشِيتُهَا بِالْغَرْقَدِ كَالْوَحْيِ فِي حَجَرِ الْمُسِيلِ الْمُخْلِدِ

و في بعض المصادر التاريخية أنَّ البقيع كان بستاناً يحوي أشجاراً من العوسج و كان يقال له: بقيع الخَبْخَبة، و كان أكثر نباته الغَرْقَد، و به نِجالٌ كثيرة، و النَّجْل: النَّز وأَثْل و طَرْفاء، و به بَعوضٌ كالدُّخَان إذا أمسوا... و تقع مقبرة بقيع الغرقد في الجنوب الشرقي للمسجد النبوي الشريف. و الغرقد يقع شرق المدينة قرب حرّة واقم، و كان يقال له بقيع الحبخبة، أكثر نباته الغرقد، و به نجال كثيرة و النجل: النز و أثل و طرفاء، و به بعوض كالدخان إذا أمسوا...

يقول الخليلي: و اتخذ البقيع مقبرة و سميت ببقيع الغرقد؛ لأنها كانت مغطاة بالنباتات الشوكية المعروفة بالغرقد، أما كلمة البقيع فمعناها المكان المزروع بعدد من أنواع الشجر، و لذلك سمّاها الرحّالة السويسري (بورخارت): (جَنَّة البقيع)!

أقول: لم يسمِ بورخارت، الذي زار البقيع بعد تخريبه من قبل الوهابيين بقيعَ الغرقد كلَّه (جنَّة البقيع)، و لم يسمّه لما فيه من زروع، و قد قطعت و انتهت، و إنّما سمّى جزءًا منه زاره في رحلته، كان و ما زال موضع اهتمام المسلمين بمن دُفن فيه من الصالحين أئمّةً و شهداء و صحابةً و تابعين و أعلاماً.

و هذا هيكل جعل فصلاً من فصول كتابه منزل الوحي (جَنَّة البَقِيع) و ذكر أنَّ بورخارت هو صاحب هذا الوصف، و إنّما عَنَى جزءًا منه هو الذي بقي موضع عناية الناس به و زيارتهم إياه... جاء قوله هذا في بداية الفصل: إنْ تَعْجَب فقد عجبتُ قبلك من عنوان هذا الفصل، عجبتُ حين قرأتُ الكلمتين اللتين تؤلِّفانه على صورة شمسية للقباب التي كانت قائمة بالبقيع، ثم هدمها الوهابيون، و إنّما

هـوَّن مـن عجبي أنَّ الـذي أطلق على المـكان جنّة البقيـع و وضعه على الصـورة رجل من الأتـراك في عهـد بنـي عثمان ، فلمّا انقـضى العجب و عُـدْتُ أتدبَّر الكلمتـين رأيتهما تعبران عـن معنًـى دقيـق فاخترتُهـما عنوانًا لهـذا الفصل مـن الكتاب.

فالبقيـع ، أو بقيـع الغَرْقَـد كـما تسـميه كتـب السـيرة ، هو مقـبرة المدينـة ، كان مقبرتها في الجاهليـة و في صـدر الإسـلام ، و ما يـزال مقبرتها إلى اليـوم ، و لم يَعْـنِ التركي صاحب الصـورة الشمسـية هـذا البقيع كلّه في جاهليته و إسـلامه ، و إنّـما عَنَى جزءًا منـه هو الذي بقـي موضـع عناية النـاس به و زيارتهـم إياه.

و قد اتخذ هيكل هذا الجزء موضع حديثه كما يأتينا.

و إذا بالبقيـع ، و بفضـل مـن الله تعالى يتحول بيـدي رسـول اللهﷺ المباركتين إلى بقعة طيبـة حظيـت بمقـام كريـم وبفضائل كثـيرة ، بعد الإسـلام ، و بُعيـد هجرتـه المباركة إلى يثـرب ؛ المدينـة فيـما بعـد ، و بُعيـد أن وطـأت قدمـاه المباركتـان أرضهـا خُصِّصـت هـذه المقـبرة ، للدفن.

و غـدت بذلـك و بما يأتينا من أقوال و مواقف رسـول اللهﷺ أشـهر موقـع من مواقع المدينـة ، بل من أشـهر مواقع الحجـاز قاطبة.

أقـول: قاطبـة أي جميعـاً ، و لا أظـنّ الخليـلي إلّا ملتفتـاً إلى شـهرة المسـجد الحـرام و المسـجد النبـوي ، و أنّهما لا تُعادلهما شـهرة فضلاً عن الأشـهر ، فكان الأصـح أن يُعقب عبارتـه تلـك بجملـة (بعـد الحرمـين الشريفـين في مكـة و المدينة).

و واصـل كلامـه قائـلاً: و شـهرة البقيـع قـد رافقتـه منـذ أن أصبـح مدفنـاً لعـدد من عظـماء المسـلمين و أئمتهم و أعـلام الأنصار و المهاجريـن ، و كان النبـيُّﷺ يقصد البقيع يؤمّـه كلّـما مـات أحـد مـن الصحابـة ليصـلّي عليه و يحـضر دفنـه ، و قـد يـزور البقيع في أوقـات أخـرى ؛ ليناجـي الأمـوات مـن أصحابـه و يطلب لهـم الرحمة!

و قـد اختلـف في أنها كانت قبل الإسـلام مقبرة ، قـولان: الأول يذهـب إلى أنها كانت

مقبرة لأهل يثرب. و يبدو لا دليل عليه معتبر.

فيما الثاني: يذهب إلى عدم وجود ما يُشير إلى أنها كانت مقبرة لأهل يثرب قبل الإسلام، و قد ذكر بقيع الغرقد في أقدم نصّ شعري؛ في مرثية عمرو بن النعمان البياضي، أحد زعماء الخزرج، يرثي قومه الذين قتلوا في وقعة بين قبيلتي الأوس و الخزرج، اقتتلوا في داخل بستان بالعقيق على عشرة أميال من المدينة و بقيع الغرقد، و أطلق عليه (يوم البقيع) انتصر فيها الأوس.

و في قولٍ: كانوا قد دخلوا حديقة من حدائقهم في بعض حروبهم، و أغلقوا بابها عليهم، ثمّ اقتتلوا، فلم يفتتح الباب حتى قتل بعضهم بعضاً.

و قد جاء في مرثيته:

خلت الديار فسدت غير مسوّد ... و من العناء تفرّدي بالسّؤدد
أين الذين عهدتهم في غبطة ... بين العقيق إلى بقيع الغرقد؟
كانت لهم أنهاب كل قبيلة ... و سلاح كل مدرّب مستنجد
نفسي الفداء لفتية من عامر ... شربوا المنيّة في مقام أنكد
قوم هم سفكوا دماء سراتهم ... بعض ببعض فعل من لم يرشد
يا للرجال! لعثرة من دهرهم ... تركت منازلهم كأن لم تعهد
و لكن في الحماسة نُسبت هذه ... الأبيات إلى رجل من خثعم.

و لكن مجرّد ذكره فقط في هذه المرثية لا يعني أنه مقبرة، و لا يكفي دليلاً على كون البقيع كان مقبرة قبل الإسلام، و أظنَّ الاشتباه حصل من كون الشاعر ذكر.

أين الذين عهدتهم في غبطة ... بين العقيق إلى بقيع الغرقد؟

فقد ذكر بقيع الغرقد تحديداً لساحة القتال الذي وقع بين قبيلتي الأوس و الخزرج، لا لأنه مقبرة لموتاهم أو قتلاهم.

و إن ذكر هيكل: «أنَّ البقيع، أو بقيع الغَرْقَد كما تسميه كتب السيرة، هو مقبرة

المدينـة ، كان مقبرتهـا في الجاهليـة و في صدر الإسـلام ، و ما يزال مقبرتهـا إلى اليوم». دون أن يذكـر الدليـل على قولـه هذا.[1]

لقـد خُصّصـت لدفن موتـى المسـلمين دون غيرهم من اليهـود و الذين كانـوا يدفنون موتاهـم في مـكان آخر ؛ بسـتان يُعرف بـ (حش كوكب) و هو بسـتان يقـع جنوب شرقي بقيع الغرقد.

و كان تخصيـص بقيـع الغرقـد بذلك قد ابتدأ حـين وصله رسـول اللهﷺ و هو يبحث في نواحـي المدينـة و أطرافها باحثـاً عن مكان يدفـن فيه أصحابه.

عن عبيـد الله بن أبي رافع قال: كان رسـول اللهﷺ يرتـاد لأصحابه مقبرة يدفنون فيها، فـكان قـد جاء نواحي المدينة و أطرافهـا ، قال: ثمّ قال: «أُمـرت بهذا الموضع».

و بكلمتـهﷺ بـدأت مقـبرة البقيـع يُدفـن فيها ، و صـارت موضعـاً لفضائـل كثيرة ، نُسـبت إلى رسـول اللهﷺ جعلـت منهـا (جنَّـة البقيع). حقًّـا بعد أن صـار مقـبرةً باختيارٍ مـن رسـول اللهﷺ بـل بأمـرٍ من السـماء كـما نُسـب إلى رسـول اللهﷺ قوله: (أُمـرت بهذا الموضـع) مقـبرةً بسـيطة المظهـر ، قبورهـا دوارس ، فقـد حظـي هـذا الموضـع بمنزلـة طيبـة عنـد رسـول اللهﷺ و عنـد الصحابـة و التابعين تبعـاً لرسـول اللهﷺ و اقتـداءً به ، و بفضائـل جمّـة فيما ورد عنـهﷺ فإضافة إلى كون ذاتهـا خصّت بفضائل فهي مشـمولة بما ورد في المدينـة المنـورة مـن كونهـا حَرَمـاً ، و بـما ورد فيها مـن أحاديث و روايـات و أقوال و مواقـف تثبـت فضائلهـا و تكريمهـا و عظيـم شـأنها ، و أعظـم الفضائـل تسـتمدها مـن تواجـد رسـول اللهﷺ فيهـا زائـراً مصليّـاً عـلى أهلها مسـتغفراً لهـم... و مـن رعايته

١. انظـر كتـاب العـين١ : ١٥٤ـ ١٥٥، ٣ : ٢٧٦ ؛ معجـم البلـدان ١ : ٤٧٣ ؛ الصحـاح في اللغـة؛ مختـار الصحـاح ؛ المعجـم الوسـيط ؛ ولسـان العـرب، لابـن منظـور ؛ موسـوعة العتبـات المقدسـة، جعفرالخليـلي٣ : ١٠١ ؛ مـرآة الحرمـين ١ : ٤٢٥ ؛ منـزل الوحي، لمحمد حسـين هيـكل: جنَّة البقيع :٥١٢ ؛ الإصابـة ٤ : ٥٧٥ ؛ وطبقـات ابن سـعد٣ : ١٠١، ٦: ٩٢ ؛ الكامل في التاريخ، لابن الأثير١ : ٦٧٣ ؛ شرح نهـج البلاغـة، لابـن أبي الحديـد ١٠ : ٦ .

و اهتمامه بها حيًّا و ميّتاً ، و من كونها إلى جوار ضريحه المطهر المبارك ... و يكفيها ذلك فخراً و فضيلةً ، و لأهلها شرفاً و كرامةً.

فمقبرة البقيع فازت بحرمة المدينة المنورة ، و دليل حرمة المدينة ما روي عنه ﷺ أنه قال: «اللهم إني أحرم ما بين لابتيها مثل ما حرم إبراهيم مكة ، اللهم بارك في مُدِّهم و صاعهم. اللَّهمَّ إنَّ إبراهيم حرَّم مكَّة فجعلها حرماً ، و إنِّي حرَّمت المدينة حراماً ما بين مأزِميها ، أن لا يُهراق فيها دمٌ ، و لا يُحمل فيها سلاحٌ لقتالٍ ، و لا تُخبط فيها شجرةٌ إلَّا لعلفٍ».

و الموقع المحرّم من المدينة هو ما بين الحرّتين شرقاً و غرباً ، و ما بين عير إلى ثور يميناً و شمالاً. و قد ضُمّت إليه أراض مجاورة و بني حوله سور جديد مرتفع مكسوّ بالرخام. و تبلغ مساحته الحالية مئة و ثمانين ألف متر مربع.

و بالتالي فالمدينة المنورة حرم مبارك ، و هي ثاني الحرمين الشريفين بعد مكة المكرمة.

و فازت أيضاً بدعاء رسول الله ﷺ و شفاعته و استغفاره...

و من ذلك دعاء رسول الله ﷺ: «اللَّهمَّ بارك لنا في مدينتنا».

و من ذلك شفاعته و استغفاره و شهادته لمن يموت و يُدفن فيها ، و قد رويت بذلك الأحاديث ، نوجز ما تيسّر لنا منها:

«أنَّ شفاعته ﷺ لمن مات بالمدينة».

«مَن استطاعَ أنْ يموتَ بالمدينةِ فليمتْ فيهَا ، فإنِّي أشفعُ لَمن يموتُ بهَا».

«... فإنَّه لا يموتُ بهَا أحدٌ إلاَّ كنتُ لهُ شفيعًا ، أوْ شهيدًا يومَ القيامةِ».

«... فإنه من يَمُت بها نشفعُ له و نشهدُ له».

«... فإنه من مات بالمدينة كنتُ له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة».

«من مات في أحد الحرمين بُعث آمناً يوم القيامة».[1]

و بما أنَّ بقيع الغرقد بمقبرته التي اختارها رسول الله ﷺ جزء منها، فهي مقدسة بقدسيتها، و محرمة بحرمتها، و مشمولة بفضائلها.

و بالتالي فالبقيع يحظى بكلّ ما ورد بخصوص هذا الحرم المبارك: المدينة المنورة، و بما خصّه به رسول الله ﷺ و خصَّ من يُدفن به، و من ذلك أنَّها قريبةً من مرقده ﷺ الشريف، و في هذا فضل عظيم؛ لأنَّها تستقي من بركات جواره و عطائه و خيره، و قد روي أنَّه ﷺ قال: عن عبد الله بن مسعود عن النبيّ ﷺ: «حياتي خير لكم تُحدثون و يُحْدَثُ لكم، و وفاتي خير لكم تعرض عليَّ أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، و ما وجدت من شرٍّ استغفرت لكم».[2]

عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «قال رسول الله ﷺ: حياتي خير لكم و مماتي خير لكم، فأما حياتي، فإنَّ الله هداكم بي من الضلالة، و أنقذكم من شفا حفرة من النار و أما مماتي، فإنَّ أعمالكم تعرض عليَّ، فما كان من حسن استزدت الله لكم، و ما كان من قبيح استغفرت الله لكم».

فقال له رجل من المنافقين: و كيف ذاك يا رسول الله و قد رممت؟ يعني صرت رميماً، فقال له رسول الله ﷺ: «كلّا إنَّ الله حرّم لحومنا على الأرض، فلا تطعم منها شيئاً».[3]

---

١. انظر في هذا كله كلاً من صحيح البخاري، عن أبي هريرة، الرقم: ١١٨٩؛ وصحيح مسلم، عن أبي سعيد الخدري، الرقم: ١٣٧٤؛ الطبراني في الكبير؛ النسائي في الكبرى؛ البيهقي في الشعب؛ أحمد والترمذي وابن حبان وابن ماجه.

٢. انظر البداية، للحافظ ابن كثير ٥ : ٢٧٥؛ الخصائص الكبرى، للسيوطي ٢ : ٢٨١؛ الحافظ العراقي في طرح التثريب، إسناده جيّد؛ الهيثمي في مجمع الزوائد، رواه البزار ورجاله رجال الصحيح؛ وصحّحه السيوطي في الخصائص.

٣. بحار الأنوار، للعلّامة المجلسي ٢٢ : ٥٥١ باب ٣، غرائب أحواله بعد وفاته، و ما ظهر عند ضريحه ﷺ.

فـما أطيبك سـيدي يـا رسـول الله **حيًّـا و ميتـاً**، و مـا أنفعـك حيًّا و ميّتـاً، و مـا أعظم بركاتـك حيًّـا و ميتاً.

و قد أنشد ابن أبي الخصال (ت: ٥٤٠ هجرية) قائلاً:

و إن امـرءٌ وارى البقيـع عظامـه لفـي زمـرة تلقـى بسـهل و مرحـب

و هـو مـن قصيدة طويلة موسـومة بـ: معـراج المناقب، و منهاج الحسـب الثاقب .. في نحـو أربعمئة بيـت، هذا مطلعهـا و مقطع منها:

إليـك فهمـي و الفـؤاد بيثـرب و إن عاقنـي عن مطلع الوحي مغربي
أعلّـل بالآمـال نفسـاً أغرهـا بتقديـم غايـاتي و تأخـير مذهبـي
و دينـي عـــلى الأيـام زورة أحمـــد فهـل ينقـضي دينـي ويقـرب مطلبي
و هـل أردنّ فضـل الرسـول بطيبـة فيـا برد أحشـائي ويا طيـب مشربي؟
وهل فضلت من مركب العمر فضلة تبلغنـي أم لا بـلاغ لمركـب؟
ألا ليـت زادي شربـة مـن مياههـا وهـل مثلهـا ريـا لغلـة مذنـب؟
ويـا ليتنـي فيهـا إلى الله صائـر وقلبـي عـن الإيـمان غـير مقلـب
وإن امـرءٌ وارى البقيـع عظامـه لفـي زمـرة تلقـى بسـهل ومرحـب
وفي ذمـة من خـير من وطـىء الثرى ومـن يعتقلـه حبلـه لا يعـذب
ومـا لي لا أشري الجنـان بعزمـة يهـون عليهـا كلّ طـام وسبسـب
و مـاذا الـذي يثنـي عنـاني وإننـي لجـواب آفـاق كثـير التقلـب.[1]

إذن فقـد حظيـت هـذه البقعـة مـن الأرض بما لم تحـظ به مقـبرةٌ أخـرى، و ذلك حين اقـترن اسـمها بجملـة من الفضائـل والمناقـب، فقـد أراد اللهُ تعالى بأن تكـون مقبرة لأهل المدينـة، و أمـر نبيَّـه المصطفـى ﷺ بالدعـاء و الاسـتغفار لأهلهـا، فكان ﷺ يخـرج ليلاً؛ ليدعـو و يسـتغفر لأهلهـا و يسـلِّم عليهـم، و يحـضر مشـاهد مَـن يتـوفَّى مـن الصحابة،

١. معراج المناقب و منهاج الحسب الثاقب، لأبي عبد الله بن أبي الخصال الطويل.

يُضاف إلى ذلك شفاعته، و شهادتهﷺ لمن يموت في المدينة و لمن يُدفن في البقيع.

لهذا كان أجلّ فضائل مقبرة بقيع الغرقد و أعظمها التي جعلتهم لا يرضون بديلاً عنها، و التي راحت ترويها كتب المسلمين جميعاً بلا خلاف:

تمتُّعها بتأكيدهﷺ على شفاعته و شهادتهﷺ لمن يموت في المدينة، و كون أهلها يُبعثون من قبورهم قبل سائر الناس، و أنّهم أول من يُشفع لهم، و لمن يُدفن في بقيعها.

كانﷺ يخرج ليلاً و نهاراً؛ يسلّم على أهل البقيع المدفونين فيه؛ يدعو و يستغفر لهم، فضلاً عن حضوره مشاهد من يُتوفّى، و جلوسه و انتظاره إكمال دفن الميت مع دعائه للمتوفّى و تسليته لأهله.

فقد كانﷺ يأتي لدفن من يُتوفّى، كان يأتي للصلاة على المُتوفّى، كان يأتي يواريه الثرى، و كم كان محظوظاً ذلك الذي يُشيّعه نبيُّ الله محمدﷺ إلى مثواه الأخير و يُصلّي عليه، فيواريه الثرى محفوفاً بدعائهﷺ و استغفاره له، كان يأتي لغير هذا كلّه، يأتي مع أصحابه، يأتي وحده يستغفر لسكانها، و يُناجيهم، يُناجي المؤمنين الراقدين فيها، يدعو و يستغفر و يشهد لهم.

إنَّها لمشاهد مباركة من سيرتهﷺ يراها الصحابة بأعينهم، يسمعون كلامهﷺ و أدعيته و مناجاته لكلّ من انتقل من الصالحين إلى جوار ربِّه تعالى.

فأيّ فضل و شرف هذا، حظي به أولئك الذين ضمّهم تراب بقيع الغرقد أن يقف رسول الرحمةﷺ عليهم يستغفر و يدعو لهم، لا لمرّة واحدة، بل يتعدّد ذلك لهم بتعدد زياراته التي واصلها طيلة حياته المباركة؟!

و بعيداً عنها في تلك الأرض، يشهد الصحابة رسول اللهﷺ هناك؛ عند وقعة بدر الكبرى، عند تلك البئر، التي تُسمى القليب، أُلقيت فيه رؤوس كبار الكفر، و طرح فيه ظلمهم و طغيانهم و معتقداتهم، بعد الانتصار الكبير؛ حين راحﷺ يُناديهم:

«هل وجدتم ما وعد ربّكم حقًّا؟ فإنّي قد وجدتُ ما وعدني ربّي حقًّا»!

فعـن أنـس بـن مالـك قال: سـمع أصحـاب النبيّ رسـول الله مـن جوف الليـل و هو يقول:

«يـا أهـل القليـب، يا عتبـة بن ربيعة، و يا شـيبة بـن ربيعة، و يـا أمية بـن خلف، و يا أبـا جهـل بن هشـام ـ فعدد مـن كان منهم في القليـب ـ هل وجدتـم ما وعـد ربّكم حقًّا؟ فـإني قد وجـدتُ ما وعـدني ربّي حقًّا».

فقال المسلمون: يا رسول الله أتنادي قوماً قد جيفوا؟

فقال ﷺ: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، و لكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني».

و لمّـا كان ببـدر اليـوم الثالـث أمـر براحلتـه، فشـدّ عليهـا رحلهـا، ثمّ مشـى و تبعه أصحابـه، و قالـوا: مـا نرى ينطلـق إلّا لبعـض حاجته، حتى قـام على شـفى الرّكي (على طـرف البئـر. وفي روايـة: شـفير) فجعـل يناديهم بأسـمائهم و أسـماء آبائهم:

«يـا فـلان بن فلان و يـا فلان بن فـلان، يسـرّكم أنكم أطعتـم الله و رسـوله، فإنّا قد وجدنـا مـا وعدنـا ربّنا حقًّـا، فهل وجدتم مـا وعد ربّكـم حقًّا»؟

فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها؟

فقال النبيُّ ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».

قـال قتـادة: أحياهـم الله حتـى أسـمعهم قولـه توبيخـاً و تصغـيراً و نقمـةً و حسـرةً و ندمـاً!

و قـد رجـح الحافظـان ابـن كثـير و ابـن حجـر أنَّ الله أحياهـم حتـى سـمعوا كلامـه توبيخـاً و تصغـيراً و حسـرةً و ندماً!

و أميـة بـن خلـف، يُقـال: لم يكـن في القليب؛ لأنـه كان ضخـماً فانتفخ، فألقـوا عليه مـن الحجـارة و الـتراب مـا غيبـه. و عـلى فـرض صحّـة هـذا، لكنّـه قد يكـون قريبـاً من القليـب، فنـودي فيمـن نـودي، فهو مـن جملة رؤسـائهم.

يقـول هيـكل: فقـد كان يـرى الحـقَّ مـن أنَّ المـوت انتقـالٌ مـن حيـاة الدنيـا إلى حياة الآخـرة، و أنَّ الذيـن ينتقلـون مـن بيننا يبقـى اتصالهـم بنا حتـى ليسـمعوننا، و إن كانوا لا يتحدثون فلا يسـتطيعون أن يجيبونا؛ لذا سـمعه أصحابه جوف الليل بعد أن نصـر الله المسـلمين ببـدر يُناجي المشركـين الذين قُتلـوا في المعركـة، و دُفنوا في القليـب الذي حفره المسـلمون لهـم و هـو يقـول: «يـا أهل القليـب! يا عتبـة بن ربيعـة، يـا أمية بن خلـف، يا أبـا جهـل بـن هشـام، يا (واسـتمر يذكرهـم بأسـمائهم). يا أهـل القليب هـل وجدتم ما وعدكـم ربّكـم حقًّـا؟! فـإني وجـدتُ مـا وعـدني ربّي حقًّـا». قال المسـلمون: «يا رسـول الله، أتنـادي قومًـا جَيَّفـوا»؟! فـكان جوابـه: «مـا أنتم بأسـمعَ لمـا أقوله منهـم، لكنهم لا يسـتطيعون أن يُجيبوني».[1]

أذكـر هـذا؛ ليتضـح أنَّـه: شـتّان بـين هـذا الموقـف لرسـول الله ﷺ مـع من طـرح في القليـب، و موقـف آخـر لـه ﷺ حيـث مواقع الشـهداء: شـهداء بـدر و شـهداء أُحد... و عـلى أهـل البقيع، قوامه السـلام و الاسـتغفار و الدعـاء و الترحيم؛ فالفـرق عظيم بين الموقفين و المشـهدين.

فنـراه ﷺ يقـف على شـهداء وقعـة أُحد بنظـرات حانيـة تملأ سـاحة المعركـة يودّعهم و ينعاهـم و يُؤبنهـم و يُثني عليهـم: ﴿**مِّـنَ الْمُؤْمِنِـينَ رِجَـالٌ صَدَقُـواْ مَـا عَاهَـدُواْ اللَّهَ عَلَيْـهِ**.﴾[2] و قـال: إنَّ رسـول الله يشـهد أنَّكـم الشـهداء عنـد الله يـوم القيامـة. ثـمَّ أقبـل عـلى أصحابـه الأحيـاء و هم وقوف حولـه، و قال ﷺ: «أيهـا الناس زوروهـم، و أتوهم و سـلموا عليهـم، فوالـذي نفسي بيده، لا يسـلم عليهم مسـلم إلى يوم القيامـة، إلّا ردّوا عليه السـلام».[3]

---

١. محمد حسين هيكل، في منزل الوحي: جَنّة البقيع.

٢. سورة الأحزاب: ٢٣.

٣. المتقي الهندي، كنز العمال ١٠: ٣٨٢.

هـذا ، فضـلاً عـن زياراته صلى الله عليه وآله عـلى رأس كلّ حـول لقبور شـهداء أُحـد ، و فيهم عمُّه حمـزة بـن عبـد المطلـب ، سـيد الشـهداء ، الـذي أُستشـهد يـوم أحـد ، فـكان النبـيُّ صلى الله عليه وآله يزورهـم ، و يقـول: «سـلام عليكـم بـما صبرتم فنعـم عقبى الـدار».

و كان صلى الله عليه وآله يقف عليهم ، و يكرّر قوله: «أشـهد أنكم أحياء عند الله فزوروهم و سـلموا عليهـم ، فوالذي نفسي بيده لا يسـلم عليهم أحـد ، إلّا ردّوا عليه إلى يوم القيامة».

و زيارتـه صلى الله عليه وآله لقبـور أُخرى ، فعـن طلحة بن عبيـد الله قال: خرجنا مع رسـول الله صلى الله عليه وآله يريـد قبـور الشـهداء ، حتى إذا أشرفنا على حـرّة واقم ، فلمّا تدلينا منهـا و إذا قبور بمحنية، قـال: قلنـا يا رسـول الله أقبـور إخواننـا هذه؟ قـال صلى الله عليه وآله: «قبـور أصحابنا». فلـمّا جئنا قبور الشـهداء قال صلى الله عليه وآله: «هذه قبـور إخواننا».

و أمـا عـن زياراتـه صلى الله عليه وآله لقبـور البقيـع ، فـإنَّ محمـد حسـين هيـكل يضـع سـؤالاً عن زياراتـه صلى الله عليه وآله المتكـررة للبقيـع ، و يجيـب عنه: كم مـرّة جاء رسـول الله صلى الله عليه وآله إلى هـذا المكان؟ عـشرات المـرّات ، فقـد كان يجـيء إليـه كلّـما مـات صاحـبٌ مـن أصحابـه ، يُصَـلِّي عليه و يقـف حتى يـواري جثمانه الـتراب ، و كان يجيء وحـده أحيانًا و مع أصحـاب له أحيانًا أخـرى لغـير شيء إلّا للصـلاة على مَـن في البقيع و الاسـتغفار لهم و مناجاتهم. ثـمَّ يقول: و كثـيرًا مـا ناجَـى أهل البقيـع من أنصـاره ، الذيـن استُشـهدوا في سـبيل الله ، و كان آخر ذلـك حـين مرض مرضـه ، الـذي اختار الرفيـق الأعلى عـلى أثره ، فقـد أرِق ليلـةً أول ما بـدأ يشـكو ، فخـرج و معـه مـولاه أبـو مُوَيْهِبـة ، و ذهـب إلى البقيـع ، فوقـف بـين المقابر و قـال يخاطـب أهلهـا: «السـلام عليكم يـا أهـل المقابـر، ليهنئ لكم مـا أصبحتـم فيه مما أصبـح النـاس فيـه ، أقبلـتِ الفِتَنُ كقطع الليـل المظلم يتبع آخرهـا أولها ، الآخـرة شَرٌّ من الأولى» ثـمّ اسـتغفر الله لهم.

يقـول الخليـلي: لذلـك كـبر شـأن البقيـع ، و كثـر رواده بقصـد الدعـاء و الاسـتغفار و اتسـعت رقعـة البقيع و عظم شـأنها حتى قيـل: إنَّ عدد الذيـن دفنوا فيها مـن الصحابة

كان عـشرة آلاف صحـابي.

و حتـى صـارت ـ كـما يقـول ابـن جبـير في رحلته ـ مشـاهد هـذا البقيـع أكثـر من أن تحـصى ؛ لأنـه مدفـن الجمهـور الأعظـم مـن الصحابـة المهاجريـن و الأنصار.

و كيـف لا يكـون البقيـع مدفنـاً لهـم و لمـن يـأتي بعدهـم ، و رسـول الله ﷺ كان يُكثر مـن زيـارة البقيـع في الليل و النهـار ، يسـتغفر للموتى ، و يُصـلي عليهم ، وفـاءً لهم و محبةً و خوفـاً عليهـم ، حتـى أنّـه ورد عنـه: «إني بعثـتُ إلى أهـل البقيـع ؛ لأصلّي عليهـم»،«إني أُمـرتُ أن أدعـو لهم»،«اللهـم اغفـر لأهل بقيـع الغرقد».

و كـم أولئـك موفّقـون أن يقف عليهـم رسـول الله ﷺ يُصلي عليهم ، يدعـو لهم و قد روي عنـه ﷺ أنّـه قـال: «إنَّ هـذه القبـور مملـوءة ظلمـة عـلى أهلهـا ، و إنَّ الله يُنورها لهم بصـلاتي عليهم»!

إذن كان يكثـر مـن الذهـاب إلى مقـبرة البقيـع ، فـلا يـترك زيارتـه ، و لا يتأخـر عـن تشـييع جنـازة فيه.

فهـذا الصحابي الجليل سـلمان رضوان الله عليه ، كان إسـلامه في بقيـع الغرقد كما يبدو مـن خبره ، حـدث هذا و هو يتثبت من رسـالة محمد ﷺ فيقول: «... ثـمّ رجعت فمكثت مـا شـاء الله ، ثـمّ أتيته فوجدتـه في بقيع الغرقد ، و قـد تبع جنازة و حولـه أصحابه، و عليه شـملتان مؤتـزراً بواحـدة مرتديـاً بالأخـرى ، قال: فسـلمت عليـه ، ثمَّ عدلـت لأنظر في ظهـره ، فعـرف أني أُريد ذلك و اسـتثبته ، فألقى بردتـه عن كاهله ، فـإذا العلامة بين كتفيه ، خاتـم النبـوة ، كـما وصفـه لي صاحبـي ، فأكببـتُ عليه ، أقبـل الخاتم من ظهـره و أبكي ، أو فنظـرتُ إلى خاتـم النبـوة ، كـما وصفـه لي صاحبـي ، فأكببتُ عليـه أقبّلـه و أبكي؛ ثمّ دعـاني عليه الصلاة و السـلام ، فجلسـتُ بـين يديـه ، و حدّثتُه حديثي ثمَّ أسـلمتُ...».

و هذه عائشـة تقـول: كلّـما كانـت ليلتـي مـن رسـول الله ﷺ ، و قولهـا: كلّـما كانـت ليلتـي، تقتـضي التجدُّد و الاسـتمرار ؛ لأنهـا لفظة من ألفـاظ العموم ، ممّا يـدلّ على تكرار

الزيارة و استمرارها.

يخرج في آخر الليل إلى البقيع ، فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، و إنا و إياكم متواعدون غداً أو مواكلون ، و إنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد».

و في خبر عنها: يخرج من آخر الليل إلى البقيع ، فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، و أتاكم ما توعدون ، غداً مؤجلون ، و إنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد». و في رواية مثله إلّا أنّه قال: «السلام عليكم ديار قوم مؤمنين، و إنا بكم لاحقون ، أنتم لنا فرط ، اللهم لاتحرمنا أجرهم و لاتفتنا بعدهم». «السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، و أتاكم ما تُوعدون، غداً مؤجَّلون ، و إنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد».

و في حديث طويل للنبيّ صلى الله عليه وآله عن عائشة: قال صلى الله عليه وآله: «فإنَّ جبريل أتاني حين رأيت فناداني ، فأخفاه منك ، فأجبته ، فأخفيته منك. فقال: إنَّ ربّك يأمرك أن تأتي أهل البقيع ، فتستغفر لهم». قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله: «قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين و المسلمين ، و يرحم الله المستقدمين منّا و المستأخرين ، و إنّا إن شاء الله بكم للاحقون».

و مِن فضائل البقيع ، أنَّ اللهَ تعالى أمرَ نبيَّه صلى الله عليه وآله أنْ يأتيَه ، و يستغفرَ لأهلهِ فكانَ النبيُّ صلى الله عليه وآله يأتي هذا البقيع المبارك باستمرار ، و يسلِّم على أهلهِ ، و يدعو لهم.

و عنها قالت: قام رسولُ الله صلى الله عليه وآله ذات ليلة ، فلبس ثيابه ، ثمّ خرج ، قال: فأمرتُ جاريتي بريرة تتبعه ، فتبعته حتَّى جاء البقيع. فوقف في أدناه ما شاء الله أن يقف ، ثمَّ انصرف ، فسبقته بريرة ، فأخبرتني. فلم أذكر له شيئًا حتَّى أصبح ، ثمَّ ذكرتُ ذلك له. فقال: «إنِّي بُعثتُ إلى أهلِ البقيعِ لأصلِّي عليهم».

و عنها قالت: فقدته «تعني النبيَّ صلى الله عليه وآله ، فإذا هو بالبقيع ، فقال: «السلامُ عليكُم

دارَ قـومٍ مؤمنـين، أنتـمْ لنَـا فرطٌ و إنَّـا بكُم لاحقُـون، اللهـمَّ لا تحرمنَا أجرَهـم و لا تفتنَا بعدَهم».

و عـن أبي مويهبـة «مولى رسـولِ اللهﷺ»، قال: أُمرَ رسـولُ اللهﷺ أنْ يصـلِّي على أهلِ البقيـع، فصـلَّى عليهم رسـولُ اللهﷺ ليلة ثـلاث مرَّات، فلـمَّا كانت ليلـة الثانية قالﷺ: «يـا أبـا مويهبـة، أسرج لي دابتـي»، قـال: فركـب، و مشـيتُ حتـى انتهى إليهـم فنزل عن دابتـه، و أمسـكت الدابـة، و وقـف عليهـم، أو قال: قام عليهـم، فقـالﷺ: «ليهنكُم مَا أنتـمْ فيـه ممَّـا فيه النَّـاسُ، أتت الفتنُ كقطـعِ الليلِ يركـبُ بعضُها بعضًا، الآخرةُ أشـدُّ من الأولى، فلينهكُـم مَـا أنتـمْ فيـه». ثـمّ رجـع فقالﷺ: يـا أبا مويهبـة، إني أعطيـت أو قال: خُـيِّرت مفاتـح مـا يفتح عـلى أمَّتي من بعـدي و الجنَّـة، أو لقـاء ربّي». فقلتُ: بـأبي و أمّي يـا رسـولَ الله، فأخـبرني، قـال: لأن تـرد عـلى عقبهـا ما شـاء الله، فاخـترت لقـاء ربّي عزَّ و جلَّ».

و أنَّ أهـل البقيـع أنَّهـم يكونون أوَّل أهـل المقابر حشرًا. يبعث من أهل البقيع سـبعون ألفًـا يدخلون الجنَّة بلا حسـاب».

أو أنَّ اللهَ ـ سـبحانه و تعـالى ـ سـيبعثُ منه يوم القيامة سـبعين ألفًـا، وجوههم كالقمر ليلـة البـدر، يدخلون الجنة بغير حسـاب.

عـن علقمـة بـن أبي علقمـة عـن أمّه، عـن عائشـة: أنَّ رسـول اللهﷺ قـام ذات ليلة، فلبـس ثيابـه، ثـمّ خرج. قالـت: فأمرت جاريتـي بريرة تتبعـه، فتبعته، حتى جـاء البقيع، فوقـف في أدنـاه مـا شـاء الله أن يقف، ثـمّ انصرف، فسـبقته بريـرة، فأخبرتنـي فلم أذكر لـه شـيئاً حتـى أصبح، ثم ذكـرت ذلك لـه، فقـالﷺ: «إني بعثت إلى أهـل البقيع لأصلّي عليهم».

و عنهـا أنَّ رسـول اللهﷺ كان يخـرج إلى البقيـع، فيدعو لهم، فسـألته عـن ذلك فقال: «إني أمـرت أن أدعو لهم».

و في رواية: «إني أمرت أن آتي أهل البقيع ، فأدعو لهم ، و أصلّي عليهم».

ما روت أمُّ قيس بنت محصن الأنصارية عن النبيِّ صلى الله عليه وآله. حدثنا يونس قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا عاصم المدني مولى نافع مولى أمّ قيس بنت محصن الأسدي عن نافع قال: أخبرتني أمُّ قيس بنت محصن قالت: ... حتى انتهينا إلى بقيع الغرقد ، فقال: «يا أمَّ قيس! فقلتُ: لبيك يا رسول الله و سعديك! قال: ترين هذه المقبرة؟ قالت: نَعم يا رسول الله! قال: يبعث منها سبعون ألفاً وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب».

فقام رجل فقال: يا رسول الله و أنا. قال: و أنت. فقام آخر فقال: و أنا يا رسول الله. قال: سبقك بها عكاشة.

و في حديث الحسن: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله قام على أهل البقيع ، فقال: «السلام عليكم يا أهل القبور من المؤمنين و المسلمين. لو تعلمون ما نجاكم الله منه ممّا هو كائن بعدكم». ثمّ نظر إلى أصحابه ، فقال: هؤلاء خير منكم. قالوا: يا رسول الله ، و ما يجعلهم خيراً منّا؟ قد أسلمنا كما أسلموا ، و هاجرنا كما هاجروا ، و أنفقنا كما أنفقوا فما يجعلهم خيراً منا؟ قال: إنَّ هؤلاء مضوا لم يأكلوا من أجورهم شيئاً ، و شهدت عليهم. و إنكم قد أكلتم من أجوركم بعدهم ، و لا أدري كيف تفعلون بعدي»؟

هذا و ذكروا في الزيارة الشرعية ما جاء مفرَّقًا في الأحاديث الثابتة ، و لا خلاف عليه ، أنَّه إذا جئت القبر أن تعتبر و تتأدب ، و تتمثل روح صاحب القبر و استقبله قائلًا ما علّمنا الرسول صلى الله عليه وآله: «**السلام عليكم دارَ قوم مؤمنين ، و إنَّا إن شاء الله بكم لاحقون ، السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين و المؤمنات ، و المسلمين و المسلمات ، أنتم سلفنا و نحن بالأثر ، نسأل الله لنا و لكم العافية ، اللهم ربّ هذه الأجساد البالية، و العظام النخرة ، و الأرواح الباقية التي خرجت من الدنيا و هي بك مؤمنة ، أدخل عليها روحًا منك و سلامًا منّا ، اللهم لا تحرمنا أجرهم و لا تفتِنَّا بعدهم و اغفر اللهم لنا و لهم**».

كما أنَّ من فضائل البقيع :

أنَّ أهلَه هم أولُ من يُحشر من مقابر الأرض ، هذا فضلاً عما ورد في عموم قبور أهل المدينة ، و مقبرة البقيع واحدة منها ، فعن عبدالله بن عباس ، قال: مرَّ رسولُ الله ﷺ بقبورِ أهلِ المدينة ، فأقبلَ عليهم بوجهِهِ ، فقال: «السلامُ عليكُم يَا أهلَ القبورِ ، و يغفرُ اللهُ لنَا و لكُم ، أنتمْ لنَا سلفٌ ، و نحنُ بالأثرِ».

و عن أبي هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ خرج إلى المقبرة ، فقال: «السلامُ عليكُم دارَ قومٍ مؤمنِين ، و إنَّا إنْ شاءَ اللهُ بكُم لاحقُون.[1]

روايات أهل البيت عليهم السلام :

عن محمد بن أحمد ، عن موسى بن عمران ، عن عبد الله الحجال، عن صفوان الجمال ، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كان رسول الله ﷺ يخرج في ملإٍ من الناس من أصحابه كلَّ عشية خميس إلى بقيع المدنيين ، فيقول ثلاثاً:

السلام عليكم يا أهل الديار، وثلاثاً: رحمكم الله! ثمّ يلتفت إلى أصحابه ، ويقول: هؤلاء خير منكم». فيقولون: يا رسول الله و لِمَ، آمنوا و آمنا ، و جاهدوا و جاهدنا؟! فيقول: إنَّ هؤلاء آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم ، و مضوا على ذلك ، و أنا لهم على

---

١ . انظر في هذا كله ابن سعد، في الطبقات٣ : ١٢٠ـ١٢١ ؛ تاريخ المدينة، لابن شبّه١ : ٨٦ ـ ١٣٣ ؛ محمد حسين هيكل في كتابه منزل الوحي ؛ حياة محمد، لمحمد حسين هيكل، الفصل الثلاثون: مرض النبيِّ ووفاته : ٤٩٨ ؛ موسوعة العتبات المقدسة ٣ : ١٠٢ ؛ عن آثار المدينة المنورة : ١٢٢، ١٧٦ لعبد القدوس الأنصاري ؛ مرآة الحرمين١ : ٤٢٥ ؛ رحلة ابن جبير: ١٥٣ وما بعدها ؛ وكتاب في مدينة الرسول ﷺ، للدكتور نزار أباظة: المقبرة : ٥٠ ؛ رجال حول الرسول ﷺ، خالد محمد خالد ؛ صحيح مسلم، كتاب الطهارة وكتاب الجنائز ؛ المعجم الكبير، للطبراني١٢ : ٢٢، ٣٠٥ :٣٤٦ ؛ و ٣٤٧ ؛ الموطأ١ : ٢٤٢ ؛ النسائي٤ : ٩١، ٩٣ ؛ المصنف، لعبد الرزاق٣ :٥٧٥ ؛ مسند أحمد ١ : ١٦١ ؛ السنن الكبرى، للبيهقي٤ : ٧٩ و ٥ : ٢٤٩ ؛ الإصابة في تمييز الصحابة٤ : ٤٤٠ .

ذلك شهيد، و أنتم تبقون بعدي، و لا أدري ما تحدثون بعدي».

عن جعفر بن محمد بن قولويه في (المزار) عن محمد الحسن، عن محمد بن أحمد، عن موسى بن عمر، عن عبد الله بن محمد الحجال، عن صفوان الجمال قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخرج في ملإٍ من الناس من أصحابه كلَّ عشية خميس إلى بقيع المدنيين فيقول: السلام عليكم يا أهل الديار (ثلاثاً)، رحمكم الله (ثلاثاً)...».

و حدث محمد بن عيسى عن خالد عن عوسجة قال: كنت أدعو ليلة إلى زاوية دار عقيل بن أبي طالب التي تلي باب الدار فمرّ بي جعفر بن محمد عليه السلام، فقال لي: «أعن أثر وقفت هاهنا؟ قلت: لا. قال: هذا موقف نبيِّ الله صلى الله عليه وآله بالليل إذا جاء يستغفر لأهل البقيع».[1]

حتى في مرضه صلى الله عليه وآله:

زياراته صلى الله عليه وآله لبقيع الغرقد؛ للأرواح التي حلّت فيه، لم تنقطع، لم يتركها حتى في مرضه الأخير الذي تُوفي بسببه، فعن: ابن إسحاق أنه قال: فبينا الناس على ذلك، ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وآله بشكواه الذي قبضه الله فيه، إلى ما أراد به من كرامته و رحمته، في ليال بقين من صفر، أو في أول شهر ربيع الأول، فكان أول ما ابتدئ به من ذلك، فيما ذكر لي، أنه خرج إلى بقيع الغرقد، من جوف الليل، فاستغفر لهم، ثمّ رجع إلى أهله، فلمّا أصبح ابتدئ بوجعه من يومه.

و عن الشيخ المفيد: ... إذ عرضت له الشكاة التي توفي فيها، فلمّا أحسَّ بالمرض الذي عراه، أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام، و اتبعه جماعة من الناس و توجه

---

١. كامل الزيارات: ٣٢٩ـ ٥٣٠، الباب ١٠٥ ح ٦؛ وسائل الشيعة ٣: ٢٢٤ الباب ٥ ح ٣٤٦٩؛ موسوعة العتبات المقدسة، لجعفر الخليلي٣: ١٠٢ عن الدرة الثمينة في تاريخ المدينة لابن النجار:٤٠٢.

إلى البقيع، فقال لمن تبعه: «إنني قد أمرت بالاستغفار لأهل البقيع». فانطلقوا معه حتى وقف بين أظهرهم. فقال عليه السلام: «السلام عليكم يا أهل القبور، ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما فيه الناس، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها»، ثمّ استغفر لأهل البقيع طويلاً. و أقبل على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله: «إنَّ جبرئيل عليه السلام كان يعرض عليَّ القرآن كل سنة مرة، و قد عرضه عليَّ العام مرتين، و لا أراه إلّا لحضور أجلي».

عن أبي مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله من جوف الليل فقال: «يا أبا مويهبة إني قد أمرت أن استغفر لأهل البقيع، فانطلق معي» فانطلقت معه، فلمّا وقف بين أظهرهم قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح فيه الناس، لو تعلمون مانجاكم الله منه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها، الآخرة شرّ من الأولى». قال: ثم أقبل عليَّ، فقال صلى الله عليه وآله: «يا أبا مويهبة، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا و الخلد فيها، ثم الجنة، و خيرت بين لقاء ربّي عزَّ وجلَّ والجنة». قال: قلت: بأبي أنت و أمّي، فخذ مفاتيح الدنيا و الخلد فيها ثمّ الجنة. قال صلى الله عليه وآله: «لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربّي و الجنة». ثمَّ استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبُدئ رسول الله صلى الله عليه وآله في وجعه الذي قبضه الله عزَّ وجلَّ فيه حين أصبح.

و في خبر آخر عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لما أحسَّ بالمرض الذي عراه، أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام، و اتبعه جماعة من الناس، و توجه إلى البقيع، فقال للذي اتبعه: «إنني قد أمرت بالاستغفار لأهل البقيع». فانطلقوا معه حتى وقف بين أظهرهم، و قال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين و المسلمين، يرحم الله المستقدمين منّا و المستأخرين، و إنا إن شاء الله بكم لاحقون، و أتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد، اللهم لاتحرمنا أجرهم، و لا تفتنا بعدهم، أنتم لنا فرط و نحن لكم تبع، نسأل الله لنا و لكم العافية».

ثـمّ اسـتغفر لأهل البقيـع طويلاً.

و تحـت عنـوان: الاسـتغفار لأهـل البقيـع ؛ يقـول صاحـب كتـاب المقتفـى: أُمـر النبـيُّ صلى الله عليه وآله أن يسـتغفر لأهـل البقيـع ، و أتـاه الآتي بذلـك ، و هـو في بيته ضجيـع ، فخرج في جـوف الليـل ، و اسـتغفر لهم طويـلاً ، وصلّى عليهـم بإذن مَـن أمره أن يتخـذه وكيلاً، وهنّأهـم بـما أصبحـوا فيـه ، ، وذكـر مـن إقبـال الفتن ، مـا لا يمكـن تلاقيـه ، وعرف من كان معـه مـن صحبـه ، أنَّه خـيّر بين الدنيـا والآخرة ، فاختار لقـاء ربِّه ، ثمَّ صـلّى على أهل أُحـد، كالمـودّع للأحيـاء و الأمـوات ، فلمّا انصـرف لازمه الوعـك ، إلى أن علـت بوفاته الأصوات!

قبـل الوفـاة أتـى النبـيُّ مودعًـا أهـلَ البقيـعِ مُصلِّيًـا مسـتغفرَا
و اختـار لقيـا ربِّـه سـبحانه في جنّـة الفـردوس لمـا خـيّرا

و عـن خطـاب النبـيِّ صلى الله عليه وآله أهل المقابـر في آخر حياته المباركـة ؛ يقول هيـكل: أرق النبيُّ محمـد ليلـة أول مـا بدأ يشـكو و طـال أرقه ، و حدثته نفسـه أن يخـرج في ليل تلـك الأيام ، أيـام الصيـف الرقيقة النسـيم ، فيما حـول المدينة ، و خرج و لم يسـتصحب معه أحـداً ، إلّا مـولاه أبـا مويهبـة ، أفتـدري أين ذهـب؟ ذهب إلى بقيـع الغرقـد ، حيث مقابر المسـلمين عـلى مقربـة مـن المدينـة ، فلـمّا وقـف بـين المقابر قـال يخاطـب أهلهـا: «السـلام عليكم يا أهـل المقابـر ، ليُهنـئ لكـم مـا أصبحتم فيـه ، ممّا أصبـح الناس فيـه ، أقبلـت الفتن كقطع الليـل المظلـم ، يتبـع آخرها أولَهـا ، الآخرة شرٌّ مـن الأولى».

حـدّث أبـو مويهبـة أنّ النبي قال لـه أول ما بلغـا بقيع الغرقـد: «إني أُمرت أن أسـتغفر لأهـل هـذا البقيع ، فانطلـق معي».

فلـما اسـتغفر لهـم و آن لـه أن يـؤوب ، أقبل عـلى أبي مويهبة ، فقـال له: «يـا أبا مويهبة ، إنّي قـد أُوتيـت مفاتيـح خزائـن الدنيـا ، و الخلـود فيها ثمّ الجنـة ، فخيرت بـين ذلك و بين لقـاء ربّي و الجنّـة»! قال أبـو مويهبة: بأبي أنـت و أُمّي! فخـذ مفاتيح خزائـن الدنيا و الخلد

فيها ثمّ الجنّة! قال محمد صلى الله عليه وآله: «لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترتُ لقاء ربّي و الجنّة».

تحدث أبو مويهبة بما رأى و ما سمع، لأنَّ النبيَّ بدأ يشكو المرض غداة تلك الليلة التي زار فيها البقيع.

ذكر هذا في كتابه: حياة محمد، فيما ذكر نظيراً لذلك في كتابه الآخر منزل الوحي، فقال: و كثيرًا ما ناجَى أهل البقيع من أنصاره، الذين استُشهدوا في سبيل الله، و كان آخر ذلك حين مرض مرضه الذي اختار الرفيق الأعلى على أثره، فقد أرِق ليلةً أول ما بدأ يشكو، فخرج و معه مولاه أبو مُوَيْهِبة، و ذهب إلى البقيع فوقف بين المقابر، و قال يخاطب أهلها: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنئ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلتِ الفِتَنُ كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة شَرٌّ من الأولى، ثمّ استغفر الله لهم».

فلعلَّ من ذلك كلّه نتبين مشروعية زيارة قبور الموتى، بشكل عام، و زيارة بقيع الغرقد بشكل خاص؛ لما ناله من فضائل و تأكيد و اهتمام من رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أنَّه حظى بما لم تحظ به مقبرة أُخرى، فزيارته إضافةً إلى كونها اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وآله و اتّباعاً لسيرته و سنّته، فلقد كان يزور البقيع ليلاً و نهارًا، يدعو و يستغفر لأهله، و حتى علّم الزائرين بأن يقولوا حال الزيارة كما فيما جاء من حديث عائشة، و فيه ما نُسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «عن جبريل عليه السلام: إنَّ ربَّكَ يأمرُك أنْ تأتِي أهلَ البقيعِ فتستغفرَ لهُم». قالت عائشة: كيفَ أقولُ لهم يا رسولَ الله؟ قال صلى الله عليه وآله: قولي: «السلامُ عليكم أهلَ الديار من المؤمنين و المسلمين، و يرحم الله المستقدمين منّا و المستأخرين، و إنا إنْ شاء الله بكم لاحقون».

لقد تميَّز بقيعُ المدينة عن المقابر الأخرى بأهمّ ميزة، ألا و هي أنّه كان موضعاً مباركاً بكثرة زيارته صلى الله عليه وآله له في ليلٍ يزوره أو في نهارٍ؛ يدعو لأهله، و لهم يستغفر.

كما أنَّ زيارتهم تُذكّر الزائر، لا فقط بالآخرة، فيرقّ قلبه، و تدمع عينه حين يتذكر

مشاهد يوم القيامة و أهوالها ، بل تذكره بما قدمه هؤلاء من نصرة للإسلام و نبيّه صلى الله عليه وآله الذي حثَّ على هذه الزيارة قائلاً: «ألا إني كنتُ نهيتكُم عن زيارةِ ثلاثةٍ ثمَّ بدَا لِي فيهنَّ... نهيتكُم عن زيارةِ القبورِ ثمَّ بدَا لي أنَّها ترقّ القلب ، و تدمع العين ، و تذكِّر الآخرة ، فزوروها و لا تقولوا هجرًا». أي سوءًا.[1]

الانتفاع بزيارة القبور و الموتى :

حقّاً ، و كما جاء في الحديث أعلاه: ... زيارةِ القبورِ... أنَّها ترقّ القلب، و تدمع العين ، و تذكِّر الآخرة.

فقد استوقفني هذا الحديث ؛ لأقف عند ما تعنيه زيارة القبور ؛ زيارة الموتى ، و عمّا تحقّقه من المنافع.

فأقول :

تنبيهاً للعقول عن غفلاتها ، و تذكيراً لها بأهوال يوم القيامة ، و ترقيقاً للقلوب، و تزكيةً للنفوس و وعظاً لها ، و تزهيداً بالدنيا ، و ترغيباً بجنان الآخرة ، و شحذاً للهمم في ترك المعاصي و فعل الطاعات. فضلاً عما يكون للموتى ، لأرواحهم من الانتفاع بدعاء الزائرين و استغفارهم و الترحم عليهم. فلعلَّ هذا ممّا تحقّقه زيارة القبور.

---

١. انظر مسلماً في صحيحه ؛ وأحمد في مسنده١١ : ٥٧ ؛ والنسائي ؛ الترمذي ؛ وأبا داود في سننها ؛ ومالكاً في الموطإ؛ وانظر السيرة النبوية، لابن هشام ٤ : ٣٨٥ ؛ كتاب الإرشاد، للشيخ المفيد١ : ١٨١ ؛ سنن الدارمي، لعبد الله بن عبد الرحمن الدرامي، تحقيق فواز أحمد وخالد السبع: ٢١٥ ؛ ووفاء الوفاء، للسمهودي (ت٩١١هجرية) : ٧٩ ؛ وكتاب المقتفى من سيرة المصطفى، ابن حبيب الحلبي، المحقق: د. مصطفى محمد حسين الذهبي ؛ محمد حسين هيكل في كتابيه: منزل الوحي، جنّة البقيع:٥١٢، وحياة محمد، الفصل الثلاثون: مرض النبيِّ ووفاته: ٤٩٨ ؛ موسوعة العتبات المقدسة، لجعفر الخليلي، البقيع .

و بعد هذا التلخيص لما تحقّقه زيارة القبور من منافع للزائر و المزور، نأتي لما يقوله بهذا الخصوص كلٌّ من:

الفخر الرازي:

و حول الانتفاع بزيارة القبور و الموتى، يقول الرازي بعد ذكره لثلاث مقدمات: إنَّ الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان، قوي النفس، كامل الجوهر شديد التأثير، و وقف هناك ساعة، و تأثرت نفسه من تلك التربة. حصل لنفس هذا الزائر تعلق بتلك التربة.

و قد عرفت: أنَّ لنفس ذلك الميت تعلق (تعلقاً) بتلك التربة أيضاً. فحينئذ يحصل لنفس هذا الزائر الحيّ، و لنفس ذلك الإنسان الميت ملاقاة، بسبب اجتماعهما على تلك التربة. فصارت هاتان النفسان شبيهتان (شبيهتين) بمرآتين صقيلتين، وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من كلّ واحدة منهما إلى الأخرى. فكلُّ ما حصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف البرهانية، و العلوم الكسبية، و الأخلاق الفاضلة من الخضوع لله تعالى، و الرضا بقضاء الله تعالى، ينعكس منه نور إلى روح ذلك الإنسان الميت، و كلُّ ما حصل في نفس ذلك الإنسان من العلوم المشرفة، و الآثار القوية الكاملة، فإنه ينعكس منها نور إلى روح هذا الزائر الحي. و بهذا الطريق تصير تلك الزيارة سبباً لحصول المنفعة الكبرى، و البهجة العظمى لروح الزائر، و لروح المزور. ثمَّ يقول: فهذا هو السبب الأصلي في شرعية الزيارة. و لا يبعد أن يحصل فيها أسرار أخرى أدقّ و أغمض (وأخفى، و أحقّ) مما ذكرناه. و تمام العلم بحقائق الأشياء ليس إلّا عند الله سبحانه و تعالى.[1]

---

١. انظر المطالب العالية من العلم الإلهي، للفخر الدين الرازي ٧ : ٢٧٥ـ٢٧٧ ؛ الفصل الثامن عشر في بيان كيفية الانتفاع بزيارة القبور و الموتى.

و محمد حسين هيكل:

و بعد أن يسأل: كم مرة جاء رسول الله ﷺ إلى هذا المكان؟ فيُجيب: عشرات المرات، ثمَّ يُبين السبب و الهدف من زياراته ﷺ فيقول: فقد كان يجيء إليه كلما مات صاحبٌ من أصحابه، يُصَلِّي عليه، و يقف حتى يواري جثمانه التراب.

و كان يجيء وحده أحيانًا، و مع أصحاب له أحيانًا أخرى، لغير شيء إلّا للصلاة على مَن في البقيع و الاستغفار لهم و مناجاتهم.

و هنا يقول هيكل كلاماً رائعاً عن رسول الله ﷺ و زياراته للموتى في البقيع:

فقد كان يرى الحقَّ من أنَّ الموت انتقالٌ من حياة الدنيا إلى حياة الآخرة، و أنَّ الذين ينتقلون من بيننا يبقى اتصالهم بنا حتى ليسمعوننا، و إن كانوا لا يتحدثون، فلا يستطيعون أن يجيبونا.

و كثيرًا ما ناجَى أهل البقيع من أنصاره الذين استُشهدوا في سبيل الله، و كان آخر ذلك حين مرض مرضه الذي اختار الرفيق الأعلى على أثره، فقد أرِق ليلةً أول ما بدأ يشكو فخرج و معه مولاه أبو مُوَيْهِبة و ذهب إلى البقيع فوقف بين المقابر، و قال يخاطب أهلها: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنئ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلتِ الفِتَنُ كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها، الآخرة شَرٌّ من الأولى» ثم استغفر الله لهم.

و يواصل هيكل كلامه قائلاً: و هذه آية من رسول الله في السمو بالتفكير على الزمان و المكان، و في مقدرة مَن وهبه الله ما وهب رسوله أن يتصل بمن شاء الله أن يتصل بهم ممن يحجبهم الزمان و المكان، و لقد يسَّر لنا العلم أن ندرك اليوم شيئًا من هذا حين يسر لنا أن نصل على المكان بمن شئنا عن طريق الأثير و الإذاعة، و ما يزالُ علماء يحاولون حلّ مشكلة الزمان بالاتصال بأرواح الذين سبقونا، و مَن يدري! فلعلّ العلم يطوِّع لنا أن نتصل بهم يومًا في يُسْرٍ كما نتصل اليوم بمن في أقصى الأرض،

و أن نراهـم طَـيَّ القـرون كما نـرى عن طريـق «التلفزيـون» مَن تحجـب البحـار و الجبال و القارات بيننـا و بينهم.[1]

و اتخذوا لهم دوراً في بقيع الغرقد :

لقـد كان البقيـع محـلَّ اهتـمام كبـير من قبـل المسـلمين و بالـذات الصحابـة و مَن جاء بعدهـم مـن التابعـين ، و كـم كانـت أمانيهـم عظيمـة أن يُدفنـوا فيـه ، و لا يحرمـوا مـن فضائله ؛ و ممّا ورد فيه من خير و ثواب و شـفاعة رسـول اللهﷺ و اسـتغفاره لأهله سـواء الذيـن كانـوا في العـصر الأول للإسـلام أم الذيـن دفنوا به بعدهـم إلى آخر الدنيـا كما يبدو ، بمعنـى لم يكـن دعـاء رسـول اللهﷺ و شـفاعته و اسـتغفاره لأهـل مقـبرة بقيـع الغرقد مخصوصـاً بمـن دُفن مـن تلك الأُمّـة و مازال و سـيبقى المسـلمون بآلافهم يـزورون بقيع الغرقـد ، و يتنقلـون بين قبوره إطاعةً لرسـول اللهﷺ في حثّه على مواصلـة زيارته و اقتداءً بـهﷺ و ابتغـاءً للثـواب و حبًّـا للأجـر ، و إحيـاءً لذكـرى من دفن فيـه و حفظـاً لآثارهم و تذكراً لمسـيرتهم.

و إن لم تكـن هـذه البقعـة تسـتحق كلَّ تكريم لما كان رسـول اللهﷺ يضفـي عليها كلَّ هـذه الفضائـل و الدرجـات العليا ، و لمّـا كان عـلى كثرة مسـؤولياته يجعلها محـطَّ اهتمامه و عنايتـه و زياراته.

و لهـذا و لعظيـم درجاته و جليـل فضائلـه ؛ لم يُكتفَ ببقيـع الغرقد كونه مقـبرة عامة، دُفـن فيهـا أغلـب الذيـن كانـوا يتوفـون في زمـن النبـيّﷺ و كان يشـهد جنائزهـم و إن وجـدت مقابـرُ أخـرى ، كالتـي عند مسـجد القبلتـين ، و كالمقـبرة عند مسـجد الفتح بل راحـت كلُّ قبيلـة تختـار ناحيـة مـن البقيع لدفـن موتاهم.

بل ذكروا أنَّ رسـول اللهﷺ قسّـم بعضه قطعاً ؛ لبناء دور للمهاجرين صغيرة و كبيرة،

١. محمد حسين هيكل، منزل الوحي، جنَّة البقيع .

حتى راح بعض الصحابة يجعلون فيها مقبرة لهم و لعوائلهم ، أو أنَّ الدار صارت فيما بعد مقبرة العائلة ، أو محل دفن أحد شخصياتها المهمّة ، و من هذه الدور كانت هناك دار لعقيل بن أبي طالب ؛ يُقال: إنَّ العباس بن عبد المطلب عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله دُفن فيها. و في قول: دفن العباس بن عبد المطلب عند قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم في أول مقابر بني هاشم التي في دار عقيل ، و تحوّلت هذه الدار في العهد العباسي إلى حرم.

و قد اختار الإمام عليّ عليه السلام داراً إلى جوار دار عقيل ، فقيل له: مالك جاورت المقابر؟! فقال عليه السلام: «وجدتهم جيران صدق يكفون ألسنتهم و يذكرون الآخرة»!

فعن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قيل له: مالك تركت مجاورة قبر رسول الله عليه السلام و جاورت المقابر (يعني البقيع)؟ فقال: «وجدتهم جيران صدق، يكفون السيئة و يذكرون الآخرة»!

و قد روي أنّ عقيل بن أبي طالب رأى أباسفيان بن الحارث ـ (المتوفى سنة ١٥ أو ٢٠ هـ) و هو ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، و أخوه من الرضاعة ؛ أرضعتهما حليمة السعديَّة ـ يجول بين المقابر ، فقال: يا بن عمّي مالي أراك هنا؟ قال: أطلب موضع قبري. فأدخله داره، فأمر بقبر فحفر في قاعتها ، فقعد عليه أبوسفيان ساعة ثمّ انصرف ، فلم يلبث إلّا يومين حتى توفي و دفن فيه.

و عن السمهودي تحت عنوان: بيان المشاهد المعروفة اليوم بالبقيع و غيره من المدينة الشريفة ، إعلم أنَّ أكثر الصحابة ـ كما قال المطري ـ ممّن توفي في حياة النبيِّ صلى الله عليه وآله و بعد وفاته مدفونون بالبقيع ، و كذلك سادات أهل بيت النبيِّ صلى الله عليه وآله و سادات التابعين.[1]

---

١. تاريخ المدينة، لابن شبه١: ١٢٧ ؛ كنز العمال، للمتقي الهندي١٥: ٧٥٩ـ٧٦٠، رقم:٤٢٩٨٩ ؛ الكامل في التاريخ، لابن الأثير١: ٦٧٣ ؛ الطبقات الكبرى، لابن سعد٣: ١٠١؛ ٦: ٩٢ ؛ الإصابة، لابن حجر٤: ٥٧٥ ؛ شرح نهج البلاغة١٠: ٦ ؛ الاستيعاب، لابن عبد البر٤: ١٦٧٦؛ وفاء الوفاء، للسمهودي٣: ٩٩ـ ١٠١.

المدفونون في البقيع : ما إن اختار رسول الله ﷺ بقيع الغرقد ، و إنَّ اختياره هذا تمَّ بأمر من السماء ، و هي فضيلة عظيمة سُجلت كأوّل فضيلة حظي بها البقيع ، ثمَّ توالت عليه فضائل أُخرى راحت تواكبه و من يُدفن فيه ، أعظمها زيارات رسول الله ﷺ له ، و مواقفه و أقواله مدحاً لهذه البقعة و ثناءً عليها ، فضلاً عن أدعيته المتواصلة لأهل البقيع ، و حثّه على زيارته و القبور التي فيه ، و التي يُستشف منها حثّه ﷺ على الدفن فيه ، حتى تسارع الصحابة إلى زيارة البقيع ، و تكرار التردّد عليه ، و رغبتهم في دفن موتاهم فيه حتى و كما ذكرنا اتّخذوا دوراً لهم فيه ، و جعل بعضهم قبورهم فيها طمعاً بالثواب و رغبةً في الأجر و نيل الدرجات و أهمّها شفاعة رسول الله ﷺ و شهادته للمدفونين فيه.

و قد دُفن في بقيع الغرقد هذا آلاف من الصحابة و الصحابيات ؛ أعلام من الصحابة ؛ و من تابعيهم و تابعي تابعيهم ، و العديد من آل البيت النبوي الشريف ، و الصالحين ، و العلماء على مدى القرون.

و هذا ما دفع محمد حسين هيكل إلى أن يُحدث نفسه بما يُداخل مشاعره من أماني قائلاً: قلت في نفسي: أوَلا يهدي الله رجلًا من المسلمين إلى كتابة تاريخ لهذه البقعة و الذين دفنوا بها ينشر فيه ما عملوا و يحلله تحليلًا علميًّا ، و يرده إلى أصوله ، و يُبيِّن ما كان له في الوجود من أثر؟! إنّ في قصص ما صنعوا و ما كانوا عليه لأبلغ العبرة، و هو بعدُ يكشف من تاريخ هذا العالم عن شيء كثير ما أحوج العالم إلى أن يقف عليه فهؤلاء جميعًا من أصحاب رسول الله ﷺ و هم عَرَب من أبناء شبه الجزيرة ، فما اتّخذوه في حياتهم من عمل أدنى إلى تصوير الروح الحقّ لهذا الدين الحنيف و إلى هداية الناس لهذا الروح ، و ما أشدّ حاجة الناس إلى هذه الهداية.

ألَا لو أنَّ عملًا ضخمًا كهذا العمل أتمّه رجل أو رجال لأسدَوْا إلى الإسلام و إلى التاريخ و إلى الإنسانية خدمة جُلَّى ، و لمهَّدوا لأولي الفن أن يقيموا في هذا المكان أثرًا

خالـدًا يصـوِّر هذا الـروح روح الإقـدام في سـبيل الحـقّ و الإرادة الصادقة في سـبيل الله.

مـا أقـصرَ سِـنِي الحياة! فلـو أنَّ لي من القـدرة على القيام بـشيء من هـذا العمل الجليل أمهـد بـه الطريـق لإتمامه ؛ لأقدمتُ غير مبتغٍ إلّا رضا الله و حسـن ثوابـه ، و كفى بالله وليًّا و نصـيرًا. و لكـن ، مَـن لي بأن أقـوم ـ أنا الضعيف العاجز ـ فأجمع من شـتيت الأسـفار ما يؤرخ البقيـع و رجاله من أصحاب رسـول الله ﷺ ؟!

فلْأَذَرْ هذا الأمر يهيئ الله له من شاء من عباده ، و لله الأمر من قبل و من بعد.[1]

هـذا ، و إن اتفقـت الكلمـة على أنَّ الذيـن دفنوا في البقيـع كثر ، لكنهـم اختلفوا فيمن دُفـن أولاً مـن الصحابـة في بقيع الغرقـد ، فكلامنا فيمن دُفـن في البقيـع أولاً ، لا أول من مـات من المسـلمين في المدينة ، بعـد الهجرة النبويّة المباركة إليها ، فقد ذكـر أنَّ أول من توفي بعـد مقدمـه ﷺ المدينة من المسـلمين ، صاحب منزلـه كلثوم بن الهدم الأنصـاري الأوسي و كان شـيخاً كبـيراً ، أسـلم قبـل مقـدم رسـول الله ﷺ المدينة ، و لمّـا قدم رسـول الله ﷺ المدينـة ، نـزل في منزلـه ، و لكنّه لم يلبث بعـد مقدمه ﷺ إلّا يسـيراً حتى مات.

ـ إذن اختلـف فيمـن دُفـن في بقيـع الغرقـد أوّلاً أهـو أبـو أمامـة أسـعد بـن زرارة الأنصـاري الخزرجـي النجـاري ، أم هـو أبـو السـائب **عثمان بـن مظعون** الجمحـي مـن المهاجريـن.

فهنا قولان ؛ ذهب الأنصار إلى الأول ، فيما ذهب المهاجرون إلى القول الثاني.

فأسـعد بـن زرارة الأنصـاري الخزرجـي ، و يُقال له أسـعد الخير ، كان مـن الأنصار ، قديـم الإسـلام ، شـهد العقبتـين ، فكان أول مـن بايع بيعة العقبـة الثانية ، صـار نقيباً على قبيلتـه ، لم يكـن في النقبـاء أصغر سـنًّا منه. و اختلـف في وقت موته. قيل: مـات قبل قدوم رسـول الله ﷺ المدينـة ، و قيـل: قبـل بـدر أخذتـه الذُّبحـة ، وقيـل: كانـت وفاته في سـنة مقدمـه ﷺ إلى المدينـة قبل أن يفرغ بناء المسـجد بالذبحة ، أو الشـهقة ، وقيـل: إنَّه مات في

١. محمد حسين هيكل، منزل الوحي .

السنة الأولى من الهجرة في شوال على رأس تسعة أو ستة أشهر من الهجرة و لم يحضر بدراً ؛ لأنَّ بدرًا كانت في رمضان سنة اثنتين هجرية ، فصلّى عليه رسول الله ﷺ، و دفن بالبقيع.

ـ و أما المهاجرون ، و كما ذكرنا ، فقالوا : أول من دفن به أبو السائب **عثمان بن مظعون** الجمحي ؛ صحابيٌ بدريٌ من السابقين إلى الإسلام ، حين انطلق عثمان بن مظعون ، و عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، و عبد الرحمن بن عوف ، و أبو سلمة بن عبد الأسد ، و أبو عبيدة بن الجراح ، حتى أتوا رسول الله ﷺ، فعَرَض عليهم الإسلام ، و أنبأهم بشرائعه ، فأسلموا جميعًا في ساعةٍ واحدةٍ ، و ذلك قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم ، و قبل أن يدعو فيها. و في خبر أنه أسلم بعد ثلاثة عشر رجلًا ، و هاجر هو و ابنه السائب الهجرة الأولى إلى الحبشة في السنة الخامسة للبعثة و أتمّها بهجرته إلى المدينة ؛ فنال وسام الهجرتين ، ثمّ وسام مشاركته في وقعة بدر الكبرى يوم ١٧ شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ؛ ليتوفى بعدها في شعبان من السنة الهجرية الثالثة على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة ، و قبّله رسول الله ﷺ و هو ميت ، و كانت دموعه ﷺ تسيل على خدّ عثمان بن مظعون. و كبر عليه أربع تكبيرات ، كما وردت بذلك الأخبار،[1] و كان أول من دفن ببقيع الغرقد.

فعن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : أول من دفن بالبقيع من المسلمين عثمان بن مظعون ، فأمر به رسول الله ﷺ، فدفن عند موضع (الكبا) اليوم عند دار محمد بن الحنفية ، قال محمد بن عمر : و (الكبا)، الكناسة.

و كذا عن عبيد الله بن أبي رافع : أول من دفن ببقيع الغرقد عثمان بن مظعون وضع رسول الله ﷺ حَجرًا عند رأسه ، و قال: «هذا فَرَطُنا».

فكان إذا مات الميت بعده قيل: يا رسول الله أين ندفنه؟ فيقول رسول الله ﷺ:

١. بطرق أهل السنة فقط ، (اليوسفي الغروي).

«عنـد فَرَطِنـا عثـمان بـن مظعون».

و عـن أبي بكـر بـن محمـد بـن عمـرو بـن حزم قـال: رأيت قبر عثـمان بـن مظعـون و عنـده شـئ مرتفـع ؛ يعني كأنـه علـم. أو فأمر رسـول اللهﷺ بـشيء فوضع عند رأسـه و قـال: «هـذا علامة قبره يدفن إليـه». يعنـي من مات مـن بعـده.

و في خـبرٍ؛ ثـمَّ شـهد دفنـه ، فلمّا فرغ ، و سـوى عليـه قبره ، أمـر أن يؤتى بحجـرٍ فقام رجـل إلى حجـر ، فلـم يسـتطع حمله ، فقـام إليه النبـيُّﷺ و حسر عـن ذراعيه ، ثـمَّ حمله، فوضعـه عنـد مـكان رأسـه ، و قـال: «و نعلـم بـه قـبر أخـي ، و أدفـن إليـه من مـات من أهلي».

و فعـلاً و كـما روى الشـيخ الكليني بسـنده عن أحدهماعليهما السلام، قال: لمّـا ماتـت رقية ابنة رسـول الله ، قـال رسـول اللهﷺ: «الحقـي بسـلفنا الصالح عثمان بـن مظعون و أصحابه. و كانـت فاطمـة عـلى شـفير القبر تنحـدر دموعهـا ، و رسـول اللهﷺ قائـم يتلقاهـا بثوبه و يدعـو لرقيـة ، ثـم قال: «سـألت الله عـزَّ وجـلَّ أن يجيرها من ضمـة القبر.[1]

ـ و قد دفنﷺ ابنه إبراهيم إلى جانب عثمان بن مظعون رضوان الله عليهما.

و إبراهيـم ابن رسـول اللهﷺ وُلـد مـن زوجتـه مارية القبطيـة في المدينة المنـورة في ذي الحجـة ، و يُعـدُّ ولـده الوحيد مـن غـير أُمِّ المؤمنين خديجة بنـت خويلدعليها السلام. و تـوفّي لعشر ليـال خلـت مـن ربيـع الأول سـنة عـشر ، و هـو ابـن ثمانيـة عـشر أو سـبعة عشر شـهرًا. و قـالﷺ: «ندفنـه عنـد فرطنـا عثمان بـن مظعون».

روى جابـر أنَّ النبـيَّﷺ أخـذ بيـد عبـد الرحمن بـن عوف ، فأتى بـه النخل ، فـإذا ابنه إبراهيـم في حجـر أمّـه يجـود بنفسـه ، فأخذه رسـول اللهﷺ فوضعـه في حجره ، ثـمّ قال: «يـا إبراهيـم ، إنّـا لا نغنـي عنك مـن الله شـيئاً». ثمّ ذرفـت عيناه ، ثـمّ قـال: «يا إبراهيم ، لـولا أنـه أمـر حـقّ ، و وعـد صـدق ، و أن آخرنا سـيلحق أولنـا ، لحزنّـا عليـك حزناً هو

---

١. انظر تاريخ الطبري ٣ : ٢٨٢؛ وعنه في تاريخ ابن الأثير ؛ فروع الكافي ١ : ٦٦ .

أشـدّ مـن هـذا ، و إنّا بك يا إبراهيـم لمحزونون ، تبكـي العين ، و يحزن القلـب، و لا نقول مـا يسـخط الـرب». أو «تدمـع العين ، و يحـزن القلـب ، و لا نقـول إلّا ما يُـرضي الربَّ ، و إنّـا بك يـا إبراهيـم لمحزونون».

و في قـولٍ: إنَّ رسـول اللهﷺ حـين دفـن ولده إبراهيم في البقيع سـوى عـلى قبره بيده، و أعلـم عليـه بعلامة ، و قـال: «إنَّها لا تضرّ و لا تنفـع ، و لكن تقرّ عين الحـي ، و إنَّ العبد إذا عمـل عملاً أحـبّ الله أن يتقنه».

و نـترك الأمـر لهيكل ؛ لنقـرأ منه كلامـاً جميلاً عن إبراهيـم ابن الرسـولﷺ و هو ممن دُفن في البقيع:

و مـع تسـوية قبور البقيع بالأرض اليوم ، و عدم إعلامهـا إلّا بهذه الأحجار الموضوعة حولهـا ، لقـد شـعرتُ إذ وقفت أمـام بعضها بهِزَّة نفسـية كأنّـما بيني و بين سـاكنيها أقرب الأَوَاصِر ، و كأنهـم دُفنـوا لأمْسـهم ، و لمّـا تجـفَّ العَـبْرة عليهـم ، مـن هـذه القبـور قـبر إبراهيـم ابـن الرسـولﷺ ، فلقـد وقفـتُ لديـه و أطلـتُ الوقـوف ، و ذكرتُ عنـده هذه الفـترة الوجيـزة مـن حيـاة محمد ، مـذ وُلد هذا الطفـل إلى أن مات ، و لمَّـا تنتصف السـنة الثانيـة مـن عمـره ، كان الله قـد فتح أمَّ القرى مثابـة بيته العتيق على المسـلمين ، و قد أمنهم جانـب الـروم ، و كان النبـيُّ قد جاوز السـتين بعـد أن اطمأن إلى نـصر الله إيـاه ، تَفِدُ عليه القبائـل مـن أنحـاء الجزيـرة كلّها تعلـن إليه إسـلامها و تسـتظل بلوائه الروحـي و بأخوَّة المؤمنين.

كان إلى ذلـك قـد فقـد أبنـاءه و بناتـه ، فلـم يبـقَ له منهـم إلّا فاطمـة ، و قـد أقام عشر سـنوات بعـد وفـاة خديجة ، و بعد زواجه من عائشـة و سـائر أمهـات المؤمنـين لا يَعْقِب، فلـمّا وَلَـدَتْ لـه ماريَّـةُ القبطيـة المصريـة إبراهيم ، فاضـت بالمسرَّة نفسـه ، و وجـد في هذا الطفـل أُنـس قلبـه و زينـة حياته ، فجعـل يمـرُّ كلَّ يوم بـدار أمّـه ، يمتِّع بابتسـامة الطفل البريئـة الطاهـرة ، و يُغَـذِّي بضمِّـه إلى صدره شـعوره الإنسـاني ، الذي بلغ من السـمو أن

شـمل النـاس جميعًـا ، و هو يجد مع ذلـك في توفره على هـذا الطفل نعيمًا و غبطـة ، و تأخذ الغَـيْرة أُمهـات المؤمنـين لهذا الحُـبِّ ، الذي رفـع أمَّ إبراهيم عـن مقام السـراري إلى مقام الزوجـات ، فيأتَمِـرْن بالنبـيِّ ، و يخـرج بهـن الغضـب إلى مـا لم يُعَوِّدْنَـه ، فـلا يصرفه ذلك عـن الطفـل ، بـل يزداد به تعلقًا كلـما ازداد نمـوًّا ، و كلما رأى في ابتسـامته و في ضحكته ما تَسـعد بـه أبوَّته و تسـتريح له نفسـه من عملـه العظيـم المُضْنِي.

و يترعـرع الطفـل و ينمـو و يزداد شـبهه بمحمـد وضوحًا ، فيـزداد له حبًّا و بـه تعلقًا و يرمقـه مـن العطـف بـما لا عطـف بعده ، و إنـه لكذلـك ، إذ مـرض الطفـل و أسرع فيه المـرض ، فذبلـت نضارتُـهُ و ذهب لونه ، و لم ينفعـه تمريض أمّه ، و لم يبعـث عطف أبيه إلى جسـمه النحيل الشـفاء ، و يشـتد الألم بمحمد لما يـرى من حاله ، و يبلغ منـه الألم أن يأخذ بيـد عبـد الرحمـن بن عـوف يعتمد عليـه في مسـيرته مـن المدينـة إلى النَّخل بجـوار العالية مـن ضواحـي المدينـة حيث تقيـم مارية تُمَـرِّض ابنهـا ، و تُعينهـا أختها سِـيرين في تمريضه ، و تواسـيها في بأسـائها ، و يـرى النبـيُّ الطفـل في حِجْـر أمّـه [يجود] بنفسـه ، فيمـلأ الألمُ قلبـه و تَنْـدَى بالدمـع عينه ، و يجلـس إلى جـوار مارية الملهوفة و هو أشـدّ ما يكـون وَجَلًا و خوفًـا و جزعًـا ، و يأخذ الطفـل إلى حجره ، و ينظر إليه بعينـين مُلِئتا ألماً و يقـول: «إنَّا يا إبراهيـم لا نُغْنِـي عنك من الله شـيئًا»!

فتصيـح الأمُّ و تصيـح أختها و الطفـل في غيبوبة الموت لا يوقظه صريـخ أمّه و لا تنبهه الدمـوع الحارّة المنهلّة مـن مآقي أبيه!

و يُقبـض هـذا الـروح الـبريء ، و ينطفـئ بموتـه أمـلٌ تفتحت له نفـس النبـيّ زمنًا ، فتـزداد عينـاه تَهْتانًـا ، و يأخـذ منه الحـزن كلّ مأخـذ ، و يقـول و الجثة الصغـيرة الهامدة ما تـزال في حجـره: «يـا إبراهيـم ، لـولا أنه أمـر حـقّ ، و وعد صـدق ، و أن آخرنا سـيلحق بأولنـا ، لحزِنَّـا عليك بأشـدَّ مِـن هذا».

ثـمّ تخنقـه العَـبْرة ، فـلا يسـتطيع أن يتابع القـول فيعلوه الوجـوم ، و قد ارتسـم الحزن

عـلى قَسَـمات محيَّـاه في أبلـغ صـورة للهفـة اللاذعـة العميقـة ، و يشـعر بأنـه مفـارق هذه الفلـذة مـن كبـده ، فيهـز رأسـه و يقول: «تَدمـع العين و يحـزن القلـب ، و لا نقـول إلّا ما يُـرضي الـرب ، و إنَّا يـا إبراهيـم عليـك محزونون».

و يحـسّ محمـد مـا بـه من جَـوَى الحـزن ، و مـا يلفحه مـن حُرقتـه ، و يُقَـدِّر بـما بمارية و أختهـا منـه ، فتأخـذه الرأفـة بهـما ، فيكفكـف مـن دمعـه و يتوجه إليهـما يريـد تعزيتهما فيذكـر لهـما إنَّ لـه لَمُرْضِعًـا في الجنـة ، و يقـوم و معـه عمُّـه العبـاس و طائفة من المسـلمين يشـيعون إبراهيـم بعـد ما غسَّـلوه و حملـوه على سرير صغـير ، ها هـم أولاء قد جـاءوا به إلى هنـا ، و وقفـوا بـه حيث أقـف ، و لعلّـه ﷺ كان واقفًا مـكاني حين صلَّى عليـه ، و حين سَـوَّى عـلى قبره بيده بعـد دفنه ، و حـين رَشَّ الماء على القـبر ، و أعْلَمَ عليـه بعلامة و قال: «إنّهـا لا تـضرُّ و لا تنفـع ، و لكنهـا تُقِـرُّ عـينَ الحـي ، و إنَّ العبـد إذا عمل عمـلًا أحبَّ الله أن يُتْقِنَه».

و حدثتنـي نفـسي و أنـا بموقفي: كيـف يبلغ الحزن مـن محمد هذا المبلـغ ، و قد حمل في الحيـاة مـا ينـوء بـه مَن لم يؤتـه الله من فضله مـا آتى نبيَّـه و رسـوله ، و قد حمله قويًّـا صابرًا مسـتهينًا بالأذى و الموت؟!

و ذكـرت إذ ذاك أنّـه ﷺ بـشرٌ مثلنـا ، و أنَّ لنـا فيه الأسـوة و المثل ، و أنّـه في حزنه على إبراهيـم قـد كان الأُبُـوَّة البرَّة و العاطفة السـامية التي ركَّبهـا الله في الناس إبقـاءً على الحياة ، و صـورة لوحدتهـا المتنقلـة عـلى الأجيـال ، و هـل في الحيـاة كعاطفـة الأبـوة الـبرة نعمة و سـعادة و زينة؟!

و هـذه العاطفـة التـي نسـعد بها هي التـي تبعـث إلى قلوبنا حُـبَّ الغـير ، و تخفِّف من أَثَرَتِنـا و تعلمنـا الإيثار و تدعونا إليه ، و هـي التي تدفعنا بذلك إلى السـعي في الحياة ابتغاء الـرزق لبنينـا و مَن يلـوذ بنا ، و ابتغاء الخـير بعد ذلك للنـاس جميعًا ، و لولا هـذه العاطفة لَقَضَـت الأثرة عـلى الحياة ، و لأسرع الفسـاد إلى الكون.

و يخـرج النـاس من البقيع بعـد موت إبراهيم ، فإذا الشـمس تَكْسِـفُ ، و إذا آية النهار تُمْحَـى ، فيحسـبون ذلك معجزة شـارك الكون بها رسـول الله في حُزْنِـه ، لكنه ﷺ ما يلبث حين يسـمعهم يتهامسـون بذلك أن يقول لهم: «إنَّ الشـمس و القمر آيتان من آيات الله لا تُخسـفان لموت أحـدٍ و لا لحياته ، فـإذا رأيتم ذلك ، فافزعوا إلى ذكـر الله بالصلاة».

و يهرع المسـلمون إلى المسـجد يصلُّـون و قد زادتهم كلمة رسـول الله إيمانًا بـأنَّ الله جلَّ شـأنُه لا يُغـير سُـنته ، و أنَّ كلّ ما يقـع في الحياة إنّما هـو من أمره.

و بدفـن إبراهيـم ابن رسـول الله ﷺ في هذه البقعـة المباركة عظمت رغبة المسـلمين في أن يُدفنـوا فيها ، و يَدفنـوا ذويهم فيها.[1]

ـ فاطمـة بنت أسـد بن هاشـم بن عبـد مناف ، أول هاشـميّة ولدت لهاشـمي كما يقول عنهـا ابـن الأثير ، و أول هاشـميّة تزوجت هاشـميّاً ، فهي زوجة أبي طالـب عمِّ النبي ﷺ و قـد ولـدت لـه أربعـة أولاد و هـم طالـب و عقيـل و جعفر و الإمـام عـلي عليه السلام ، و ثلاث بنـات أمّ هانـئ و جمانـة و ريطـة. و كانـت من أبـرّ النـاس برسـول الله ﷺ قامت مقـام أمِّ النبيِّ حبًّـا به و حنانًـا عليه.

أسـلمت فكانت مـن السـابقات في الإسـلام ، و نالـت شرف الصحبـة النبوية و أجر أول امـرأة هاجـرت عـلى قدميها مـن مكـة إلى المدينة.

و كـما حظيـت فاطمة بنت أسـد بالكرامـة في حياتها ، حظيـت بها بعد وفاتها في السـنة الرابعـة هجريـة ، فقـد تـولّى رسـول الله ﷺ دفنها و دعـا لهـا بالمغفـرة عليها السلام ، روي أنَّ الإمام عليًّـا عليه السلام قـال: «لمـا ماتت فاطمة بنت أسـد بن هاشـم ، كفّنهـا رسـول الله ﷺ في قميصه ، و صـلّى عليهـا ، و كـبّر عليها سـبعين تكبـيرةً ، و نـزل في قبرهـا ، فجعل يؤمـي في نواحي القـبر ، كأنه يوسـعه ، و يسـوي عليهـا ، و خرج من قبرهـا و عيناه تذرفـان ، و كان قد جثا

١. الطبقـات الكـبرى، لابـن سـعد٣ : ٣٦٥ـ٣٧١ رقـم: ٩١ ؛ تاريـخ الواقـدي وغيرهما ؛ محمد حسـين هيـكل، منـزل الوحي، جنّـة البقيع .

في قبرها ، و في رواية اضطجع معها في قبرها».

عن أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أمّ علي عليه السلام، دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله فجلس عند رأسها ، فقال: «رحمك الله يا أمّي ، كنت أمّي بعد أمّي ، تجوعين و تشبعيني ، و تعرين و تكسيني ، و تمنعين نفسك طيباً و تطعميني، تريدين بذلك وجه الله و الدار الآخرة».

و لمّا ذهب اقترب منه عمر بن الخطاب و قال: يا رسول الله! رأيتك تفعل لهذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد من قبل؟ فقال صلى الله عليه وآله: «يا عمر ، إنّ هذه المرأة كانت بمنزلة أمّي التي ولدتني ، إنَّ أبا طالب كان يصنع الصنيع و تكون له المأدبة ، و كان يجمعنا على طعامه ، فكانت هذه المرأة تفضل منه كلّه نصيبنا فأعود به».

و في رواية: لما سئل عن سرِّ صنيعه بقبرها ، قال صلى الله عليه وآله: «إنه لم يكن بعد أبي طالب أبرَّ بي منها! إنّما ألبستها قميصي ، لتكسى من حلل الجنة ، و اضطجعت في قبرها ؛ ليهوّن عليها عذاب القبر».

قال السمهودي: إنّ قبرها في موضع من البقيع كان يعرف بحمام أبي قطيفة ، بجهة مشهد سيدنا إبراهيم ، و عليه قبّة ، و اليوم يقابلها نخل يعرف بالحمّام ، و إنّ مشهد فاطمة معروف.

و عن الإصفهاني: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله دفن فاطمة بنت أسد بالروحاء مقابل حمّام أبي قطيفة .

و عن عيسى بن عبدالله ، عن أبيه ، عن جدّه ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دفن فاطمة بنت أسد بن هاشم أُمّ علي بن أبي طالب عليهما السلام بالروحاء مقابل حمام أبي قطيفة. و الروحاء اسم البقيع، يُقال إنَّه صلى الله عليه وآله سمّاه به.[1]

١. تاريخ ابن الأثير ؛ الهيثمي، في مجمع الزوائد ؛ علل الشرائع٢: ٤٦٩، باب النوادر ؛ مقاتل الطالبيين٤ـ٥ ؛ وعنه في شرح نهج البلاغة١: ١٤ ؛ بحار الأنوار، للعلّامة المجلسي٢٠: ١٨١ .

ـ أئمة أهل البيت عليهم السلام :

إلى جوار هذه السيدة المباركة فاطمة بنت أسد بن هاشم ، أُمّ رسول الله صلى الله عليه وآله كما نصَّ عليها ، و هو يودعها إلى مثواها الأخير: «رحمك الله يا أمّي ، كنتِ أمّي بعد أمّي» .

عاش معها و في كنفها و هي زوج لعمّه أبي طالب رضوان الله تعالى عليه الذي شاءت له السماء أن يكون إلى جانب ابن أخيه ، يضمّه إليه و يجعله في عِياله و يكون له كفيلاً يكلؤه و يحميه ، و سنداً اجتماعيًّا يدافع عنه و يوازره ضدَّ مواقف السوء لكبار مشركي قريش و زعمائها ، مانعاً له من أذى المشركين و قبضتهم.

فكان بحقٍّ حاضناً لرسول الله صلى الله عليه وآله بقوّة و صدق ، و كانت حاضنةً له صلى الله عليه وآله بحنان عظيم و رعاية جادّة ، ثمَّ شاءت السماء لهذه المرأة الصالحة بعد وفاتها أن تكون حاضنةً لأربعة من أئمة الطهر من أهل البيت النبويّ الشريف ، و لكن بعد أن شكّلوا امتداداً رساليًّا لجدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله و لنبوته الخاتمة حتى قضوا أعمارهم الشريفة في حفظها و صيانتها من الغلوّ و التحريف و التجاوز ، و في بناء الأُمّة المؤمنة بهم و المحِبّة لهم ، و المستفيدة منهم إيماناً و علماً و معرفةً. فأدّوا الأمانة و بلّغوا رسالة ربّهم.

و بعد انتقالهم إلى الرفيق الأعلى آمنين مطمئنين **راضين مرضيّين** ، رقدوا إلى جوار جدّتهم في بقيع الغرقد. **فسلام الله وصلواته عليهم وعليها.**

الأوّل :

و كان أولهم ابن ابنها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، و هو أول إمام من أئمة أهل البيت دُفن في بقيع الغرقد ، إلى جوار جدّته من أبيه فاطمة بنت أسد عليها السلام ، بعد أن واجهت عملية دفنه عليه السلام مواقف ، و صاحبتها مواجهات و مشادات كلاميّة ، كادت أن تتحول إلى فتنة ، لولا وصيته سلام الله عليه.

نكتفي بما ذكره الشيخ المفيد ، حيث يقول: لما حضرت الحسن عليه السلام الوفاة استدعى الحسين عليه السلام ، و قال: «يا أخي إنّي مفارقك ، و لاحق بربّي عزَّ وجلَّ ، و قد سقيت

السـمَّ ، و رميت بكبدي في الطسـت ، و إنّي لعارف بمن سـقاني السـمَّ ، و أنـا أخاصمه إلى الله تعـالى ، فبحقّـي عليـك إن تكلمـتَ في ذلـك بـشيء ، و انتظـر مـا يحدث الله عـزَّ وجلَّ فيّ ، فـإذا قضيـتُ ، فغمّضني و غسّـلني و كفّني ، و احملني عـلى سريـري إلى قـبر جدّي رسـول الله صلى الله عليه وآله ، لأجـدد بـه عهـداً ، ثـمَّ رُدَّني إلى قـبر جـدّتي فاطمـة بنت أسـد عليها السلام فادفني هنـاك! و سـتعلم يـا ابـن أمّ أنَّ القـوم يظنّـون أنّكـم تريـدون دفني عند رسـول الله صلى الله عليه وآله ، فيجلبـون في ذلـك ، و يمنعونكـم منه.

و بـالله أقسـم عليـك أن تهـرق في أمـري محجمـة دم! فلـمّا مضـى لسـبيله ، غسّـله الحسـين عليه السلام ، و كفّنـه و حملـه عـلى سريـره.

و لم يشـك مـروان و مـن معـه مـن بنـي أميّـة أنهـم سـيدفنونه عنـد رسـول الله صلى الله عليه وآله ، فتجمعـوا و لبسـوا السـلاح.

فلـمّا توجـه به الحسـين عليه السلام إلى قبر جدّه رسـول الله صلى الله عليه وآله ؛ ليجـدد به عهـداً ، أقبلوا إليهم في جمعهـم ، و لحقتهـم عايشـة عـلى بغـل ، و هـي تقول: مـالي و لكـم تريـدون أن تدخلوا بيتـي مـن لا أحـبّ. و جعـل مروان يقـول: يارب هيجـا هي خيرٌ مـن دعـة. أيدفن عثمان في أقـصى المدينـة ، و يدفن الحسـن مـع النبيّ صلى الله عليه وآله. لايكـون ذلك أبـداً و أنا أحمل السـيف! و كادت الفتنـة أن تقـع بـين بنى هاشـم و بين بنـى أُميّة!

فبـادر ابـن عبـاس إلى مـروان ، فقـال لـه: ارجع يـا مـروان من حيـث جئـت ، فإنّا ما نريـد دفـن صاحبنـا عنـد رسـول الله صلى الله عليه وآله ، لكنّا نريـد أن نجدّد بـه عهـداً بزيارته ، ثـمّ نردّه إلى جدتـه فاطمـة ، فندفنـه عندهـا بوصيتـه بذلـك ، و لـو كان أوصى بدفنه مـع النبيّ صلى الله عليه وآله لعلمـت أنّـك أقـصر باعـاً مـن ردّنـا عـن ذلـك ، لكنّـه عليه السلام ، كان أعلـم بـالله و برسـوله و بحرمـة قـبره مـن أن يطـرق عليـه هدمـاً ، كما طـرق ذلك غـيره و دخـل بيته بغـير إذنه.

ثـمّ أقبـل على عايشـة ، و قال لها: وا سـوأتاه! يوماً عـلى بغل ، و يوماً عـلى جمل! تريدين أن تطفئـي نـور الله ، و تقاتـلى أوليـاء الله ، ارجعـي فقـد كفيت الـذي تخافـين ، و بلغت ما

تحبين! و الله تعالى منتصر لأهل هذا البيت و لو بعد حين!

و قال الحسين عليه السلام: و الله لو لا عهد الحسن عليه السلام إليَّ بحقن الدماء، و أن لا أهريق في أمره محجمة دم؛ لعلمتم كيف تأخذ سيوفُ الله منكم مآخذَها، و قد نقضتم العهد بيننا و بينكم، و أبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا!

و مضوا بالحسن عليه السلام، فدفنوه بالبقيع عند جدّته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف عليهم السلام.[1]

الثاني:

الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، رابع أئمة أهل البيت عليهم السلام، تُوفي سنة ٩٤ أو ٩٥ هجرية، أي بعد خمس وثلاثين سنة ـ و هي مدّة إمامته ـ من واقعة الطف و استشهاد أبيه الإمام الحسين عليه السلام في العاشر من شهر محرّم سنة ٦١ للهجرة، و قد عاش فصولها المليئة **بالدماء** و بحزِّ الرؤوس و تقطيع الأشلاء و رضّها، حتى عُدّت الأفظع و الأشنع و من أكبر الفجائع و الأحداث المؤلمة التي ارتكبها الظالمون بحقِّ بيت النبوّة فتركت في نفسه عليه السلام آلاماً عظيمة و أحزاناً دفنت معه في البقيع إلى جوار عمّه الإمام الحسن عليه السلام، و بقرب مدفن العباس بن عبد المطلب.

الثالث:

الإمام محمد الباقر عليه السلام، خامس أئمة أهل البيت عليهم السلام، انتقل الإمام الباقر عليه السلام إلى رضوان الله تعالى سنة ١١٨ هجرية، و سنّه المباركة سبع و خمسون سنة، و مدّة إمامته تسع عشرة سنة، و في يوم وفاته، قام ابنه الإمام الصّادق عليه السلام بدفنه في بقيع الغرقد بالمدينة بجوار أبيه علي بن الحسين عليهما السلام، و عمّ أبيه الحسن بن علي عليه السلام، في القبّة التي فيها قبر العباس.

و أما الرابع فهو الإمام جعفر الصادق عليه السلام، سادس أئمة أهل البيت عليهم السلام، كانت

١. الشيخ المفيد، الإرشاد ١: ٢٧٩.

وفاتـه سـنة ١٤٨ للهجـرة ، و مـدّة إمامته أربـع و ثلاثون سـنة ، و دفن بالبقيـع إلى جانب أبيـه الإمـام الباقـر عليه السلام ، و قـد سـجّل هـذان الإمامـان دوراً بـارزاً في إتمام مدرسـة الإمام علي بن الحسـين التـي بدأها و أنشـأها في المدينة المنـورة ، **فتضافرت جهودهـم** لتطويرها ، و بنـاء روّادهـا القادمـين علميًّا و أخلاقيًّـا ، و هم من شـتّى البقاع و المذاهـب كما أظهرت مدرسـتهم الفضـل العلمـي الكبير لهـم ، و تميزهـم المعرفي فضلاً عـن الإيـماني و العبادي عـلى من سـواهم من علماء عصرهـم ، فكانوا موضع ثنائهم و إشـادتهم ، ممـا جعل الكثير مـن المسـلمين خاصـة طلبـة العلـوم و الباحثـين ، يـرون ضرورة الارتبـاط بمدرسـتهم العلميـة و الأخلاقيـة ، و عـدم الاسـتغناء عـن عمقهـا المعـرفي ، رغـم مـا يبذلـه الحـكّام و المناوئـون لأهـل البيـت عليهم السلام مـن جهـود خطـيرة ؛ لأجل خلق ظـروف معاكسـة لهؤلاء الأئمـة خاصـة ، و لحركة أهـل البيت النبـويّ في الأمـة عامة.

و بدفـن هؤلاء الأئمـة الطاهرين في مقبرة البقيع ، زادت فضيلتهـا و بركتها و جلالها ؛ لتضـاف إلى ما اسـتمدته من بركات و فضائل بسـبب قربها من الضـريح الطيّب لرسـول الله صلى الله عليه وآله و لمواقفـه و كلماتـه فيهـا ، و لما ضمّته من قبور شـهداء الصدر الأول من الإسـلام ، و شـهداء واقعـة الحـرّة التـي كانت بأمرٍ مـن يزيد بـن معاوية الذي ما إن اسـتلم السـلطة بعـد أبيـه معاويـة ، حتـى حكـم ثـلاث سـنوات ضمّـت ثـلاث جرائـم كـبرى ارتكبهـا و تابعـوه ، في كلّ سـنة منها جريمـة مروّعة:

في السـنة الأولى ؛ كان قتلـه للإمـام الحسـين عليه السلام و أهـل بيتـه و أنصـاره في كربـلاء في محـرّم سـنة ٦١ هجرية ، بعد أن ركـزوا بين اثنتين ، بين السـلّة و الذلّة ، و ذلـك حين خيّروا الإمـام عليه السلام بـين السـلّة و الذلّة ، بين سـيف القتل و البيعـة ليزيد و الطاعة لـه و فيها منتهى الذلّة.

فكان جوابه عليه السلام: «و هيهات منّا الذلّة ، يأبى الله لنا ذلك و رسوله و المؤمنون...».

و في السـنة الثانيـة ؛ في الثالـث عـشر مـن محـرّم سـنة ثـلاث و سـتين هجريـة ، كانت

وقعة الحرّة بين ثوّار المدينة و جيشه الذي أرسله من الشام بقيادة مسلم بن عقبة حتى يأخذوا بيعة أهل المدينة ، بل لإكراههم على أنّهم خول ليزيد ، يحكم في دمائهم و أموالهم و أهليهم ، و إلّا قتلهم أشدّ قتلة ، فلمّا لم يجد غير الممانعة و الرفض من أهلها أباح مدينتهم ؛ مدينة رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ، فتعرضت حرمتها إلى إساءة بالغة سلبت فيها أموالهم ، و انتهكت أعراضهم حين افتضَّ فيها ألف عذراء ، و أزهقت فيها أرواح كثيرة ، منهم ثمانون صحابيّاً بعضهم بدريون و سبعمئة حافظاً للقرآن الكريم ؛ حضنتهم مقبرة البقيع ، فزادت بهم فضلاً و جمالاً.

و في السنة الثالثة من سلطانه ، سنة أربع و ستين هجرية ، بعد وقعة الحرَّة رميت الكعبة المشّرفة بالمنجنيق ، فانتهكت هي الأخرى حرمتها و احترقت أستارها.

و عن السيوطي ، قال الذهبي: لما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل مع شربه الخمر و إتيانه المنكرات ، اشتد عليه الناس، و خرج عليه غير واحد ، و لم يبارك الله في عمره ، و سار جيش الحرَّة إلى مكة ؛ لقتال ابن الزبير ، فمات أمير الجيش بالطريق فاستخلف عليهم أميراً ، و أتوا مكة ، فحاصروا ابن الزبير و قاتلوه و رموه بالمنجنيق ذلك في صفر سنة أربع و ستين ، و احترقت من شرارة نيرانهم أستار الكعبة و سقفها و قرنا الكبش الذي فدى الله به إسماعيل و كان في السقف ، و أهلك الله يزيد في نصف شهر ربيع الأول من هذا العام.

و لوجود قبور أُخر غير ما ذكرناه كقبر عمِّ النبيِّ العباس بن عبد المطلب الذي تُوفي في المدينة المنورة سنة ٣٢هـ و عمره ٨٨ عامًا و دفن في بقيع الغرقد ، و يُقال في دار عقيل ، و في قول: دفن العباس بن عبد المطلب عند قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم.

و قبر عقيل بن أبي طالب ، تُوفي سنة ٤٩ من الهجرة ، بعد أن كفَّ بصره و كانت لعقيل دار واسعة في بقيع الغرقد كما ذكرنا ، دُفن فيها.

و لشخصيات أُخر دُفنت في البقيع ؛ عدد من عمّاته و أزواجه و أولاده ﷺ

و الصحابة حتى ورد في بعض التواريخ أنَّ عشرة آلاف صحابي و صحابية دفنوا فيه و دفن فيه الكثير من التابعين و تابعي التابعين، و العديد من كبار شخصيات المسلمين و علمائهم، حتى صار البقيع، و بالذات هذا الجزء منه ذا مكانة رفيعة عند المسلمين على تعدد مذاهبهم و اختلاف طوائفهم، يواظبون على زيارته عبر الأجيال و القرون.

و أختم هذا الفصل، و بالذات هذا الجزء من البقيع بما ذكره محمد حسين هيكل، فبعد أن يختار هذا العنوان (جَنَّة البَقِيع!) لهذا الباب من كتابه (في منزل الوحي)، يقول: إنْ تَعْجَب فقد عجبتُ قبلك من عنوان هذا الفصل، عجبتُ حين قرأتُ الكلمتين اللتين تؤلِّفانه على صورة شمسية للقباب التي كانت قائمة بالبقيع ثمّ هدمها الوهابيون، و إنّما هوَّن من عجبي أنّ الذي أطلق على المكان جنَّة البقيع و وضعه على الصورة رجل من الأتراك في عهد بني عثمان، فلمّا انقضى العجب و عُدْتُ أتدبَّر الكلمتين رأيتهما تعبران عن معنًى دقيق، فاخترتُهما عنوانًا لهذا الفصل من الكتاب.

فالبقيع، أو بقيع الغَرْقَد كما تسمّيه كتب السيرة، هو مقبرة المدينة، كان مقبرتها في الجاهلية و في صدر الإسلام، و ما يزال مقبرتها إلى اليوم، و لم يَعْنِ التركي صاحب الصورة الشمسية هذا البقيع كلّه في جاهليته و إسلامه، و إنّما عَنَى جزءًا منه هو الذي بقي موضع عناية الناس به و زيارتهم إياه، و هو موضع حديثي الآن.

حيث يقول عن هذا الجزء من البقيع: ففي هذا الجزء من البقيع مقابر أزواج النبيِّ و قبر ابنه إبراهيم و قبور بناته، و قبر عثمان بن عفان، و قبر جعفر الصادق، و قبر مالك بن أنس، و قبور شهداء واقعة الحَرَّة التي هاجمت فيها جيوش يزيد بن معاوية المدينة سنة ثلاث و ستين من الهجرة، هذا إلى كثير من صحابة رسول الله ﷺ ذكرت المؤلفات القديمة عددًا كبيرًا من أسمائهم، و أغفلت مع ذلك ذكر أسماء أكثرهم.

المسلمون جميعًا على اتفاق أنَّ أصحاب هذه الأسماء التي أسلفناها من أهل الجنة، و أنَّ كثيرين غيرهم، لم أذكر أسماءهم، من أهل الجنة كذلك، فمنهم جماعة من أهل

بـدر الذيـن قـال فيهم رسـول الله ﷺ: «لعـلَّ اللهَ قـد اطلع على أهل بـدر يوم بـدر ، فقال: اصنعـوا ما شِـئْتُم ، فإنّي قد غفـرتُ لكم».

و منهـم جماعـة وهبوا حياتهم لله و لإخوانهم المسـلمين ، فاستشـهدوا في سـبيل الحقّ ، و شـهد النـاس لهم في حياتهـم بالتقوى ، فلهم عند ربّهـم مغفرة و أجر كريـم، و من بينهم جماعـة مـن العلماء الذيـن توفّـروا حياتهم عـلى العلم مخلصين لـه وجوههـم ، لا يبغون به غـير الحـقّ مرضـاةً لله ؛ من هـؤلاء مالك بـن أنس صاحـب المذهب المالكي و عـالم المدينة العظيـم ، و العلـماء ورثـة الأنبياء مـا أرادوا بعلمهـم الحقّ و هدايـة الناس لـه. أما و ذلك شـأن الثاوين في هـذا المكان.

و أحسـن هيـكل إذ يقـول: فلم يَغْلُ من سـمَّاه جنّـة البقيـع ، و لم يَغْلُ من رفـع القباب عـلى قبـور أصحابـه ؛ لـو أنـه قصـد منهـا إلى الإشـادة بذكرهـم ؛ لتكـون للناس عـلى كَرِّ العصـور مُذَكِّـرًا و عِبْرة.[1]

بقيع الغرقد و مشاهده و قبابه فيما كتبه الرحّالة :

ابـن جبير (ت٦١٤هـ) يقـول في رحلتـه: فـأول مـا نذكر مـن ذلك مسـجد حمزة عليه السلام، و هـو بقبـلي الجبـل المذكـور ، و الجبل جـو في المدينـة ، و هو على مقـدار ثلاثة أميـال و على قـبره مسـجد مبنـي. و القـبر برحبة جـو في المسـجد ، و الشـهداء، رضي الله عنهـم ، بإزائه، و الغـار الـذي أوى إليـه النبـي ﷺ بـإزاء الشـهداء أسـفل الجبـل. و حـول الشـهداء تربة حمـراء هـي التربـة التي تنسـب حمزة و يتـبرك النـاس بها.

فبعد أن ذكر أنَّ هناك مسجداً على قبر حمزة ، يأتي كلامه عن البقيع:

---

١. تاريـخ الخلفـاء، للسـيوطي: ١٦٧ ؛ تاريـخ الطـبري٥: ٤٩١، حـوادث سـنة ٦٣ للهجـرة والجـزء٤: ٤٩٦،٥: ٤٩٨ـ٥٠٠ وغيرهمـا ؛ تاريـخ معـالم المدينـة المنـورة، أحمـد ياسـين الخيـارى ٣٤٧ أو ٢٤٧ ، ٤٠٨،٨٦،٩٩ ؛ تاريـخ المدينـة المنـورة، ابـن شـبه١: ٨٦، ٩٩ ؛ منـزل الوحـي، لهيـكل.

و بقيع الغرقد شرقي المدينة ، تخرج إليه على باب يعرف بباب البقيع ، و أول ما تلقى عن يسارك عند خروجك ، من الباب المذكور ، مشهد صفية عمّة النبيّ صلى الله عليه وآله أمّ الزبير بن العوام ، و أمام هذه التربة قبر مالك بن أنس الإمام المدني ، و عليه قبة صغيرة مختصرة البناء.

و أمامه قبر السلالة الطاهرة إبراهيم ابن النبيّ صلى الله عليه وآله و عليه قبة بيضاء و بإزائه قبر عقيل بن أبي طالب ، و عبد الله بن جعفر الطيار ، و بإزائهم روضة فيها أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله و بإزائها روضة صغيرة فيها ثلاثة من أولاد النبيّ صلى الله عليه وآله.

و يليها روضة العباس بن عبد المطلب و الحسن بن عليّ، ثمَّ يقول:

و قبراهما مرتفعان عن الأرض متسعان مغشيان بألواح ملصقة أبدع إلصاق ، مرصعة بصفائح الصفر ، و مكوكبة بمسامير على أبدع صفة ، و أجمل منظر.

على هذا الشكل قبر إبراهيم ابن النبيّ صلى الله عليه وآله و يلي هذه القبة العباسية بيت ينسب لفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وآله و يعرف ببيت الحزن ، يقال: إنّه الذي أوت إليه و التزمت فيه الحزن على موت أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله.

ثمَّ يذكر في قبر عثمان آخر البقيع ، و عليه قبة صغيرة مختصرة.

و على مقربة منه مشهد فاطمة ابنة أسد أمّ علي، رضي الله عنها وعن بنيها و على قبر فاطمة المذكورة مكتوب: ماضمَّ قبر أحد كفاطمة بنت أسد رضي الله عنها و عن بنيها !

هذا ابن جبير في رحلته ، و أما ابن بطوطة(ت٧٧٩هـ)، فله رحلة وقعت بعد رحلة ابن جبير بمئة و خمسين عاماً ، ما دوّنه فيها يشبه رحلة ابن جبير ، فيذكر أيضاً فيها أنَّ على قبر إمام المدينة أبي عبدالله مالك بن أنس قبةً صغيرةً مختصرةَ البناء ، و على قبر إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله قبة بيضاء.

ثمَّ يذكر روضة فيها قبر العباس بن عبد المطلب عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، و قبر الحسن

بـن عـلي بـن أبي طالـب عليه السلام، و فيها قبـة ذاهبة في الهـواء بديعـة الإحكام عن يمـين الخارج مـن باب البقيع. و قبراهما مرتفعان عن الأرض متسـعان مغشـيان بألـواح بديعة الإلصاق مرصعـة بصفائـح الصفـر البديعـة العمـل... و في آخر البقيـع قبر عثمان بن عفـان و عليه قبـة كبـيرة. و علـى مقربـة منـه قـبر فاطمـة بنـت أسـد بـن هاشـم أمّ عـلي بـن أبي طالب رضي الله عنهـا و عـن ابنها.[1]

لهـذا نجـد السـمهودي (المتوفّى٩١١هــ) يذكـر شـيئاً لا يختلـف عـما ذكـره ابـن جبير و ابـن بطوطـة في وصـف بقيـع الغرقـد، فيقـول: قد ابتنـى عليها مشـاهد، منها المشـهد المنسـوب لعقيـل بـن أبي طالـب و أُمّهـات المؤمنـين، تحوي العباس و الحسـن بـن علي... و عليهـم قبـة شـامخة في الهـواء، قال ابـن النجـار:... و هي كبـيرة عاليـة، قديمـة البناء، و عليهـا بابـان، يفتـح أحدهمـا في كلّ يوم. و قـال المطري: بناهـا الخليفة النـاصر أحمد بن المسـتضيء... و قـبر العباس و قبر الحسـن مرتفعان من الأرض متسـعان مغشـيان بألواح ملصقـة أبـدع إلصـاق، مصحفـة بصفائـح الصفـر، مكوكبـة بمسـامير على أبـدع صفـة و أجمـل منظر.[2]

و إذا بالمعاول !!

في العـام (١٢٢٠هــ/ ١٨٠١م) و في العـام (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م) قـد هـوت لا عـلى تلـك القباب و المشـاهد و القبـور و أحجارها و معالمها فقـط حتى جعلتها مدمـرةً خربةً، بـل هـوت عـلى الأئمة عليهم السلام و الصالحـين و الشـهداء رحمهم الله، و هوت عـلى تلـك الفضائل التي منحهـا رسـول الله صلى الله عليه وآله لتلك البقعة المباركة، و على مواقف و مشـاهد رسـول الله صلى الله عليه وآله التي

١. كتـاب تحفـة النظـار في غرائـب الأمصـار و عجائـب الأسـفار، لابـن بطوطـة. (وهذا غـير صحيح، فإنّهـا لم تكـن عـلى مقربـة مـن مقبرة عثـمان في حـشّ كوكب خـارج البقيـع. بل هي مـع قبـور أبنائها الأئمـة عليهم السلام وعمّهم العبـاس، أوائـل البقيع).

٢. وفاء الوفاء، السمهودي٣: ٩١٦ـ٩٢٩.

كان من خلالها يبعث بأجلِّ آيات التكريم و الترحّم على بقيع الغرقد، و من دُفن فيه، فجعلت منه مأوى أفئدة، و محطّ آمال، و راحة بالٍ للزائرين و جعلت منه ما يخفف عن النفوس المؤمنة ممّا تحملته من هموم و أثقال، حقًّا: «إذا ضاقت الصدور فعليكم بزيارة القبور»!

حتى أنَّ من يزور البقيع و يرى تلك النفوس الصالحة التي قُدر لها أن تُدفن فيه، و أن يضمَّ ثراه أجساد أئمة الطهر و القداسة أئمة أهل البيت عليهم السلام، و صالحي الصحابة و التابعين رضي الله عنهم، و على مقربة منهم ضريح رسول الله صلى الله عليه وآله شفيعاً لهم و شاهداً عليهم، فهم في جنّة القرب من رسول الرحمة صلى الله عليه وآله و في جنّة جواره و كنفه و رعايته ينتابه شعور طيب و هدوء و سكينة و اطمئنان بالأجر و الثواب، فما أجمل ما يشعر به هذا الزائر و هو يقف مواقف رسول الله صلى الله عليه وآله و يشهد مواضع زياراته المتكررة للبقيع و دون أن تنقطع حتى في الساعات الأخيرة من حياته المباركة، و يُردّد كلمات رسول الله صلى الله عليه وآله: «السلامُ عليكُم يَا أهلَ القبورِ، و يغفرُ اللهُ لنَا و لكُم، أنتمْ لنَا سلفٌ، و نحنُ بالأثرِ». «السلامُ عليكُم دارَ قومٍ مؤمنِين»، السلام عليكم يا أهل القبور من المؤمنين و المسلمين».

فهل هناك أجمل من ذلك و أكثر بركة؟!

و تعالوا معي إلى فقرات مما ذُكر في زيارة أئمة أهل البيت صلى الله عليه وآله الراقدين في بقيع الغرقد؛ فهل ترى من شركٍ فيها؟ و إن عثرتَ على ما يدعو إلى عبادتهم، أو إلى الشرك، دلّني عليه!

«اَللهُ اَكْبَرُ كَبيراً، وَ الْحَمْدُ لله كَثيراً، وَ سُبْحانَ الله بُكْرَةً وَ اَصيلاً، وَ الْحَمْدُ لله الْفَرْدِ الصَّمَدِ الْماجِدِ الْاَحَدِ الْمُتَفَضِّلِ الْمَنّانِ، الْمُتَطَوِّلِ الْحَنّانِ، الَّذي مَنَّ بِطَوْلِهِ، وَ سَهَّلَ زِيارَةَ ساداتي بِاِحْسانِهِ، وَ لَمْ يَجْعَلْني عَنْ زِيارَتِهِمْ مَمْنُوعاً بَلْ تَطَوَّلَ وَ مَنَحَ». «اَشْهَدُ اَنَّكُمْ قَدْ بَلَّغْتُمْ وَ نَصَحْتُمْ وَ صَبَرْتُمْ في ذاتِ الله، وَ كُذِّبْتُمْ وَ اُسيءَ اِلَيْكُمْ فَغَفَرْتُمْ»... «يا مَنْ

هُـوَ قائِـمٌ لا يَسْـهُو ، وَ دائِـمٌ لا يَلْهُـو ، وَ مُحِـيطٌ بِكُلِّ شَـيْء لَكَ الْمَنُّ بِـما وَفَّقْتَنـي وَ عَرَّفْتَني بِـما اَقَمْتَنـي عَلَيْـهِ ، اِذْ صَـدَّ عَنْـهُ عِبـادُكَ ، وَ جَهِلُـوا مَعْرِفَتَـهُ ، وَ اسْـتَخَفُّوا بِحَقِّـهِ ، وَ مالُوا اِلى سِـواهُ ، فَكانَـتِ الْمِنَّـةُ مِنْـكَ عَلَيَّ مَـعَ اَقْـوام خَصَصْتَهُمْ بِـما خَصَصْتَني بِهِ ، فَلَـكَ الْحَمْدُ اِذْ كُنْـتُ عِنْـدَكَ في مَقامـي هـذا مَذْكُـوراً مَكْتُوبـاً ، فَـلا تَحْرِمْنـي مـا رَجَـوْتُ ، وَ لا تُخَيِّبْني فيـما دَعَـوْتُ ، بِحُرْمَـةِ مُحَمَّـد وَ آلِهِ الطّاهِرينَ ، وَ صَـلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّـد وَ آلِ مُحَمَّد» . و حين يودِّعهـم الزائـر يقول: «اَلسَّـلامُ عَلَيْكُمْ اَئِمَّـةَ الْهُدى وَ رَحْمَـةُ اللهِ وَ بَرَكاتُهُ ، اَسْـتَوْدِعُكُمُ اللهَ وَ اَقْـرَأُ عَلَيْكُـمُ السَّـلامَ ، آمَنّا بِاللهِ وَ بِالرَّسُـولِ ، وَ بِما جِئْتُمْ بِهِ وَ دَلَلْتُمْ عَلَيْهِ ، اَللّـهُمَّ فَاكْتُبْنا مَعَ الشّـاهِدينَ» .

إذن فنحـن نـؤدّي الزيارة للأنبيـاء و الأئمة الطاهرين و للصالحين و الشـهداء و كلُّ ما تتمنّـاه قلوبُنـا ، و تـردّده شـفاهُنا هو ما تختصره هـذه العبارة الجميلـة الرائعة: اللهـمَّ دُلَّني عـلى مَـن يدلّني عليـك ، و صِلني بمـن يَصلني بك!

و ليـس في حياتنـا أصدق و أطهر مـن يُدلّنا على الله تعالى ، و يصلنـا بمنهجه القويم إلّا كتابـه العزيز و رسـوله الصـادق الأمـين صلى الله عليه وآله و عترته الطيبـة الطاهرة عليهم السلام . و لعـلَّ حديث الثقلـين في صيغـه المتعـدّدة المتقاربـة ، و التـي منهـا: «إنّي تـارك فيكـم الثقَلـين: كتاب الله و أهـل بيتـي ، أو و عترتي أهـل بيتي» .

جـاء ليُرشـدنا إلى ذلـك ، و ليُعزّز علاقتنـا بالله تعـالى ، و يوثّقها عبر هذيـن المصدرين المباركـين لا غير!

لهـذا فـإني أقـف عـلى أضرحـة الصالحـين ، و بالـذات أضرحـة الثقَـل الثـاني ؛ العترة المباركـة ، لا لأعبدهـم و لا لأُشركهـم في عبـادتي لله الواحـد الأحـد ، بل لأُسـلّم عليهم ، أدعـو الله لهـم ، أتذكر سـيرتهم الصادقة ، أدعوه تعـالى أن يمدّني بالقدرة عـلى الاقتداء بهم و بسـنّتهم و أخلاقهـم ، و أن يحـشرني معهـم في الآخـرة ، و أن يجعلني أحظى بشـفاعتهم و قبـولي في حوزتهـم بإذنٍ منـه و رحمة.

لقـد انهالـت تلك الأيدي بمعاولهـا على جميع ذلك ، عـلى وجوه طيبـة ، و قيم مباركة، و مناقب جليلة.

لا أدري أيّ عـداءٍ و فهـمٍ عقيـمٍ تمكّـن مـن نفـوس جعلت هـذه البقعة قفـراء جرداء خربـة ، و إن لم تكـن هكـذا كانـت مدعـاةً للكفر و الـشرك و البدعـة و الضلال!

لا أدري أيّ ملازمـة بـين قـبر معلّـم بقبّة متواضعة عليـه و تحقق الشـرك و الضلال ، و تحقـق عبادة غـير الله؟!

و أي ملازمـة بـين قـبر خـرب في أرض موحشـة و تحقـق التوحيـد الخالـص و الإيمان الخالـص ، و العبـادة الخالصة؟!

و من أراد أن يعبد الله سـبحانه و تعالى ، فالمقبرة ذات الأحجار و الجدران و الأسـقف، و ذات الأرض المخـضرة المزهـرة لا تقـف حائـلاً و مانعـاً من ذلـك. و مـن أراد أن يشرك بـالله ، بـأن يعبـد صاحب القبر ، و يدعـوه من دون الله تعـالى ، فإزالة القبّـة و القبر و جعل مـا حولـه أرضـاً مقفرةً لا تمنعـه عن ذلك أبـداً ، كـما أنَّ وجودها لا يحثّـه على الشرك.

فالأمـر يتعلّـق بنيّـة الزائـر و وعيه و معرفتـه و ثبـات إيمانه ، سـواء جـرّدت القبور مما ارتفـع فوقهـا ؛ من قبابٍ أو أسـقفٍ و جـدران ، أو تكون ذات قبابٍ و أقـواس ، فإن نوى عبـادة مـن دُفـن في القبر مـن دون الله تعالى فقـد أشرك ، والعياذ بالله. فما يُبنـى على القبور لا يشـجع على ذلـك ، و عدمه لا يدفعـه إلى خلوص العبـادة لله وحده!

و لهـذا صـارت النيّـة و هي القصـد و جمعها نيّات أسـاس العمل. و قـد روي الفريقان سـنّة وشـيعة عـن رسـول الله صلى الله عليه وآله أنّه قـال: «إنـما الأعـمال بالنيّـات ، و إنّـما لكلّ امـرئٍ ما نـوى». و روي «أنَّ بالنيـات خلـد أهل الجنـة في الجنـة ، و أهل النـار في النار».[1]

ثـمَّ لمـاذا تخويـف الناس من زيـارة أمواتهـم ؛ آبائهـم و إخوانهـم و متعلقيهـم ، أو بناء قبـاب بسـيطة أو أضرحـة متواضعـة لقبورهـم ، رغبـةً منهـم في تكريمهـم و توقيرهـم ،

١. انظر صحيحي البخاري و مسلم ؛ بحار الأنوار، للعلّامة المجلسي٦٧: ٢١٢، رقم ٤٠ .

و تخليـد ذكراهـم ، فتُكبّل أنفسـهم و عواطفهم ، و الأسـوأ مـن هذا أنّكـم تجعلون لذلك آثـاراً وخيمـة في الآخـرة ، فيتركهـم خائفـين قلقـين! و كأنَّ هناك عـداءً للموتـى ، و جميع شـعوب الأرض بفطرتهـا تُحـب زيـارة موتاها ، و تسـتأنس حينـما تُضفي عليهم شـيئاً من التكريـم عـبر رثائهم تارةً ، و أُخرى ببنـاء قباب عليهم بالحجارة و الطـوب قديماً و بالمرمر و الزجـاج حديثـاً ، و زراعة مـا حولها فلعلّها تدفع الوحشـة ، و تلقـي في نفوس من يفعل ذلـك سـلوةً و راحـةً ، شريطـة أن لا تدعو للمباهاة ، و لا تشـغل عن ذكـر الله تعالى و عن الموعظـة ، و قـد ورد عـن ابن عبـاس أنَّ النبيَّ ﷺ مرَّ بحائط ، ... فسـمع صوت إنسـانين يُعذبـان في قبورهمـا... ثـمَّ دعـا بجريـدة ، فكسرهـا كسرتـين ، فوضـع على كلِّ قـبرٍ منهما كسـرةً ، فقيـل لـه: يا رسـول الله لِمَ فعلـتَ هذا؟ قـال: لعلّه أن يُخفـف عنهما ما لم تيبسـا».

و في روايـة: «... ثُـمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً ، فَشَـقَّهَا بِنِصْفَـيْنِ ، ثُمَّ غَرَزَ فِي كُلِّ قَـبْرٍ وَاحِدَةً، فَقَالُـوا: يَـا رَسُـولَ اللهِّ ، لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ فَقَـالَ: لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَـا».[1]

ثـمَّ لمـاذا فقـط زيـارة القبـور و البناء عليهـا ذريعـة للشرك ، فـما أكثـر الذرائـع المؤدية للـشرك ، سـواء أكان شرك عبـادة أم شرك طاعـة أو شرك النعـم؟

أَلا في ذلـك أغـلال تكبـل النـاس لا لجـرم اقترفـوه ، و كلُّ ما قامـوا به زيـارة لموتاهم، لا يعـودون منهـا إلّا بالتوبيـخ مـن قبـل أتباعكـم ، فضـلاً عـن الازدراء و الإهانـة ، بـل و وصفهـم بالـشرك و الكفر؟!

أَوَ ليـس في هـذا حـرج و تضييق عليهم و تعسـير للديـن ، بدل التخفيف و التيسـير؟! فأيـن أنتم مـن «**يسروا و لا تعســروا**» ، «**و بشروا و لا تنفروا**» و «**إنّ الدّين يسر**» لا تعسـير و لا تشـديد فيه و لا تنفير؟!

و إذا كان الـشرك يتعلـق بزيـارة القبـور بقببها أو بدونهـا ، فقد اتفق المسـلمون على أنَّ رسـول الله ﷺ زار قبـور البقيـع ليلاً و نهاراً ، و اسـتغفر لأهلهـا كما ذكرنا ذلـك. و اقتداءً

١. صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الجريد على القبر رقم: ١٣٠٧ .

بـه ﷺ صـار المسـلمون ، إلّا قليـل منهم ، يـزورون البقيـع و يدعون و يسـتغفرون لأهله عـلى مـرِّ العصـور و الأجيـال ، حتى أنك لا تـرى من يـأتي لأداء فريضة الحـجّ أو للعمرة، إلّا و أكمـل ذلـك المنسـك بزيـارة البقيـع ، قـد يزوره قبـل المناسـك أو بعدها بحسـب ما تقتضيـه حملـة الحـجّ و العمـرة التي هو فيهـا ، و هذا مـا تميَّزت بـه مقبرة البقيـع ، و لم نجد مـن عبـد صاحـب قبرٍ نبيًّـا كان أو إماماً أوصالحـاً أو عالمـاً ، أو يدعوه مـن دون الله تعالى ، و هـو للتـو يُنـادي: «لبيك اللهـم لبيك ، لبيـك لا شريك لـك لبيك».

و كلُّ مـا يفعلـه الزائـر أن يقـف عليهـم ، يسـلّم عليهم ، يدعـو الله تعالى لنفسـه و لهم بالرحمـة و المغفـرة ، يقـرأ آيـات قرآنيّـة و ينـوي ثوابها لهـم ، و هو بهـذا يبتغـي تكريمهم ، و فيـه وفـاءٌ لهم و برٌّ بهـم ، و لا أظنُّ أنَّ الديـن الحنيف إلّا و يدعو إلى هـذا الخلق الطيّب!

كـما أنَّ الزائـر يرجـو ثـواب زيارتهم ، و مـا يترتب من الأجر مـن الله تعـالى ، فأين هذا من عبادتهم؟!

نَعـم قد يتوسـل بهـم إلى الله تعالى و التوسـل عنده مشـروع و له أدلته ، و قد يستشـفع بهـم ، و الشـفاعة عنـده لهـا أدلتهـا ، لا اتّباعـاً للهـوى أو جهلاً و عنـاداً و بالتـالي فلا يحقُّ لأحـد أن يتهمهـم بالـشرك ، و الخـروج عـن الديـن عقيـدةً و شريعـةً مـا دامـوا يُقيمـون الدليـل بصـدق ، و يتّبعـون الحجّـة و البرهان في الـذي يؤدونـه ، و التنزيل العزيـز يقول: ﴿قُـلْ هَاتُـواْ بُرْهَانَكُـمْ إِن كُنْتُـمْ صَادِقِين﴾.[1]

و قطعـاً لـو علموا أنَّ الدليل لا يسـعفهم ، و البرهـان لا ينهض بذلك لمـا زاروا القبور أصلاً ؛ و لا اسـتغفروا لأهلها و لا توسّـلوا أو استشـفعوا بهم.

و لكـم أن تناقشـوا أو تردّوا أدلتهـم ، لا أن تصفوهم بالكفر و الـشرك ؛ لمجرد اختلافهم معكـم ، فليكـن الاختـلاف اختـلاف دليـل ؛ لا فتاوى تكفـير و تضليل و تسـقيط و تخريب و تقتيـل ، و مـا أجمل التنـوع و الاختلاف العلمي ، و ما أحسـن نتائجه و ثماره لـو كنّا عالمين!

١. سورة البقرة : ١١١.

لقد انهالت تلك المعاول!

بما تحمله من فتاوى تكفير، و لم تتردد أمام تلك المواقف لرسول الله صلى الله عليه وآله، أو تتوقف أمام تلك الفضائل، و لم تتلكّأ إزاء تلك الوجوه التي دُفنت في بقيع الغرقد، فانهالت على قبورهم و قبابها، ردمتها و جعلتها و ساحتها خربةً، و كأنَّ الشرك انتهى، و اجتثَّ من الأرض بفعلتهم هذه!

و كأنَّهم بعملهم هذا يُزيلون عن الزائر ما يدعوه إلى عبادة المزور و تقديسه كما يتهمونه، و كما هم يزعمون!

علماً بأننا لطالما قمنا بزيارة الصالحين، و لم يخطر ببالنا أننا نعبدهم أبداً من دون الله تعالى، بل نكون عندهم و على مقربة منهم أكثر ذكراً لله، و للآخرة و أهوالها و مشاهدها، فتلين قلوبُنا و تكون أعظمَ خشوعاً لربّها، و تعلقاً به.

لقد اختاروا الهدم و التخريب، فهو الأسرع و الأسهل عليهم، فراحوا يتعاملون مع قبور المسلمين و ما بُني عليها من قبل متعلقيهم، و كأنَّها رمز للشرك كما يزعمون، و راحت أيديهم تتعامل معها معاملة الأصنام و الأوثان، و دون الاهتمام بخطورة ما يفعلونه في تمزيق الساحة المسلمة و المجتمع المؤمن، و فيما يتركه من سوء في النفوس، و في العلاقات بين المسلمين.

و أما بناء الإنسان المسلم في إيمانه و تقوية معرفته بدينه؛ ليكون أكثر علماً و فهماً لما تريده الشريعة منه، و بالتالي أكثر وعياً، و هو الحصن المنيع له عن الكفر و الشرك و الضلال، و أن يكون البناء المذكور عبر ما قررته الآية المباركة من منهج قويم في دعوة الناس و إرشادهم إلى الله تعالى؛ يتصف بالرفق، فهو يقرّب، و يرفض أسلوب الشّدة و العنف فهو يُنفّر و يُثير الحفائظ، فيأتي بنتائج عكسية: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾.[1]

---

١. سورة النحل: ١٢٥.

فإنَّهم لا يقيمون لهذا كلّه وزناً؛ و ارتضوا لأنفسهم ابتعاداً عن التنزيل العزيز، و تقديساً لكبرائهم، و اتباعاً لفتاويهم في التكفير و التهديم و التخريب!

و نِعِمَّا يقوله هيكل:

فليست الوسيلة إلى ذلك هدم هذه القباب، و إنّما الوسيلة إليه هدم ما في النفوس من حُجُب الجهل و قِبابه، و تفتيح مغالقها بإظهارها على ما صنع السلف، و ما خلفوا من علم و فنٍّ و حضارة، فالعلم هو النور الكشّاف الذي يهتك حجب الزمن، و يُرينا ما خلفه آباؤنا و أسلافنا للإنسانية من أسباب المعرفة، و ما تؤدي إليه المعرفة من فضل و خير، و ما تنير به سبيل الإنسانية لمستقبلها على هدى الماضي و ما تمَّ فيه، يومئذٍ لا يعبد الإنسان الإنسانَ، و لا يتخذه إلى الله زلفى، و إنّما يعبد الإنسان الله وحده لا شريك له، و يتخذ من علمه و من عمله و من تقواه الزلفى إلى الله!

هدموها بمعاولهم بفتاويهم و قساوة قلوبهم حتى أنَّك لا تستطيع أن تتبين قبراً واحداً من أولئك الصحابة و الشهداء و الأئمة و أهل البيت إلّا إذا صحبك الدليل، ذلك لأنَّ جميع هذه القبور قد سويت مبانيها و معالمها بالأرض كما سويت قبور (المعلا) في مكة.

هذا ما ذكره محمد كامل حتة، و هو و إن قال: و قد نهى الرسول صلى الله عليه وآله عن إقامة الأضرحة و التهاليل فوق القبور. و هذا رأيه، لكنّه يواصل كلامه بعد عبارته تلك قائلاً: و لكن كان يجدر أن يظلَّ على كلّ قبر شاهد يحمل اسم صاحبه للذكرى، فليس في نشدان الذكرى و الترحم على الصحابة و الشهداء و الأئمة و أهل البيت و غيرهم ما يتنافى مع ما أوصى الرسول صلى الله عليه وآله و شرعه في زيارة القبور إنَّ محمداً حين دفن ولده إبراهيم هنا في البقيع سوى على قبره بيده، ثمَّ أعلم عليه بعلامة، و قال: «إنَّها لا تضرّ و لا تنفع، و لكن تقرّ عين الحي، و إنَّ العبد إذا عمل عملاً أحبّ الله أن يتقنه».

فـما كان أحـرى بالذيـن هدمـوا معـالم البقيع كـما هدمـوا معالم المعـلاة أن يقيمـوا على قبورهـا علامـات كتلك التي أقامها سـيدنا محمدﷺ عـلى قبر إبراهيـم رضي الله عنه و ألّا يدعـوا هـذه القبـور التي تضـمُّ بين صفائحهـا الكثيريـن من أهل الجنّـة مُجهّلـةً لا يهتدى إليهـا الزائـر ، إلّا أن يصحبه المـزوّر أو الدليل.

يقـول محمد حسـين هيكل: فإذا أراد المسـلمون ألا يكون للقبـاب و لا لغيرها ما يدعو الوهابيـين إلى هدمهـا ، و مـا يجعلهـم يتهمـون غيرهـم مـن المسـلمين بعبادتها ، فليسـت الوسـيلة إلى ذلـك هـدم هذه القبـاب ، و إنّما الوسـيلة إليه هـدم ما في النفـوس من حجب الجهـل و قبابهـا ، و تفتيـح مغالقها بإظهارهـا على ما صنع السـلف ، و ما خلفـوا من علم و فـنّ و حضـارة ، و إنّما يعبد الإنسـان الله وحـده لا شريك له ، و يتخـذ من علمه و عمله و تقـواه الزلفى إلى الله.[1]

زيارتان للبقيع :

زيارة بورخارت :

و اسـمه إمّـا عبـد الله في قـول ، أو إبراهيـم بورخـارت في قول ثـانٍ ، قام بزيـارة لبقيع الغرقـد بعـد تخريـب قبابه ، نكتفـي بما ذكره هيـكل عن زيارته هـذه في فصل جنّـة البقيع، و مـا قالـه الرحالـة السويسـري (لويـس بورخـارت) و الـذي اعتنق الإسـلام و سـمّى نفسـه إبراهيـم: يقـول (بورخـارت) في كتابه وصفًا لهـذا المـكان: «في اليوم الـذي يلي أداء الحـاج واجباته للمسـجد و الحجـرة تجري العـادة بذهابه إلى مقـبرة المدينة تكريـمًا لذكرى القِدِّيسـين الكثيريـن المدفونين بهـا ، و هي تجاور أسـوار البلد على مقربة مـن باب الجمعة، و تُسـمى البقيـع ، صورتها مربع مكـون من بضع مئات مـن الأذرع يحيط بـه جدار يتصل مـن الجنـوب بضاحيـة المدينـة و تحيط بـه من سـائر نواحيـه مـزارع النخيل و هـذا المكان

١. محمد كامل حتة (ت١٩٨٥م)، في ظلال الحرمين :١٥١؛ في منزل الوحي، جنّة البقيع، لهيكل .

حقير جدًّا بالنظر إلى قداسة الأشخاص الذين يحتوي رُفاتهم، و لعله أشد المقابر قذارة و حقارة بالقياس إلى مثله في أية مدينة شرقية في حجم المدينة، فليس به قبر واحد حسن البناء، كلّا بل ليست به أحجار كبيرة عليها كتابة اتُّخذت غطاء للقبور، إنّما هي أكوام من تراب أحيطت بأحجار غير ثابتة، و قد اتُّهم الوهابيون بأنهم الذين دمَّروا القبور، و اتخذ الدليل على ذلك من بقايا قبابٍ و مبانٍ كانت على قبر عثمان و العباس و فاطمة وعَمَّات محمد قيل: إنَّ هؤلاء المتعصِّبين دمّروها، لكنّهم من غير شك ما كانوا ليزيلوا أي قبر بسيط مبني من الحجر هاهنا، و هم لم يصنعوا من ذلك شيئًا بمكة و لا بغيرها من الأماكن، فما عليه هذه المقبرة من سوء الحال لا بدَّ أن قد سبق عهد الغزوة الوهابية، و يرجع سببه إلى ضيق التفكير الذي جعل أهل المدينة يضِنُّون بأي نوع من البذل إكرامًا لرُفات العظماء من بني موطنهم، فالمكان كله مُضْطَرب، يجمع أكوام التراب إلى جانب الحُفَر الواسعة و الحثالة من غير أن يكون به حجر قبريٌّ واحد، و يطاف بالحاج لزيارة عدد من القبور و لتلاوة الأدعية المألوفة حين وقوفه بكلّ قبر منها، و إنَّ كثيرين ليقصرون أنفسهم على حِرْفَة هي الوقوف طيلة النهار على مقربة من أحد القبور الهامة و في يدهم منديل منشور في انتظار الحجاج الذين يجيئون للزيارة، و هذه الحرفة امتياز خاص ببعض الفرَّاشين من خُدَّام المسجد و أُسرهم، إذ قسَّموا المقابر فيما بينهم ليقف الواحد منهم عند أحدها أو يبعث خادمه بديلًا منه».

هذا ما يصف به الحاج عبد الله بورخارت جَنَّة البقيع!

زيارة هيكل:

ثمَّ يواصل هيكل حديثه عن زيارته للبقيع بعد مضي قرن و ربع على زيارة بورخارت، و يصف أيضاً كما فعل هذا الرحالة ما حلَّ فيه من تهديم الوهابيّين و تخريبهم معالمه، فيقول: «و لقد زرتُها بعد خمس و عشرين و مئة سنة من زيارته إياها، فلم أجد بها بقية لبناء أو قبّة على الأجداث، مما حمل التركي على أن يسمي

هـذا المـكان جنّـة البقيـع ، و لم أجِـدْ بهـا أكوامًـا مـن الـتراب و لا حُفَـرًا و لا حثالـة ، إنّـما وجـدتُ قبـورًا مُسـوَّاة بـالأرض يحيط بكلّ قـبر منها أحجـار صغـيرة تُعْلمه ، فقـد أُزِيل في هـذا العهـد الحـاضر كلّ ما بقـي من أثر لقُبـة أو بناء و سُـوِّيت القبور بـالأرض ، فلولا أنـك تعـرف أنَّ هذا المكان هـو البقيـع ، و أنَّ به رُفاتًـا خَلَّف أصحابُها عـلى التاريخ أعظم الذكـر ، و لـولا هذه الأحجـار المحيطة بكلّ قـبر ؛ لخلتها فضـاءً مُسَـوَّرًا لا شيء البتة فيه، لكـن مـا تعلمـه عـن الثاوين بهـا يجعلك تقـول مـع بورخـارت: «لقـد بلغـت المدينة مع الغِنَـى برُفـات القديسـين العظـماء حتى لقـد كان كلّ من هـؤلاء يفقد جـلال العناية بذاته عـلى حـين تكفي بقية مـن رفات أي مـن المدفونـين بالبقيع ؛ لتجعـل لأيَّةِ مدينة إسـلامية أعظم الشـهرة».

زرتُ البقيـعَ و تخطيـتُ أثنـاء القبـور، و وقفـت عـلى كلّ قـبر و صَلَّيْـتُ عـلى صاحبه و اسـتغفرت الله لـه ، ثـمَّ وقفـت متأمـلًا أتدبـر مـا أمامـي و تناجينـي نفسي: «أَوَيمـوت الذيـن يسـبقوننا إلى القبـور ، أم أنهـم يُنقلـون مـن عالمنـا هـذا إلى العـالم الآخـر ، فتنحـلّ أجسـامهم إلى عناصرهـا الأولى ، و تبقـى أرواحهـم بـين يـدي بارئهـا يُحاسـبها عـلى مـا قَدَّمَـتْ؟! و مـا قَـدَّم الذين قبلنا لا يـزول بزوالهم ، بل ينتقل إلينا و يصبـح ميراثنا عنهم ، تتأثـر بـه حياتنـا حتى لكأنهـم بيننا ، و حسـبي أن أذكر مـا في نفسي أنا المـصري من ميراث هـؤلاء المؤمنـين المدفونـين بهـذا البقيـع ؛ ليُثبت يقينـي باتصال الوحـدة بيننا و بـين الذين سـبقونا ، ليكن مذهبي الإسـلامي شـافعيًّا أو حنفيًّـا أو حنبليًّا فأنا قد تأثـرتُ و تأثر أمثالي لا ريـب بمذهـب هـذا الفقيـه العظيـم مالـك بـن أنـس الراقـد في هـذا البقيـع ، و ليكن هـواي السـياسي في الحيـاة الإسـلامية عَلَوِيًّـا أو أُمَوِيًّـا فأنـا تأثـرت بلا ريب بهـذا الخليفة الكبـير عثـمان بـن عفان ، و بـزوج هـذه الراقدة ها هنـا فاطمة ابنـة النبيِّ و بابنيها الحسـن و الحسـين ، و هـذه الأسرة الكريمة أسرة رسـول الله ، و ها هنا منها رُفـات زوجاته و بناته و عمَّاتـه ، قـد تركـت مـن الأثر في حيـاتي أبلغـه و أعمقه ، تغـيَّر اتجاه تفكيري على السـنين غـير مـرّة ، و لم يتغـير مـا تـرك هـؤلاء جميعًـا في النفس مـن أثـر ؛ آيتُـه أنني كنـتُ و بقيتُ

أحْنِي الرأس إكبارًا و إجلالًا لدى ذكرهم و حين الحديث عنهم.

وقفت على كلّ قبر بالبقيع وصليت على صاحبه و استغفرت الله له ، و كذلك كان يفعل الذين رأيتهم يزورونه ساعة زيارتي إياه ، على أني عجبتُ لقوم رأيتهم يُطيلون الوقوف عند قُبور أهل البيت و يبكون أحَرَّ البكاء ، فإذا مروا بقبر عثمان استحثوا الخُطا فلم يقفوا عنده ، قال أصحابي حين سألتهم في ذلك: أولئك جماعة الشيعة ، فهم ما يزالون يذكرون أنَّ دم عثمان هو الذي أذْكَى الفتنة بين عليٍّ و معاوية ، و بين بني أمية و آل البيت ، و أنه الذي أدّى إلى مقتل عليٍّ و الحسين ، و هم لذلك يمرون بهذا القبر سراعًا لا يصلُّون على صاحبه و لا يستغفرون الله له ، و زاد في عجبي أنَّ أهل بيت النبيِّ أنفسهم لم يبلغوا من المَوْجِدة على عثمان بعد موته هذا المبلغ ، لقد رأيت كيف أراد الحسن بن زيد أن ينتقم من بني أمية لإدخالهم حُجرات أزاوج النبيِّ في رقعة المسجد ، فكتب إلى المنصور أن يزيد في رقعة المسجد و أن يجعل الحجرة النبوية في وسطه لتدخل دار عثمان في رقعته ، و كيف أجابه المنصور: إني قد عرفتُ الذي أردت فاكْفُفْ عن ذكر دار الشيخ عثمان بن عفان ، و لم يخالف أحد من العباسيين المنصور في تفكيره هذا على طول مُلكهم ، أفتبقى الموجدة في نفوس الشيعة أكثر مما بقيت في نفوس بني العباس و هم أقرب الناس إلى عليٍّ و إلى الحسين نسبًا؟! أم أنها ليست المَوْجِدة ، و لكنها العقيدة التي يتوارثها الأجيال من غير تفكير في سببها و منشئها ، و التي تنشأ أول أمرها متأثرة بأهواء شُعوبية أو سياسية أغلب الأحيان؟!

حتى بدت كما وصفها الرحالة بورخارت من سويسرا بقوله: مقبرةً حقيرةً جدًّا لا تليق بقدسية الشخصيات المدفونة فيها ، و قد تكون أقذر واتعس من أية مقبرة موجودة في المدن الشرقية الأخرى التي تضاهي المدينة المنورة في حجمها ، فهي تخلوا من أي قبر مشيد تشييداً مناسباً ، و تنتشر القبور فيها ، و هي أكوام غير منتظمة من التراب ، يحدّ كلاً منها عدد من الأحجار الموضوعة فوقها و يُعزى تخريب المقبرة إلى

الوهابيين. فالموقع بأجمعه عبارة عن أكوام من التراب المبعثر، و حفر عريضة و مزابل».

و قد خرب الوهابيون قبورهم و عبثوا بها

هكذا يصف المسجد الذي شُيّد حول شهداء أُحد، قبر حمزة بن عبد المطلب و مصعب بن عمير و الآخرين من الشهداء.

و كأنّهم بعبثهم هذا و تخريبهم لمعالم البقيع، و جعل هذه المقبرة موحشة مقفرة خربة يُنهون الشرك، و ينتزعونه من الأرض، و يقيمون التوحيد فيها بين الناس!

تُرى أفيبقى البقيع كما هو اليوم مسوَّاة قبوره بالأرض لا يقوم على قبر منها قبّة، و لا يُقام للعظماء و الصحابة المدفونين به أثر يُذكَرون به؟

هكذا يتساءل هيكل؛ ليواصل كلامه قائلاً: لعلك تحسب الأمر يبقى كذلك ما بقي الوهابيون بالحجاز، و قد يكون في التاريخ ما يرجح ظنّك، فقد غزا الوهابيون الحجاز في أوائل القرن التاسع عشر المسيحي، فحطَّموا قباب البقيع كما حطموا غيرها من القباب بمكة و المدينة و غيرها من بلاد الحجاز!

في هذا الوقت زار السويسري (بورخارت) الحجاز، و وصف البقيع بما رأيت، فلمّا أجْلَتْ جنود مصر الوهابيين عن الحجاز، و عاد الأمر فيه إلى بني عثمان، أعادوا بناء كثير من القباب، و شادوها على صورة من الفن التي تتفق مع ذوق العصر.

و لقد ذكر صاحب «مرآة الحرمين» من هذه القباب ما لأهل بيت النبيِّ عليهم السلام و القبة التي بناها السلطان محمود سنة ١٢٣٣ للهجرة على قبر عثمان، و نشر صورها الشمسية، فلمّا عاد الوهابيون إلى الحجاز بعد ذلك بأكثر من مئة سنة هدموا هذه القباب كرَّةً أخرى، أفيُعيد التاريخ نفسه، فإذا جلا الوهابيون من الحجاز و دخل في حُكم أهله أو في حُكم غيرهم ممن لا يرون بإقامة القباب في الدين بأسًا أعادوا تشييدها، و إذا عاد الوهابيون بعد ذلك إلى الحجاز هدموها، أم يظل البقيع كما هو اليوم بَقِيَ الوهابيون في

الحجـاز أو جَلَـوْا عنـه؟ أم ترى يبلـغ الأمر بـين الوهابيين و غيرهم من طوائف المسـلمين إلى التفاهـم عـلى إقامـة أثـر يُذْكَـر به هـؤلاء الأبطال الذيـن دُفنـوا بالبقيع، عـلى ألَّا يكون هـذا الأثر موضع تـبرُّك و ألا يُتخـذ إلى الله زُلفى؟

و لا أريـد أن أجـازف بحكـمٍ، فأمـر ذلـك للمسـتقبل، و المسـتقبل غيـب، و الغيب لا يعلمـه إلّا الله، لكنّـي مـع ذلـك أرجـو ألَّا يظـل هـذا البقيـع و ليـس بـه أثـر يذكـر به أصحابـه، و يذكـر بـه أعـلام مـن دُفنـوا طـيَّ صحائفـه، فلقـد دفـن بـه أكثر من عشـرة آلاف مـن كـرام الصحابة كان لهم في الإسـلام و تاريخـه و تعاليمه أثر أيُّ أثـر، و إن قلتَ: الإسـلام و تاريخـه و تعاليمـه. قلـتُ: الحضـارة الإنسـانية في الـشرق و الغرب.

ثـمَّ يقـول: و نحـن لا نقيـم الآثـار لمن سـبقونا متاعاً لهـم بهـا، فمتاعهـم في عالمهم بما قدَّمـوا مـن عمل صالـح، و إنّـما نقيمها ذكـراً و معتـبراً للأجيـال في تعاقبها حثًّـا لأبنائها عـلى أن يجـدوا في السـابقين الأولين الأسـوة و المثل.

و عن عبادة الموتى يقول: و إنَّا إذ ندخل «البانتيون» في باريس أو كنيسـة «وستمنسـتر» في لنـدن، أو أيًّـا غـير هذيـن مـن مدافـن العظماء لا تجـول بخاطرنـا عبادتهـم، و لا يدور بخَلَدنـا تقديسـهم، إنّـما يدفعنـا ذكرهـم إلى الوقـوف عـلى أخبارهم و مـا خَلَّفـوا من أثر جليـل و عمـل صالـح، و في هذا خير مشـجِّع عـلى متابعة هـذا العمل، و هـو خير مظهر للصلـة بـين الحاضر و المـاضي صلة لا قيـام لأمّة و لا قيـام للإنسـانية إلّا بتوثُّقها!

ما أعظم الأثر!

و مـا لنـا نذكر باريـس و لنـدن و بالمدينة من آثار الإسـلام مـا رأيت؟! مـا أعظم الأثر الـذي تثـيره دار أبي أيـوب الأنصاري في النفس!... و ما أشـدّ ما تهتز مشـاعرنا حين نقف عـلى قبر حمـزة عند سَـفْح أُحُـد! دع عنك موقفًـا كلّه الإجـلال و العظة أمام قبر الرسـول ...، أيَّـة نفـس لا تُحِـسُّ في هـذه اللحظـات الباقيـة الأثـر عـلى الحيـاة أصـدق الرغبـة في

السمو إلى غاية ما تؤهِّلها ملكاتها أن تسمو إليه، تشبُّهاً بهؤلاء الذين تركوا على الحياة أثراً أَخْلَدَ الأثر و أبقاه! و إذا صدقت الرغبة و استقر العزم و امتلأت به الإرادة لم يكن لقوة أن تصدَّنا عن بلوغ ما نبغي، فالإرادة الصادقة أعظم قوة في الحياة، و من عرف كيف يريد قَدَرَ على بلوغ ما يريد.

و إنّما قعد بالمسلمين عن إدراك هذه المعاني، و دعاهم أن يتخذوا من القباب مواضع للزلفى إلى الله توسلًا إليه بأصحابها ما هَوُوا إليه من جهل حجَب عنهم جلال ما صنع الذين تُخلِّد القباب أو تُخَلِّد الآثار ذكرهم. و ما ذا يذكر هذا السواد عن حمزة بن عبد المطلب وغيره من أبطال المسلمين؟ ثمَّ ما ذا يذكر من عمل علمائهم و ذوي الفضل و الكرامة منهم؟ ليس يَذكر من ذلك شيئاً؛ لأنه يجهل ذلك كلّه، و غاية ما يتصوره أنَّ هؤلاء رجال اصطفاهم الله بكرامته، أو نساء أكرمهنَّ الله بمن أعقبن من ذرية صالحة، فهم بذلك أولياء الله؛ و من ثَمَّ يتخذهم هذا السواد إلى الله زلفى، و يسبغ عليهم من صفات ما فوق الإنسانية ما يسوِّغ عنده هذه الزلفى. لا هدم قباب الموتى، بل هدم الجهل و قبابه! يقول هيكل: فإذا أراد المسلمون ألا يكون للقباب و لا لغيرها ما يدعو الوهابيين إلى هدمها، و ما يجعلهم يتهمون غيرهم من المسلمين بعبادتها، فليست الوسيلة إلى ذلك هدم هذه القباب، و إنّما الوسيلة إليه هدم ما في النفوس من حُجُب الجهل و قِبابه، و تفتيح مغالقها بإظهارها على ما صنع السلف، و ما خلفوا من علم و فنّ و حضارة، فالعلم هو النور الكشاف الذي يهتك حجب الزمن، و يُرينا ما خلّفه آباؤنا و أسلافنا للإنسانية من أسباب المعرفة، و ما تؤدي إليه المعرفة من فضل و خير، و ما تنير به سبيل الإنسانية لمستقبلها على هدى الماضي و ما تمَّ فيه، يومئذٍ لا يعبد الإنسان الإنسانَ، و لا يتخذه إلى الله زلفى، و إنّما يعبد الإنسان الله وحده لا شريك له، و يتخذ من علمه و من عمله و من تقواه الزلفى إلى الله!

و تعالوا نعيش مع هيكل و ما فكّر به و ما خطر بباله و ما تمنّاه! بعد زيارته

لبقيع الغرقد، فيقول: فكرت في هذا إذ عُدتُ من البقيع مارًّا بدار عثمان، فأويت إلى غرفتي، و جعلت أُقَلِّب في بعض كتب ألتمس فيها للبقيع و أهله ذكرًا، و لم أجد من ذلك سوى أنّ الذين دفنوا به يزيدون على عشرة آلاف من كبار الصحابة، لا تُعرف قبور أكثرهم، و إنّما يعرف من هذه القبور ما لإبراهيم و رقية و فاطمة أولاد النبيِّ، و فاطمة بنت أسد أمّ علي بن أبي طالب، و عبد الرحمن بن عوف، و عبد الله بن مسعود، و سعد بن أبي وقاص، و سعد بن زرارة، و خُنَيْس بن حُذافة السَّهمي، و الحسن بن علي، و ابن أخيه زين العابدين بن علي بن الحسين، و أبي جعفر الباقر محمد بن زين العابدين، و جعفر الصادق ابن الباقر عليهم السلام، و العباس بن عبد المطلب، و أخته صفية، و ابن أخيهما أبي سفيان بن الحارث، و عثمان بن عفان، و سعد بن معاذ الأشهلي، و أبي سعيد الخُدْري، و زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله خلا خديجة التي دُفنت بمكة و ميمونة التي دُفنت بِسَرف و هؤلاء جميعًا و ألوف الصحابة الذين دُفنوا معهم يَثْوُون في بقعة ضيقة من الأرض، لا يزيد مسطحها على مئة و خمسين مترًا في الطول، و مئة متر في العرض، ترتفع عما حولها، و يحيط بها سور لا شيء من الجمال في بنائه.

ثمَّ يواصل كلامه قائلاً: قلت في نفسي: أوَلا يهدي الله رجلًا من المسلمين إلى كتابة تاريخ لهذه البقعة و الذين دفنوا بها، ينشر فيه ما عملوا و يحلله تحليلًا علميًّا، و يرده إلى أصوله و يُبَيِّن ما كان له في الوجود من أثر؟! إنَّ في قصص ما صنعوا و ما كانوا عليه لأبلغ العبرة، و هو بعدُ يكشف من تاريخ هذا العالم عن شيء كثير ما أحوج العالم إلى أن يقف عليه، فهؤلاء جميعًا من أصحاب رسول الله، و هم عَرَب من أبناء شبه الجزيرة، فما اتخذوه في حياتهم من عمل أدنى إلى تصوير الروح الحقّ لهذا الدين الحنيف و إلى هداية الناس لهذا الروح، و ما أشدّ حاجة الناس إلى هذه الهداية.

ألَا لو أنَّ عملًا ضخمًا كهذا العمل أتمّه رجل أو رجال لأسدَوْا إلى الإسلام و إلى التاريخ و إلى الإنسانية خدمة جلّى، و لمهَّدوا لأولي الفن أن يقيموا في هذا المكان أثرًا

خالـدًا يصـوِّر هذا الـروح ؛ روح الإقدام في سـبيل الحـق و الإرادة الصادقة في سـبيل الله. مـا أقـصرَ سِـنِي الحيـاة! فلـو أنَّ لي مـن القـدرة عـلى القيام بـشيء من هـذا العمـل الجليل أمهـد بـه الطريـق لإتمامـه ؛ لأقدمتُ غـير مبتـغٍ إلّا رضـا الله وحسـن ثوابـه ، و كفى بالله وليًّـا و نصـيرًا. و لكـن مَن لي بأن أقـوم ـ أنا الضعيف العاجز ـ فأجمع من شـتيت الأسـفار مـا يـؤرخ البقيـع و رجاله مـن أصحاب رسـول الله ﷺ ؟!

فلْأَذَرْ هذا الأمر يهيئ الله له من شاء من عباده ، و لله الأمر من قبل و من بعد.[1]

و ختاماً ، فإنَّ بقيع الغرقد ؛ مقبرةٌ مباركةٌ عبثَ بها قومُ سَوْءٍ !

و لكـنَّ الزمـنَ و بـإذنٍ مـن الله عـزَّ وجـلَّ كفيـلٌ بإنهاء مـا عليه هـذه الفئة مـن الناس مـن فكـرٍ متطـرفٍ قـاسٍ ، و مواقف أقـل ما يقال عنهـا: إنّها مؤذية و مسـيئة للمسـلمين؛ تركـت آثارهـا الخطـيرة عـلى البـلاد و العبـاد ، و لطالما كانـت و مازالـت تمـزّق السـاحة المسـلمة بفتاويهـا المتطرفة.

أملُنـا كبـيرٌ أنَّ هـذه الظاهـرة المقيتة الطارئة على عالمنا الإسـلامي سـتنتهي ، و سـيُبنى بقيـعُ الغرقد و يُشـيّدُ على شـكلٍ يُسرُّ المسـلمين جميعـاً ، و يُطيّـبُ خواطرهم بإذنـه تعالى.

***

١ . انظر كتاب: محمد حسين هيكل، في منزل الوحي ، فصل جَنَّةُ البقيع .

دور العلّامة السيّد شرف الدين العاملي وجهوده العالمية في سبيل القضاء على جريمة هدم بقاع البقيع

د. محمد سعيد النجاتي.[1]

ملخّص البحث :

لقد درسنا في هذا المقال رسائل العلّامة السيد عبد الحسين شرف الدين حول هدم البقيع و استخرجنا منها دوره الرشيد في ردّ فعل علماء الشيعة ضدّ هذه الكارثة العظيمة و دوره في نشر أخبار الهدم و توحيد صف المسلمين في التنديد بهذه الجريمة و مساعيه في إستنفار جيوش المسلمين لمكافحه آل سعود يترأسهم جيوش اليمن و يساندهم كلّ من العراق و إيران.

لقد حقق شرف الدين؛ أهدافه في هذا الصدد إلّا الأخير الذي لم يحظ بالنجاح لإعتماده على الحكومات اليمنية و الإيرانية و العراقية.

لقد سردنا رسائل شرف الدين في هذا المقال على حسب الترتيب التاريخي، الرسائل و المكتوبات التي نشرت في الصحف أو أرسلت إلى الشخصيات

١. دكتوراه في التاريخ الإسلامي ؛ مدير وحدة درسات البقيع في معهد الحجّ والزيارة .

العلمية و السياسية في العالم الإسلامي في هذا المجال ، و درسناها حسب أسلوب البحث التاريخي.

الكلمات المفتاحية :

البقيع ، هدم البقاع ، شرف الدين ، يوم الهدم ، الإمام يحيى.

***

مقدمة :

شنّ السيّد شرف الدين هجوماً عنيفاً ضدّ جريمة هدم قباب الأئمة عليهم السلام و الصالحين في الحرمين الشريفين لا سيما في البقيع ، بعد تسلّط الوهابية على الحرمين في سنة ١٣٤٤ ق ، فبذل جهده في المكاتبة و المناقشة و المراسلة مع ممثّلي الحكومة السعودية و اللجان المنددة لهذه الجريمة في غاية حزنه و غضبه كي يقنع السعوديين للإقلاع عن ذلك و يثير غضب المسلمين لكي يمنعوهم من الاستمرار بهذه المأساة و لقد سبق منّا كتابة مقال عن السيّد شرف الدين و الحجّ و الحرمين ، لكنّه لم يتسع البحث لما أدّاه من النشاط بالنسبة لهدم البقاع المنوّرة في الحرمين الشريفين ، فوكّلنا الأمر إلى هذا المقال و قد جمعنا فيه كلّ ما حصلنا عليه من آثار شرف الدين في هذا المضمار ، من موسوعة الإمام شرف الدين جهده الذي قرب لنا البعيد و سهل علينا الصعب ، راجين المولى القدير أن يكون خدمة في سبيل القضاء على هذه الجريمة و استمرارها ، نظراً إلى أهميته دراسةً ، مثل هذه المواقف الباسلة من عالم جليل مصلح ، لتنقيح مسألة البقيع و بلوره مدى شعور المسلمين تجاه هذه الجريمة البشعة.

يجدر بالذكر أنّه لم يسبق تأليف مصنف بالنسبة لمواقف العلّامة شرف الدين تجاه مسألة البقيع و إن كانت هناك عدّة نشاطات بارزة في مجال دراسة تاريخ هدم البقيع دون الإهتمام بالنسبة لموقف السيّد فيه ، و هذا ما وجّه تأليف هذا المقال المخصّص

لنشاطات شرف الدين في هذا الصعيد دون غيره من التأليفات كمقال الشيخ رضا الأستادي في مجلة: «كتاب الشيعة العدد ١٦»، حول هدم البقيع، و كتاب: «هدم البقيع وإعادة بناءه»، للسيّد علي قاضي عسكر، اللذين لم يشيرا إلى دور شرف الدين في هذه المسألة إلّا عابرة سريعة و بالأسف الشديد لإ نجد إهتماماً بهذه المسألة حتى في ما ألّف حول ترجمة شرف الدين، حتى ما ألفّه بنفسه و سمّاه بـ: «بغيه الطالبين»، و ذلك لتأخير هذه الجريمة عن كتاب ترجمته.

بعد دراسة ما بذله شرف الدين من الجهد تجاه هذه الجريمة النكراء، بإمكاننا أن نصنف نشاطاته في هذا المضمار على أصعدة أربعة:

١ . ٢. توعية الرأي العام و أخباره بالنسبة إلى هذه الكارثة و ضرورة القيام للقضاء عليها، و إزاحة الستار عن حقيقته البشعة حالما استصغرها الكثير من نخب العالم الإسلامى و حكّامهم، و احتسبوه جناية يسيرة و اختلافاً طائفياً، فقد بذل ما عنده من الفصاحة في الكلام و متانة الكتابة و لوعة القلب تجاه هذه الجريمة في بياناته و رسائله التي بثّها في العالم الإسلامي بكلّ ما استطاعه، حتى وضعها العالم الإسلامي في موضعها الحقيقي و ثار تجاهها بكلّ القوى و أقامت الدنيا عليها كسيل عارم سيقضي على سمعة الإسلام و آثار الشريعة في مهبط الوحي و التنزيل و كنارٍ متأججٍ ستضرم بفسطاط الأمة الإسلامية، و تجعلها شيعاً تقتل بعضها بعضاً بذريعة الكفر و الشرك، فالتاريخ يصدّق ما قد رآه شرف الدين و ما كان يتكهنه بالنسبة إلى مفاسد الوهابية.

٣. و في الخطوة الثالثة حاول شرف الدين قطع مادّة السعوديين الذين كانوا يرتزقون من الحجّ و الحُجّاج، فعمد إلى قادة المسلمين فحرّصهم على تعطيل الحج و قطعه كي يجبر السعوديين على الكف عن استمرار هذه الجريمة البشعة و قد أجابوه بالرحب و السعة في عدد من البلدان.

٤. أما الخطوة الرابعة فلم يحظ بالفوز و هي تجنيد كلّ من إمام اليمن الزيدي و ملك

إيران و ملك العراق للقضاء على الحكومة السعودية بالقوّة العسكرية كما سيفصّل.

و في هذا المقال ندرس ما كتبه شرف الدين في مسألة هدم البقاع على التوالي التاريخي و ننتقل بعد هذه الدراسة إلى مدى نجاحه في هذه الجهود الخالصة.

محرّم سنة ١٣٤٥هـ. ق.

لقد كتب شرف الدين أوّل رسالة حول هدم البقيع في محرّم سنة ١٣٤٥ ق. (بعد ثلاثة أشهر من حادث الهدم) خطاباً إلى علماء الأمّة، فأخبرهم عن عمق الفجيعة و تفصيل ما جرى عبّر عن الإحتجاج العام و الإقدام بالحلّ الوحيد للمسلمين أمام هذه الجريمة. يستفاد من هذا الكتاب أنّ شرف الدين كان يعتبر كأحد المصادر المعتمدة لأخبار الهدم في المدينة عند علماء العراق و إن كانوا يستشفون بعض الأخبار المتسربة من شتّى الطرق لهذه الكارثة الأليمة، فقد أرسل مرزا علي أكبر الهمداني القاطن في المدينة تلغراماً إليهم قبل شهرين، في ذي الحجة سنة ١٤٤٤هـ.ق. بواسطة الحاج عبدالرحيم الإصبهاني الساكن في الشام الذي سأل منه إبلاغ الخبر إلى النجف الأشرف و طهران فتسبقهما بغداد بالخبر و انتقل منها إلى النجف الأشرف و وصل إلى ايران عبر تقرير القنصولية الإيرانية بالنجف الأشرف. (وثيقة رقم: ١٨٣).

فهذه الرسالة تبيّن لنا إهتمام شرف الدين البالغ في توطيد العلاقات بينه و بين علماء الأمة في العراق، لكونهم حلقة وصل إلى علماء الشيعة في إيران و سائر البلدان الإسلامية في سبيل توظيف إمكانياتهم لمناهضة الوهابية مثل هند و مصر و الشام و سواحل البحر و بلاد إفريقيا... (وثيقة رقم: ١٥) و (وثيقة رقم: ١٧١).

لقد ذكّر شرف الدين العلماء سُنَّة و شيعة بدورهم الرائد و القيادي في المجتمع حينما افتتح رسالته إليهم بصفات هكذا:

«السلام عليكم قبلة آمال المؤمنين، و وجهة رجاء أهل الدين، و مراد أماني الأمّة،

و حديث أحلامها في كشف هذه الغمّة»،[1] و استمر شرف الدين في كلامه المحزون كمن هتك حريمه بين يديه و فجع بأقرب ذويه كي يستثير العواطف المدفونة في أعماق قلوب المسلمين قبال آل بيت الرسول عليهم السلام فيقول:

«إنّ نكبة البقيع تدهش الألباب، و تهدّج الأصوات، و تعتقل الألسن و الأقلام، و تعقل الأيدي و الأرجل،... عذيري اللهّ منه عدوّاً لآل محمّد مجلّخاً و ناصباً لشيعتهم مكلّحاً، غليظ الكبد، جافي الطبع، خشن الجانب، فظّ الأخلاق، ذا حقد و حسيكة، و غلّ و إحن، كأنّ في صدره وغراً، و كأنّ في كبده جمراً، و له رأس تنزو فيه سورة النصب و الأنف يرعف بالغضب و القلب ينغل بالعداوة و الحقد و الضلوع تنحني على غمر و الكبد تلظّى و تسعر حنقاً من أعلام العقيان في سامراء و الكرخ و الحائر و كوفان، و قد استشرفت لها نفسه، و اشرأبّت إليها أطماعه، فهو ينصب لها الحبائل، و يتربّص بها الدوائر، نعوذ باللهّ من دوائره و حبائله، دوائر و حبائل تتزايل منها المفاصل و قد أضمر ﴿**شَيْئاً إِدًّا تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا**﴾.[2][3]

و عندما يصل إلى صمت نخب المجتمع الإسلامى قبال هذه الجريمة يحتج عليهم مع بالغ الأدب و في ستار الكنى حيث يقول:

فلا عجب إذا من سدنة الدين، و حفظة الشرع و أعلام الأمّة، و سفرة الأئمّة، أن غرق صوتهم فلم يعجّوا و تلجلج منطقهم و يراعهم، فلم يضجّوا، و لم يحتجّوا، و لا غرو إن أخذت النكبة بأفكلهم، فارتعشوا و اصطكّت قوائمهم، فلم يقوموا لها و لم يقعدوا، و أخذ الحزن بكظمهم فلم يتنفّسوا.

---

١. موسوعة الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين ٩: ٤٢٤.

٢. سورة مريم: ٨٩ـ ٩٠.

٣. موسوعة الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين ٩: ٤٢٤.

لا تفنيد بذلك عليهم و هم الموهّون، و لا تنديد بهم و هم المدهّون، و لا جناح عليهم، فإنّهم وقيدوا الجوانح، و لا تثريب، فإنّهم مضطربوا البال، لا غضاضة عليهم إذا استكانوا للوجد و أخلدوا إلى الشجون.

فربّ رماد تحته جمر و الأمر يحدث بعده الأمر

نَعم، قد يراهم العدوّ بإذلين له منارهم، مبيحين له ذمارهم، و يظنّ أنّ الشوكة منهم محضورة و الظفر متعلّق و الخدّ ضارع و الحدّ كليل، فلا يقف عندها على حدّ، و لا يلوي بعدها على أحد.[1]

و يستمر شرف الدين باستغاثة و استنجاد من البلدان الإسلامية و حكامها بالتمسك إلى روح الحماس و غيرتهم، و بما أنّ من أهداف السيّد من هذه الرسالة المعلنة إبانة الخطر و الحذر منه للمسلمين و بالنظر إلى موالاتهم لرسول و آله عليهم السلام يقول:

عذيري الله منه عدوّاً لآل محمد مجلّخاً، و ناصباً لشيعتهم مكلّحاً، غليظ الكبد، جافي الطبع، خشن الجانب، فظّ الأخلاق، ذا حقد و حسيكة، و غلّ و إحن، كأنّ في صدره وغراً، و كأنّ في كبده جمراً، و له رأس تترو فيه سورة النصب و الأنف يرعف بالغضب و القلب ينغل بالعداوة و الحقد و الضلوع تنحني على غمر و الكبد تلظّى و تسعر حنقاً من أعلام العقيان في سامراء و الكرخ و الحائر و كوفان و قد استشرفت لها نفسه، و اشرأبّت إليها أطماعه، فهو ينصب لها الحبائل، و يتربّص بها الدوائر، نعوذ بالله من دوائره و حبائله، دوائر و حبائل تتزايل منها المفاصل و قد أضمر ﴿**شَيْبًا إِذًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا**﴾.[2]

و يستمرّ شرف الدين باستغاثة و استنجاد من البلدان الإسلامية و حكّامها

١. موسوعة الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين ٩ : ٤٢٤ .

٢. سورة مريم : ٨٩ ـ ٩٠ .

بالتمسك إلى روح الحماس و غيرتهم هكذا:

«يا لله و لشعائره و مشاعره، أين الملوك و الأمراء؟ أين العلماء و الزعماء؟ أين السراة الكماة؟ أين الحماة الاباة؟ أين شمّ العرانين لا يعنون لقهر؟ أين أهل النفوس العزيزة لا يصبرون على خسف؟ أين أحلاس الخيل و مساعير الوغى؟ أين مانعوا الحقائق و سقاة الحتوف؟ أين شاهنشاه إيران الذي لا يقرع له مروة و لا تفصم له عروة، و لا يوطأ له حمى، و لا يستباح له ذمار؟ أين إمام بيت الوحي و عيصه الأشبّ في اليمن؟ و أين أسود عرينة و ليوث غيلة من كلّ فارس بهمّه و خوّاض غمرة و ابن كريهة و كبش كتيبة»؟[1]

كان شرف الدين يحذّر المسلمين من أثر الفتوحات المتواصلة التي حصلت لآل سعود في نفوس الملوك الإسلامية لاسيما إمام اليمن فتطرق إلى أسباب هذه الفتوح و التي يعتبر شرف الدين من أهمها ضعف النفس و الطمع المسيطر على حاكم الحجاز و لاترجع إلى قوة السعوديين الوهابين فقال:

«أين هؤلاء الأبطال عن هذا النجدي اللئيم و العتل الزنيم، فقد تلحّز فوه لابتلاع يمنهم، و طمح ببصره إلى أقطار جزيرتهم، و عقد غيب ضميره على الغدر بإمامهم، و سلك في مماكرته كلّ طريق، لكنّ مصرعه تحت مطمعه إن شاء اللهّ تعالى، فإنّ أكثر مصارع الرجال تحت بروق الآمال؛ و الإمام أعزّه اللهّ لا يبالي بهديده و نديده، و لا يفايش تهديده و وعيده، و لا يراه».[2]

إنّ روح الحماس الموجودة في الشيعه الزيدية و انتساب ملك اليمن إلى رسول الله و قرب اليمن إلى الحرمين و ماسبق منها من الخلافات الحدودية مع السعوديين كانت من العوامل التي جعلت شرف الدين يأمل بمكافحة اليمن مع آل سعود في سبيل

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

البقيع و جعله أيضاً ليبذل جهداً بالغاً لتحقيق هذا الهدف ؛ فمن جانب كان يدعو الشخصيات و الجمعيات إلى السعي في هذ المضمار و من جانب آخر كان يراسل الإمام يحيى ليحثّه على هذا الأمر و كان يطلب من علماء إيران و العراق أن يطالبوا ملكيهما بمساعدة الإمام يحيى في مكافحة الوهابية ، الأمر الذي لم ير وجه الشمس و سنتكلم عن أسباب فشله ؛ فقد أشار بهذا المنشود في بيانه و قال:

«صريمة محكمة و قد أظلم الجوّ بينهم و بين هذا المارق ، و أغبر أفق السياسة بينهما، و لا أرى ابن رسول اللهّ و بقيّة الأئمّة من آله الطاهرين عليهم السلام إلّا و قد عقد على عداوة عدوّ اللهّ صريمته ، و ضرب على منابذته أطنابه ، و تلك فرصة يترصّدها أولو الهمم و العزائم ممّن تصبو نفوسهم إلى خطير المساعي ، و تنزع هممهم إلى بلوغ الأماني ، و تطمح أنظارهم إلى إنقاذ الحرمين و مشاعر اللهّ تعالى و حجّاج بيته الحرام، فإنّه لا منقذ لهم سوى صارم سطوة هذا الإمام ، و بأس جنوده المظفّرة و قد يرى الإمام ذلك على حبل ذراعه و يأخذه على ضمانه.

فمن غير سدنة الدين يركب في هذه المهمّة ظهور العوائق ، و من غيرهم يتخطّى إليها رقاب الموانع ، و من أولى منهم بخوض اللجج و سفك المهج في هذا السبيل ، و من غيرهم تلقى إليه مقاليد الأمور ، و يستسلم إليه بالثقة ، فلا يحدج بسوء.

و قد أوينا منهم أيّدهم الله إلى ركن منيع ، و أنزلنا آمالنا منهم منزل صدق ، و نزعنا إليهم برجائنا ، و رفعنا إليهم حاجتنا ، فإن أفلحنا نشرنا على آلائهم رياط الحمد ، و نطنا شكرهم قلائد في الأعناق و الذي نتوقّعه منهم أعزّهم اللهّ تعالى ، إنّما هو السعي في رسوخ قواعد المودّة و توثّق عرى المصافاة بين دولتي الإيمان في اليمن و إيران ، حتّى يكون بينهما عقد لا ينقض و عهد لا يخفر ، فيقتسمان الوفاء و يتساهمان في مهمّتهما الصفاء ، و لعلّ الإمام يغزو بأبطاله و الشاه يمدّه بعتاده و ماله و المؤمنون عندئذ في أقطار الأرض لا يألون جهداً و لا يدّخرون وسعاً ، فهذا أمر له ما بعده ، رمقتكم

فيه الأبصار، و امتدّت به إليكم الأعناق، و لا يمكن الوصول إليه إلّا بإرهاف العزم و نفوذ الهمّة و الوقوف على ساق و اختلاف ممثّلي العلماء إلى عاصمتي إيران و اليمن و سائر مدنهما، و تبادل الوفود الإيرانيّة و اليمنيّة بين طهران و صنعاء حتّى تعقد آمال المؤمنين بالفوز، و تذيّل مساعيهم بالنجح، و يكون الشكر لكم أيّها القوّامون بأمر اللّه خالدا إن شاء اللّه تعالى».[1]

و في الأخير فإنّ شرف الدين يعلن العالم الإسلامي بالنسبة إلى خطر الوهابية و حصائد الصمت في قبالها في تلك الأيام المصيرية التي لم تصلب جذور الوهابية في العالم الإسلامى و كان بإمكان المسلمين إقتلاعها في أوانها و يتكهن أنّ بقاء هذه الشجرة الخبيثة يورث العالم بأسره القتل و الخزي و المجازر البشعة بذريعة التوحيد و مع رنة التكبير، الأمر الذي بدى صدقه في أيامنا بظهور الدواعش و أخواتها الذين شوّهوا سمعة الإسلام المحمدي في العالم و جعلوا التكبير و الإسلام في صفّ الإجرام و الإغتيال و المذابح الدموية؛ فقد قال في ختام رسالته هذه:

« أما و شرف البقيع و حرمة مشهده الرفيع و قدس ضرائحه الطاهرة، و عصمة أرواح حلّت بفناء بقعته الزاهرة، و رزيّتنا العظمى بعاصفة عصفت بيثرب، فارتجّ لها المشرق و المغرب، لئن رضينا بهذا الخسف و استسلمنا لهذا الهوان، ليتشوّفنّ عدوّ اللّه إلى المطامع البعيدة، و ليكلّفنّ المؤمنين بعدها بخطّة شديدة، و ليلاقنّ منه برحاً بارحاً، و ليقاسنّ نصباً ناصباً، و ما وقعة الحرّة إلّا دون آماله، نعوذ باللّه من خبث شنشنته و لؤم قذاله و سباله. و عريضتي هذه تتوسّل إلى ساداتنا و مو الينا بأسباب الأمل و تنادي: (حيّ على خير العمل، حيّ على خير العمل). ﴿**وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ سَتُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾.[2]

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٢٥ ربيع الأوّل سنة: ١٣٤٥ هـ. الهيئة العلمية في النجف الأشرف.

كتبت الهيئة العلمية في النجف الأشرف كتاباً إلى العلّامة شرف الدين، تلبية لندائه في ٢٥ ربيع الأوّل سنة: ١٣٤٥ هـ. و هم الشيخ جواد نجل المرحوم صاحب الجواهر قدس سره، و الشيخ مهدي الخراساني، و الشيخ حسين الحسني الجيلاني الغروي، و الشيخ عبدالكريم الجزائري، و الشيخ مشكور بن الشيخ محمّد جواد قدس سره، و السيد محمّد الموسوي الخلخالي كتبوا:

بسم اللهّ الرحمن الرحيم

«المولى الأجلّ و الكهف الأظلّ، مروّج الأحكام، ملاذ الأنام، حجّة الإسلام و المسلمين السيّد عبدالحسين شرف الدين أدام اللهّ ظلّه.

أعزّ اللهّ بك الدين، و رفع كيان المسلمين، ونصر بك شريعة جدّك سيّد المرسلين و السلام عليكم و رحمة اللهّ و بركاته.

و بعد؛ تلقّينا كلتا صرختيك الخاصّة و العامّة بالترحاب و التعظيم، و تناولناهما بيمنى الإجلال و التكريم، فتليت آياتهما على الملأ بلسان شكرك و جميل ذكرك، فكان لدويّهما وقع و أيّ وقع أثّر في أعماق القلوب، فأقام و أقعد.

و لعمر اللهّ لقد وجب علينا معاشر أهل الإيمان و ذوي المحبّة لأهل البيت عليهم السلام الرفيع رفع أعلام الشكر، و نشر رياط الحمد و الثناء على تلك الآلاء، و مدّ أكفّ الابتهال إلى اللهّ سبحانه و تعالى بدوام بقائك عَلَماً و حصناً و ملجأً، نشهد لقد أبليت بلاءً حسناً، و نهضت بأمر كبير، و أرشدت برأيك الصائب و نظرك الثاقب إلى وجهة الأمر و بابه الذي يؤتى منه، فشكر اللهّ سعيك، و شدّ أزرك، و أعلى كلمتك، و وفّقنا لمعاضدتك و المضيّ في سبيل نجدتك، و ها نحن حاشدون متأهّبون مستعدّون نبذل النفس و الجهد، و نستفرغ الوسع و النقد في هذا السبيل، و لقد طرقنا لهذه الكارثة الممضّة أبواب مظانّ النجح و الفلاح في إيران و الهند و الأفغان، و على اللهّ التوفيق.

نتنظر إقداماتكم المتوالية، و إمدادنا بآرائكم الصائبة، و إطلاعنا على خططكم المتّخذة تجاه هذه المهمّة، و ذلك بتوسّط الآيتين البالغتين الشيخ الميرزا حسين و السيّد أبي الحسن أدام اللهّ ظلّهما، قدّمنا سابقاً مناشير، المرجو نشرها و السلام عليكم وعلى كافّة إخواننا المؤمنين، و رحمة الله و بركاته».[1]

و استمر هذا الرّدّ و وصل الدور إلى مراجع النجف آيت الله النائيني و السيد أبي الحسن الإصفهاني في أوّل رجب سنة ١٣٤٤ هـ. ق، كما سيأتى.

٢ جمادى الأولى ١٣٤٥ هـ. بيان القارعة، ما القارعة

لكن هذه الردود لم ترض شرف الدين و لم تبلغ المستوى المطلوب الذي كان يتوقعه، لهذا بعد ثلاثه أشهر من تلك الرسالة أي في جمادى الأولى سنة١٣٤٥ هـ، أصدر بياناً عاماً في جريدة الحسام اللبنانية كي تنشر لبانات صدره إلى مجتمع المسلمين عامة كي يجد من يلبيه من صميم قلبه و يجلب مساعدة الرأي العام في منشوده، فحاول وقع هذا البيان في أذن السامعين بتسميتة بيان القارعة ما القارعة؟ التي لها دوي خاص في أذن السامعين و يجعلهم يتابعون بيان هذا المصلح العظيم الذي كتب فيه: القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة؟ يوم انخلعت بفاجعة البقيع قلوب المؤمنين، و اقشعرّت لهولها جلود العالمين؛ و ارتعشت بها فرائص الإسلام، و طاشت لها عقول الأنام.

قارعة يا لها من قارعة، عصبت ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ**﴾، فنسفت ضراح الإمامة، و طمست ضرائح القدس و الكرامة، و نقضت محكمة التنزيل، و مطاف جبرائيل و ميكائيل.

حلّ ما لا تبرك الإبل على مثله يوماً ولو زيدت عقالا

فكلّ مسلم بعدها مباح الذمار، مُوَسَّم الثالث بالعار، مخطوم ببرّة الهوان، ملقى

١. موسوعة الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين ٩ : ٤٢٦ .

في مراغة الخسف و حمأة الإمتهان ، أو يرتق اللهّ هذا الفتق ، و يرأب هذا الصدع ، و يجبر كسر المؤمنين ، فقد رهقهم من هذه القارعة ما ضاق به وسعهم ، و عجز عنه ذرعهم، و لا غرو أنّ هتك الجزع حجب قلوبهم ، فأماثها كما يماث الملح في الماء ، فإنّ الذي بعد هذه القارعة لأدهى و أطمّ.

و لئن عفّرنا الخدّ ، و أعطينا الضيم عن يد ، و لم تأخذنا حفيظة و لا عزّة نفس ، لتكوننّ هذه القارعة فاتحة فتوحات الويل و الثبور ، و مقدّمة المثلات من فاقرات الظهور ، و بائقات الدهور ، حسبنا اللهُ و نعم الوكيل نعم المولى و نعم النصير.

إنّ هؤلاء النجديّين قد هتكوا ستر الحشمة ، و أبرزوا صفحة الوقاحة و كشفوا وجه العداوة لأنبياء الله و أوليائه ، و وقفوا في محو آثارهم و إطفاء أنوارهم على ساق، و جلحوا في ذلك تجليح الذئب ، و أرصدوا الأهب لحرب اللهّ عزّ وجلّ ، و إطفاء نوره من مشكاته، و أشرجوا صدرهم على الحنق من رسول الله صلى الله عليه وآله ، و طووا كشحاً على الحزازات من دينه القويم ، و صراطه المستقيم ، فهم يسرون حسوا في ارتقاء ، و يدبّون له الخمر و الضراء ، فما أكبر كلمتهم في شريف رمسه و ضريح قدسه. ﴿**كَبُرَت كَلِمَةً تَخرجُ مِن أفوَاهِهِم إن يَقوُلونَ إلّا كَذِباً**﴾، ﴿**وَإنَّهم لَيقولُونَ مُنكراً مِنَ القُول وَ زوُراً**﴾، فما أمضّ و ما أوجع ، و ما أكظّ و ما أفجع ، و ما أمرّ و ما أفظع ، و ما أدهى و ما أشنع ، ما همّوا به و تأهّبوا إليه.

همّوا و ما أدراك بما همّوا ، همّوا بنقض رواقه الأرفع ، و تقويض سرادقه الأمنع ، تلك و اللهّ القارعة الكبرى و الطامّة العامّة.

وا محمداه! أين أهل الحفائظ من أمّتك؟ أين أهل التمسّك بالعروة الوثقى من ولايتك؟ أين الذين أنقذتهم من الحضيض إلى الأوج بنبوّتك؟ أين الذين وسعتهم برحمتك ، و أسبغت عليهم من نعمتك؟

وا محمداه! أين حفاظ الجار ، و مانعو الذمار من فتيانك؟ أين حماة الحريم من

غلمانك ؟

وا محمداه! أين اسودك في الوقائع؟ و أين السقاة من رجالك للحتوف؟ و أين الحماة من أبطالك للحقائق؟ و أين اباتهم للضيم؟

وا محمداه! أين أهل الحميّة الإسلاميّة و الغيرة المحمّديّة ليروا هذا النجدي و حثالاته الأَذناب إخوان البول على الأعقاب ، ينزون على منبرك المقدّس نزو القردة ، يردّون الناس على أعقابهم القهقرى ، فيلزمونهم برفض الجدث الأقدس ، و خفض قبّة الفلك الأطلس ، أرفع معاهد النبوّة ، و أمنع معالم الرسالة ، و أعزّمهابط الملائكة و التنزيل ، و أشرف محلّ يستوجب التعظيم و التبجيل؟

هذه باكورة أعمال النجدي في الحجاز قبل أن تستتبّ له. و قبل أن يرسخ له فيها قدم و هذه فاتحة فتوحاته على المسلمين و قد دعاهم ليشتوروا في خدمة الحرمين و حجّاجهما ، و ليأتمروا في شؤون الحجاز و مهمّات المسلمين ، و قبل وصولهم كانت القارعة ، و ما أدراك ما القارعة؟ الأمر المهول الذي طاشت به العقول.

هذه قوارع النجدي و هو يصانع المسلمين و يداجنهم ، فيمسح رؤوسهم ملقاً ، و يقتل منهم في الذروة و الغارب مذقاً ، طمعاً منه بالخلافة الإسلاميّة و الامبراطوريّة العربيّة ، فما الظنّ به إذا نشط من عقاله و ساق العرب بعصاه ، فأخفر ذمّتهم ، و انتهك حرمتهم ، و لم يرع لهم آصرة و لم يراقب فيهم إلّا و لا سبباً، فلا طائل ثمّة و لا نائل ، إلّا تحكّم الغبيّ و الجاهل من كلّ جافّ الطبع ، فظّ الأخلاق لا تأخذه رأفة ، و لا تثنيه آصرة ، حتّى يجعل المسلمين مثلة للناظرين ، و مثلاً واحدوثة في الغابرين.

ما أغرى هؤلاء بالطامة تلو الطامة ، و لا طوع لهم البائقة إثر البائقة ، و لا أرهف عزمهم لإيقاع الخطب على الخطب ، و لا استفزّهم لسحق المسلمين و محق معالم الدين، إلّا إغضاء المسلمين المرّة بعد المرّة على قذاهم ، و صبرهم التارة بعد التارة على ضيمهم، ينزل بهم كلّ يوم من صواعقهم و بوائقهم ما لو نزل بالطود لكان عنها

منفوشاً، فلا ينبض للحميّة فيهم عرق، و لا تندى منهم جبهة بعرق، فمرحوا بذلك طاغين، و سرحوا باغين، و اختالوا بطراً، و طاشوا نزقاً و أشراً، و عتوا عتوّاً كبيراً: ﴿وَ أَصَرُّوا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْباراً﴾، ﴿وَمكرُوا مَكراً كبّاراً﴾.

أيقرع النجدي مروّة النبيّ صلى الله عليه وآله، و ينقضّ مرّة السلف و الخلف من أمّته «وهي خيرُ أمّةٍ أخرجت للناس»، فيخفض جانبه الرفيع، و يبيح البقيع من حماه المنيع، بمرأى من المسلمين و مسمع و منتدى و مجمع، و هم أهل العدد و العدّة، و اولو الأداة و القوّة، فما هذه الغميزة، و ما هذه السنّة، وا مصيبتاه! وا محمّداه! ليت السماء أطبقت على الأرض، و ليت الجبال تدكدكت على السهل.

أيلجّ الوهابيّون في هذه الجهالة و يتمادون في هذه الضلالة، و يركبون متن هذا الغرور، و يمضون على غلوائهم في هذا الطغيان، و يسترسلون في الوقاحة، و يتباعون في التهجّم على حرمات الله و شعائره، و تسوّل لهم أنفهسم محو المشاهد المقدّسة و الضرائح المعظّمة من جديد الأرض، و يمنّيهم غرورهم بالخلافة الإسلاميّة و الإمبراطوريّة العربيّة، فيضربون على ذلك أطنابهم، و يلقون عليه جرانهم، استخفافاً بالملّة، و استضعافاً للأمّة، و لا وازع لهم من ملوكها و أمرائها و لا رادع، و لا قارع لهم من أهل الطول و الحول و لا قامع، و لا حابس لعنانهم، و لا رادّ لعرامهم، و لا كافّ لشيء من عاديتهم، هذا هو الخسف و الصغار، هذا هو العار و النار و بئس القرار، معرّة و الله دهماء و سوءة شنعاء، ملء الأرض و السماء، و خزي لا ترحضه السنون، فإنّا لله و إنّا إليه راجعون.

أما و مجد الروضة الطاهرة، و أنوار القبّة الزاهرة و قدس الضريح المفدّى، و شرف المنبر الأعلى، و ما بينهما من جنّة المأوى، و دارى بقعة في البقيع وارت سادات الورى، لئن أغضى المسلمون على هذا القذى، و شربوا هذا الكأس على الشجى، و لم تأخذهم حفيظة، و لا حميّة، و لا أنفة، و لا عزّة نفس ليذوقنّ

وبـال تفريطهـم كالمهـل مـرّاً حـرّاً و ليجنن ثمـره ذعافـاً ممقـراً ، و ليتّجر عن الأسـف غصصـاً ، و ليجرضـن بريقهـم كمـداً ، ثمّ لا يجديهـم قرع السـنّ ، و لا عـضّ البنان ، و لا أكل الشـفتين ، و لا اليديـن ندمـاً.

إنّ الوهابيّـين قـد أجمعـوا عـلى سـلب الحرّيّـة المذهبيّـة في الحـجّ و الزيـارة ، و عقـدوا عزائمهـم مـن صميم قلوبهـم على ذلـك ، و بيّتوا إلـزام الحجّـاج كافّة بالمذهـب الوهابيّ ، و حكّمـوا في تنفيـذ قرارهم هذا صوارمهم المسـلولة و بنادقهـم المصوّبة ، فأيّ سـماء تظلّ العرب و المسـلمين؟ و أيّ أرض تقلّهم مع هؤلاء و لا سـيّما إذا ما اسـتتبّ لهم ما تشـوّقوا إليـه ، و اشرأبّت لـه مطامعهم؟

﴿رَبَّنـا لا تُؤاخِذْنـا إِنْ نَسِـينا أَوْ أَخْطَأْنـا رَبَّنا وَ لا تَحْمِـلْ عَلَيْنـا إِصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِيـنَ مِـنْ قَبْلِنـا رَبَّنـا وَ لا تُحَمِّلْنـا مـا لا طاقَـةَ لَنا بِـهِ وَ اعْفُ عَنَّـا وَ اغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنـا أَنْـتَ مَوْلانا فَانْصُرْنـا عَلَى الْقَـوْمِ الْكافِرِينَ﴾.[1, 2]

٢٠ جمـادى الاولى سـنة ١٣٤٥ هـ. ق. مكاتبه مع الإمـام يحيى الزيدي إمام اليمن:

بعد سـبعة أشـهر من هدم البقيع ، أرسـل السـيّد شرف الدين رسـالة إلى الإمام يحيى فأطـراه فيهـا و ذكّـره بإنتسـابه إلـى رسـول الله صلى الله عليه وآله و حثّـه إلى مكافحـة الوهابيـة و أبدى إسـتعداده في مسـاندته و في هـذا السـبيل لـشرف الديـن شرف طـرح فكـرة إتحـاد الدول الإسـلامية ضـد الوهابيـة لأوّل مـرّة علـى مسـامع الـرأي العام الإسـلامي حسـب هذه الرسـالة إلتـي إبتدأها ، قـال فيها:

أدام الله ظلّـك ، إمـام بيـت الوحـي و البقيّـة مـن العـترة الطاهـرة عليهم السلام و الثقـل الذي

---

١. سورة البقرة : ٢٨٦ .

٢. موسوعة الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين ٩ : ٤٣٠ .

جعلـه رسـول اللهﷺ قـدوة لأولي الألبـاب ، إذ قرنـه بمحكـم الكتـاب.

فأنتـم سـفن النجاة ، إذا طغى زخّـار الفتن ، و أمـان الأمّة إذا ماجـت المحن ، و نجوم الهدايـة إذا أظلـم ، ليل الغربة ، و بـاب حطّة يأمن من دخلها ، و العـروة الوثقى لا انفصام لهـا ، صلوات الله و سـلامه عليكم كلّما هـوت أفئدتنا إليكم.

مـولاي ، شـيعتكم في أقطـار الأرض تسـتغيث بجلالتكـم ، طامحـة بأبصارهـا إلى عـرش إمامتكـم و قـد تمزّقـت لفائـف قلوبهـا ، و تقطّعـت نيـاط أفئدتهـا ، ممّـا طـرق مشـاعركم الحـرام ، و شـعائركم العظـام ، و حـاق في حرميكـم الأمنعـين ، و بلديكم الأمينـين مـن فواقـر الظهـور ، و فظائـع الأمـور ، و فجائع الدهـور ، حيـث طلع قرن الشـيطان مـن نجـد ، فعصفت عواصـف فتنته بمكّة و يثـرب ، فارتجّـت بذلك أرجاء المـشرق و المغـرب ، و لا عجـب أن اضطربت الحواسّ ، و اقشـعرّت بفاجعـة بقيعكم جلـود النـاس ، فإنّهـا العاصفـة التـي عصفـت بديـن الإسـلام و البائقـة التـي طرقت فنـاء جـدّك سـيّد الأنام.

و نحـن طـوع أمـرك و نهيـك ، لا ندّخـر وسـعاً و لا نألو جهـداً ، فقل تسـمع ، و مر تطع .

نسـأل الله أن يثبّـت قدمكـم ، و يرفـع في عامّة الجزيرة علمكم و السـلام عليـك يا ابن رسـول الله و عـلى آبائك منقـذي الخلق و الأئمّـة بالحقّ ، و رحمـة الله و بركاته.

و قد سـبق أنّ طرح شرف الدين في رسـالته ، كان فكرة الإتحاد بين البلدان الإسـلامية، و بيـان القاعـدة بـما رحب بـه علماء العـراق ، فأرسـل هذه الرسـالة إلى الإمـام يحيى و قد أشـار فيهـا إلى الحديـث النبـوى الشريف حول خـروج قرن الشـيطان من النجـد وطبقه على الوهابية:

عَـنْ ابْـنِ عُمَرَ قَالَ: ذَكَـرَ النَّبِيُّﷺ اللَّهُمَّ بَـارِكْ لَنَا فِي شَـأْمِنَا ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَـا فِي يَمَنِنَا، قَالُـوا: وَفِي نَجْدِنَـا ، قَـالَ: اللَّهُـمَّ بَـارِكْ لَنَـا فِي شَـأْمِنَا اللَّهُـمَّ بَـارِكْ لَنَـا فِي يَمَنِنَـا ، قَالُوا: يَا

رَسُولَ الله ، وَ فِي نَجْدِنَا ، فَأَظُنُّهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَ الْفِتَنُ ، وَ بِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ» .[1]

أوّل رجب ١٣٤٥ هـ. الرسالة إلى مراجع النجف الأشرف: آيت الله النائيني و آيت الله السيّد أبي الحسن الإصفهاني

لقد مرّ أنّ الهيئة العلمية في النجف الأشرف طلبوا من شرف الدين أن يكاتب المراجع مباشرة و يستنجدهم في هذه العويصة و يبدوا من الرسالة هذه أنّه قد أرسل إلى مراجع النجف رسالة لم نعثر عليها قبل هذا التاريخ ففي مقدمه هذه الرسالة يشيد بدور المراجع العظام و يمدح مكانتهم و يشكر جميل إجابتهم لدعوته و ردّهم لرسالته و يخصّ بالشكر النائيني لموقفه في مساندة ما ذهب إليه شرف الدين من إقامة العزاء الحسيني و بعد ذلك يشير إلى كارثة هدم البقاع في البقيع و يقول:

يا له من خطب قرعت قارعته شعائر اللهّ العظام و مشاعره الحرام في البلدين الأمينين و الحرمين المنيعين ، و حقّت حاقّته في بقعة البقيع ، و عصفت عاصفته في ذلك المشهد الرفيع ، فنسفت طور النور و البيت المعمور ، و نقضت محكم الكتاب المسطور في رقّ منشور ، و عتت على مهبط الوحي و التنزيل ، و مختلف جبرائيل و ميكائيل و إسرافيل ، معقل الملائكة المقرّبين و مهوى أفئدة الخلف و السلف من كافّة المسلمين ، فجدع بذلك أنف العزّ ، و هدمت شرفات الشرف ، و لانت قناة الدين ، و ذلّت أعناق المؤمنين.

فهل ترى المسلمين (يا إمامهم) يرضون بهذا الهون و يخلدون إلى هذا الدون شأن من هو خامل الحسّ ، ضعيف النفس ، لا يربأ عن الدنيّة ، و لا يأنف من الخسف. معاذ اللهّ أن يهتضم جانبهم ، و هم أولو المنعة و الحفائظ ، و حاشا للهّ أن يستباح ذمارهم

١. صحيح البخاري ٢ : ٢٤٥ .

بمـرأى منهم و مسـمع و هـم ذوو الجانب الأعـزّ الأرفع.

و لـن يقيـم عـلى خسـف ألمّ بـه إلّا الإذلّان عـير الحـيّ و الوتـد
هـذا عـلى الخسـف مربـوط برمّتـه و ذا يشـجّ فـلا يبكـي لـه أحـد

نعـم، كان البعـض منهـم قد ركـن أوّلا إليـه، و علّق بعـض آمال الإسـلام و العرب عليـه، ثـمّ لّما كان منـه في الطائـف و مكّـة واحـد و المدينة وجـدّة مـا كان، و عرفـوه خبًّا خبيثًـا خدّاعـاً مماكـراً لفظوه لفظ النـواة، و نبذوه نبذ الحصـاة، فهم ينعـون عليه جرائمه، و يفنّـدون أفعالـه و أقوالـه، و ينـدّدون بـه كلّ تنديـد و قد وهـت بينه وبين مصر أسـباب المـودّة، و احتـجّ حجّاجهـم عليـه بفظائعـه و فجائعـه، و أشرب الأشراف العلويّـون في سـنغافورة و حضرمـوت و جاوة بغضه، و طـووا على البراءة منه أحنـاء صدورهم، و لهم أوليـاء أشـدّاء لا يسـتهان بهـم، و أظنّ الأفغانيّـين قد جاشـت صدورهم من هـذا المارق غيظـاً، و فـارت منـه قدورهـم غضبـاً و قـد انفصمـت العـروة بينه و بـين كثير ممّـن كان يؤثـره بإعـزازه، و يصغـي إليه بـودّه، و أغبر الجوّ بينـه و بين أصحابه في الهند، و فسـدت ذات بينهـا، و قرّر مسـلمو الهنـد إنقاذ الحجاز من يده، باسـتنجاد إيـران و اليمن و أفغان و سـائر بـلاد المسـلمين، و منعـوا الحـجّ مـادام متغلّبـاً عـلى الحجـاز منعـاً باتًّـا، و بلغـوا مـن الجهـد في تحقيـق هـذه المقـرّرات كلّ مبلـغ، فأحسـنوا في ذلـك ـ إن اسـتقاموا عليه ـ و أجـادوا إلى الغاية.

و ليـت المسـلمين عامّـة و الإيرانيّـين و العراقيّين بالخصـوص يقومون بهـذه النهضة، ذودا عـن قبلتهـم التـي تهوي إليهـا أفئدتهـم، و يولون شـطرها حيث ما كانـوا وجوههم، و يعتقـون مـن النـار بحجّها رقابهـم، و مدافعة عن ضريـح نبيّهم الأقـدس، و قبّة فلكه الأطلـس، أرفـع مهابـط الوحـي و التنزيل، و أمنـع معاهـد التعظيم و التبجيـل، و ليت حكومـة إيـران أعزّ اللهّ جانبهـا وجّهت إلى ما قرّره مسـلمو الهند عزيمتهـا، و عقدت على إمضائـه في مقرّراتهـا الرسـميّة نيّتها، و اسـتنجدت بعامّة المسـلمين في مهمّتهـا، و اتّخذت

اليمـن مـن حلفائهـا و أوليائها ، كما رفعناه سـابقاً إلى سـدنة الدين و خزنـة الوحي المبين ، فإنّهـم متّعنـا اللهّ بجميل رعايتهـم و جليل عنايتهـم لأولى الناس بتقرير ما قرّره المسـلمون في الهنـد و إنّـما نرجو ذلـك أوّلاً و بالذات من مولانـا أيّده الله ؛ إذ هو إمـام الكلّ في الكلّ ، و بقولـه يكـون العقد و الحـلّ ، و لو صدع بـه لكان لفتواه أثـر لا تؤثّره أفـواه المدافع ، فإن كان أعـزّه اللهّ لا يحـرز ذلـك ، فإنّ بعض الحكـماء يقول:

عـلى المـرء أن يسـعى بمقـدار جهده و ليـس عليـه أن يكـون موفّقـا

أمّـا إخواننـا في الهنـد ، فـإنّ لهم همّة بعيـدة المرمـى ، و نفـوس عبقريّة رفيعـة المصعد ، و مـن وقـف عـلى مفاوضاتنـا الخطّيّـة الباهرة مـع هذا العـاتي الظلـوم ، و مناقشـاتهم إيّاه الحسـاب بـكلّ دقّـة و احتجاجهـم عليـه ببوائقـه بـكلّ رباطـة جـأش ، و هـم إذ ذاك في دار سـلطته ، يعلـم أنّ الهمـم العاليـة منتهيـة إليهـم ، و الأنـوف الحميّة مقصـورة عليهم ، فالرجـاء أن لا تفوتنّكـم مـولاي عزائم هـؤلاء الأبطال ، فإنّهـم يخدمون أفكاركـم الثاقبة في هـذه المصيبـة الراتبة.

و لله مفاوضاتهـم مـا أكـبر خطرهـا ، و أشرف أثرهـا ، مثّلت للعـالم أنّ هذا المـارق إنّما هـو عامـل بريطـاني في الجزيـرة العربيّة كادح ، و سـيف للإنكليز مسـلول ، على الإسـلام و العـرب قاطـع ، و أوقفت العالمين على خبث سـيرته و لـؤم سريرته ، بتمثّـل فظائعه قالباً حسّـيّاً ، و تجسـيم فجائعـه شـخصاً مرئيّـاً ، فـإذا هـي محسوسـة ملموسـة ، فمـن كان بين جنبيـه مثـل نفوسـهم فليحيـى ، و إلّا فالمـوت أجـدر و القبر أسـتر و قد سـنحت الفرصة التـي يترقّبهـا ذوو الهمـم ، و يترصّدها أولو العزائـم ، بانتقاض الأطراف عـلى هذا الهاتك لحرمات الله ، المسـتبيح لمحرّماته ، العابث بشـعائره ، المسـتأثر بمشـاعره ، المتأهّب لسـحق المسـلمين ، و القائـم على سـاقه في محق معـالم الدين.

فأيـن عنـه اليـوم كلّ جـادّ مجـدّ ، دائب السـعي ، مرهـف العـزم ، نافذ الهمّـة ، نهّاض بأمـوره ، قائـم على سـاقه ، يصرخ باسـمكم في الإسـلام صرخة تتجـاوب بصداها أقطار

المسلمين، و تتبادل بها وفودهم بين عواصمهم، و يختلف ممثّلو العلماء إلى أمرائهم و ملوكهم، و تجوب دعاتهم أمصارهم و فجاجهم العميقة، تستثير عواطف أهل القبلة، و تستنهض همم أهل الملّة، لإنقاذ معاهد النبوّة، و مشاهد الرسالة، و مختلف الملائكة، و مهبط الوحي و التنزيل، من أيدي هؤلاء الذين لا يرون لها حرمة، و لا يرقبون فيها إلًّا و لا ذمّةً، فإن كان هذا كلّه و إلّا:

فلا صلاة ولا بيت يحجّ له ولا كتاب ولا فرض ولا سنن

فقد أشار فيه إلى المفاوضات الفاشلة التي جرت بين شريف علي و آل سعود و أخبرهم ما بذل الحشود المسلمة في سبيل القيام بوجه الوهابية، و يطلب من المراجع أن يطالبوا حكومتي إيران و العراق لمساندة اليمن في المناضلة مع آل سعود و أن يشاطروا مسلمي الهند في تحريم الحجّ بهدف الضغط الإقتصادي على السعوديين.

و في ختام الرسالة يشير إلى دور بريطانيا في دعم السعوديين و صمتهم أمام جرائمهم ضدّ المسلمين و الإسلام و حذر المراجع بكلّ حماس في الجملات الأخيرة.[1]

٢٥ رجب، رسالة الهيئة العلمية في النجف إجابة على رسالة شرف الدين

قد أرسلت الهيئة هذه الرسالة ردّاً على مراسلات شرف الدين السابقة فشكرته على نشاطاته في هذا السبيل و أخبرته عما نفذت الهيئة في النجف الأشرف لتحقيق المنشود و أشار فيها بالتواني و الوهن الموجود في تنفيذ مقترحات السيد شرف الدين و أنّ هذه الإقتراحات أثارت نقاشات واسعة في الحلقات العلمائية الموجودة في النجف و لما حصل إجماع في المسألة. ما إستخدمه كاتبوا الرسالة في صدر الرسالة من ألقاب تكريم لشرف الدين توحي مكانته المرموقة في أعين الكاتبين الذين هم من علماء النجف و نخبه حيث خاطبوه بـ:

١. موسوعة الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين ٩: ٤٣٦.

«ملاذ الشيعة و ركن الشريعة ، الصراط الأقوم و العماد الأعظم ، حجّة الإسلام و المسلمين السيّد عبدالحسين شرف الدين أدام الله ظلّه.

نرفع التحيّة بلسان الإجلال و الاحترام مبتهلين لعزّته تعالى بدوام مجدكم و تأييد جدّكم في نصرة شريعة جدّكم صلى الله عليه وآله. و بعد ؛ تلقّينا كتابكم المجيد فرتّلنا آياته ترتيلاً ، إكباراً و إعظاماً و تبجيلاً ، و لقد رأينا من كلمتكم المرفوعة إلى الآيتين وجه الحيلة في إرغام النجدي ، فطرقنا بابي الآيتين جماعة و فرادى راجين العمل بهذه الكلمة التي أشغلت فراغ قلب سامعيها ، و كلّ أضحى يهتف بملء فيه فيها.

و بعد المفاوضات الكثيرة و الجلسات المتعدّدة ، غاية ما تحصّل من إقدامهما في هذا الأمر أدام الله ظلّهما ، ما حرّراه و علّقاه عليه ، و لقد تقدّم ذلك في البريد السابق ، سعينا في العراق بما أشارا إليه و على الله التوفيق.

و أنتم بحمد الله معقد الآمال ، و محطّ الرجاء في بذل الجهد في الاستيثاق من علماء إخواننا السنّيّين في مصر و سوريا بإقدامهم في هذا الباب ، بعد إقدام أعلام الشيعة في العراق ، نسأله تعالى أن يتمّ ذلك قريباً بيمن مساعيكم.

المرجوّ اطّلاعنا على تفصيل ما أحدث هذا المارق جديداً في المدينة المنوّرة ، حيث لم نر ما نعتمد عليه في هذه المسألة سوى إشعاركم المجمل المحيل على التفصيل في عددي الجوائب و هي لم تصل إلى هذا التاريخ».

و السلام عليكم و على من يلوذ بكم

من إخواننا المؤمنين، ورحمة الله وبركاته.

الهيئة العلميّة في النجف الأشرف

الأحقر حسين الحسني الجيلاني الغروي

الأحقر مشكور الشيخ محمّد جواد

محمّد عليّ آل بحر العلوم

جواد نجل المرحوم صاحب الجواهر «قدس سرّه».[1]

١٢ شعبان المعظّم ١٣٤٥هـ.

رسالة للجامعة العلميّة في كربلاء المشرّفة :

لقد تابعت الجامعة العلمّية في كربلا و التي تشكلت من أعلام كربلا الذين رفعوا رسالتهم إلى السيّد شرف الدين بهذه الألقاب: الأحقر يحيى اليزدي الزرندي ؛ الأحقر محمود الزنجاني ؛ الحاجّ هادي الحسيني الخراساني ؛ الحائري الكشميري عفي عنه ؛ عليّ بن زين العابدين ؛ عليّ الشاهرودي ؛ محمّد تقي الطباطبائي ؛ عبدالحسين الشيرازي ؛ محمّد عليّ القمّي عفى عنه ؛ محمّد باقر الرضوي الحائري الكشميري ؛ مجد العلماء ؛ محمّد حسين الرضوي الكشميري ؛ عبدالحسين آل صاحب الرياض قدس سرّه الطباطبائي.

الهيئة العلمية النجفية أرسلت إلى شرف الدين بعد عشرة أيام الرسالة التالية التي شاركت الرسالة النجفية في المضمون و تزيد عليها في إقتراح تعيين السيد محمدعلي نجل السيد شرف الدين كالواسط بينه و بين علماء العراق. فقالوا:

«سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ، نعزّيك يا حجّة الشيعة الغرّاء ، و محجّة الشريعة البيضاء في الإسلام بهدم أركانه القويمة و الكتاب و نسخ آياته المستقيمة ، لله صبرك يا عزّ الدين ، و غياث المؤمنين ، و أعزّ الله نصرك ، و عظّم أجرك في هذه المصيبة التي انفصمت لها عرى الإسلام ، و انفصمت بها ظهور الأنام ما لها من الفضائع المرعشة لقلوب المسلمين و الفجائع المدهشة لعقول العالم ، عمدت رقباء الشرع الشريف إلى بدر سماء عزّه ، فمحقوه و طمسوا أنواره ، و إلى أوثق أركان الدين الحنيف ، فسحقوه و درسوا آثاره ، نحروا الإسلام بسهم بعض منتحليه إسماً ، لا و الله

١. موسوعة الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين ٩: ٤٣٧ .

العظيم لم ينل منه سهماً، و لا يعرف منه أثراً و لا رسماً، فعملت قطاعاتهم في بيوت أذن اللهّ أن ترفع و يذكر فيها اسمه، فوضعوها هدماً، و جالت عمّالاتهم في روضة البقيع فضيّعوها ردماً، فتهدّمت و الله أركان الهدى، و انطمست و اللهّ أعلام التقى، و انفصمت العروة الوثقى، تكاد السماوات يتفطّرن منه، و تنشقّ الأرض، و تخرّ الجبال هدّاً، هدموا بيوت النبوّة، و ردموا ديار الرسالة، فإنّا لله و إنّا إليه راجعون، يا لثارات الدين و تراث الشرع المبين، و يا لله و المسلمين و المؤمنين لقطع يد هذه الطاغية و الفئةالباغية، همج رعاع، رعاة الإبال، و شرّاب الأبوال، و سرّاق الأقوال: ﴿**الْأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَ نِفاقاً وَ أَجْدَرُ أن لا يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أَنْزَلَ الله**﴾.[1]

و لقد وقع ما أنبأ لسان الوحي الإلهي فيما أخبر صلى الله عليه وآله عن أريضة نجد أنّ هناك الزلازل و الفتن، و بها يطلع قرن الشيطان، و لكن إنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً.

و إنّكم يا بني عبدالمطّلب ما عاداكم بيت إلّا و قد خرب، و لا عاداكم كلب إلّا و قد جرب، و الحمد لله تعالى و له الشكر.

إنّ فرج الله قريب إن شاء الله، سيسرّكم سرّ العالم الإسلامي، فإنّه فيما استطلعناه من المفاوضات و المراجعة المتواردة منذ شهور فيما بين هذه الجامعة العلميّة في هذه العتبة السامية و بين سائر المراكز الإسلاميّة هند و بلاد إيران و غيرها و ما اتّفقت عليه آراء الجوامع الإسلاميّة فيها أ نّها بصدد تحصيل الرابطة العامّة و الاجتماع الاتّحادي بين جميع فرق المسلمين نصرهم الله على قمع أصول هذه الطاغية، و استئصال شأفتها، و تطهير الحرمين الشريفين من لوثها، و تأسيس المؤتمر الإسلامي فيهما، فنرجوا بفضل الله و رحمته أن ينصر المسلمين، و يبصّرهم في الاستعداد بكلّ ما استطاعوا من قوّة، و نحن نشكر مساعيكم الجميلة قديماً و حديثاً، و ننتظر المفاوضات النافذة في ناحيتكم بين سائر حجج الإسلام و عمدة

---

١. سورة التوبة: ٩٧.

الأعـلام ، و عامّـة الزعـماء و الأعيـان ، بـل قاطبـة العالم الإسـلامي في سـوريا و مصر و فلسـطين ، و بنـاءاً عـلى ذلك قـرّر انتـداب نجلكم ملاذ الأنام و ثقة الإسـلام السـيّد محمّـد عـليّ أيّـده اللهّ ممثّلاً من قبلنـا في الأقطار الثـلاث و قد حملناه مفاوضات شـفاهيّة يرفعهـا لخدمتكـم و تـرون رأيكم الصائـب فيها.

و عـوداً عـلى بـدء ننتظـر مـا يكـون في هـذا البـاب ، و نحـن مسـتعدّون لمعاضدتكـم بكلّ مـا لدينـا مـن قـوّة و اللهّ هـو مولانـا و رسـوله و جبريل و صالـح المؤمنـين و الملائكة بعـد ذلـك ظهـير. و الحمـد للهّ ربّ العالمـين و السـلام عليكـم و رحمـة الله و بركاتـه».[1]

١٥ شعبان. رسالة الهيئة العلمية في النجف و مرجع الشيعة آيت الله النائيني

و بالتزامـن مـع الجامعة كربلا العلميـة و الهيئة العلمية النجفية أرسـل آيت الله النائيني مرجـع النجـف الأشرف في منتصف سـنة ١٣٤٤ هـ. ق. رسـالة إلى السـيّد شرف الدين التـي توحـي بأنـه كان يوجـد ثمة تـردد في إختيـار الردّ المناسـب مـن جهة علـماء النجف و كان يشـمل على مطالبة مناقشـات أكثر لكي يسـتقر على موضع واحـد و موثر فقال:[2]

بسم الله الرحمن الرحيم

«منـار الـشرع الرفيـع ، و حصن الديـن المنيع ، ملاذ الأنام حجّة الإسـلام و المسـلمين السـيّد عبدالحسـين شرف الدين أدام الله ظلّه.

نحيّيك بألسـنة الشـكر لمسـاعيك ، تلك المسـاعي المحمودة المشـهودة في إعزاز الدين الحنيـف و الـشرع الشريـف ، نحيّيـك بأفئـدة تهـوي إليـك ، سـلام الله عليـك و شـكر سـعيك، و قـدّره لـك اولـو الألبـاب ، و لا زلـت معقـد الآمـال و محـطّ الرحـال في كلّ معضلـة و ملمّـة، عظّـم اللهّ لـك الأجـر بـما أصيـب بـه بيـت اللهّ الحـرام الأرفـع ، و حرم

١. موسوعة الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين ٩ : ٤٣٨ .

٢. موسوعة الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين ٩ : ٤٤٠ .

جـدّك الأمنـع ، و مشـاهد أبنائه و خلفائـه الطاهرين سـلام الله عليهم أجمعـين ، من هتك الحرمـات ، و اسـتباحة المحرّمات أيّـدك الله بالنصر و ظهور الأمر بنيـل الأمنيّة ، ألا و هي رفـع غائلـة الإسـلام ، و كـفّ يـد تلـك الحامية المشـؤومة ، و هـو أكرم مسـؤول.

و بعـد ؛ فقـد قرّر بعد الجلسـات الكثـيرة و الاجتماعات المتـو الية اسـتطلاع آراء العالم الإسـلامي في وجـه الحيلـة لدفع هـذه الطامّة الكـبرى التي مني الإسـلام بها ، و لا شـكّ أنّ ببقائهـا انطـماس أعـلام الدين ، و اندراس معـالم الشرع المبين لنكـون بذلك على بصيرة مـن الأمـر ، و كتلـة واحدة ، فنقـوم بوجه ذلك التيّـار الجـارف ، تيّار قرن الشـيطان ، تيّار الإثـم و العدوان و معصية الرسـول.

و بنـاءاً عـلى ذلـك أوفدنـا إليكـم ثقتنـا المعتمد العلّامـة ثقة الإسـلام شـبلكم الأجلّ السـيّد محمّد عليّ ليمثّلنا بما نحن عليه من الحيرة و الدهشـة ، و يفرغ عن لسـاننا الشـكوى لكـم و لكافّـة الحجج و عامّـة الزعماء و الأعيـان في عاملـة ، و لقاطبة العالم الإسـلامي في سـوريا و مـصر من جرّاء تلـك الحوادث و الفظائـع المؤلمة بل المهلكة ، و ثانيـاً ليطلعنا على رأيكـم الصائـب و رأي الحجـج و العـالم الإسـلامي في سـوريا و مصر ، و عـلى خططكم المسـدّدة الناجزة في هـذا الباب.

و هناك مفاوضات يعرضها إليكم شفاها ، فترون رأيكم فيها إذ الأمر إليكم.

هذا ، و نحن بمعونة الله تعالى مسـتعدّون لمعاضدتكم و المضـيّ في سـبيل نجدتكم لا نـأل جهـداً ، و لم ندّخر وسـعاً و قـد آن وقت العمل ، و نضج السـنبل في العالم الإسـلامي بـما طرق سـمعه ، فأصـماه من اسـتثارة الرأي العـامّ و الاستصـراخ نظماً و نثـراً ، فالعمل العمـل و الوفـود الوفـود ؛ إذ بهـا النجـح إن شـاء اللهّ تعـالى بربـط الأقطـار الإسـلاميّة بسلسـلة واحـدة ، و عندهـا الصرخـة في وجـه تلـك الفظائـع و اللهّ تعـالى مـن وراء ذلك مؤيّـداً و نـاصراً و هوحسـبنا و نعـم الوكيـل ، نعم المولى و نعـم النصـير. بالأمس وصلت رزمتـا المفاوضـات الهنديّـة و وزّعـت. و السـلام عليك يا ابن رسـول الله و نائـب خليفته

و رحمة الله و بركاته».

١٣ شعبان سنة ١٣٤٥ هـ. الهيئة العلميّة في النجف الأشرف

الأحقر مشكور الشيخ محمّد جواد

الأحقر محمّد الموسوي الخلخالي

الراجي محمّد رضا آل ياسين

الراجي من آل كاشف الغطاء الهادي بن العبّاس

الأحقر باقر القاموسي

الأحقر مهدي الخراساني

محمّد عليّ آل بحر العلوم

جواد نجل المرحوم صاحب الجواهر قدس سره

الأقلّ عبدالكريم الجزائري

الأحقر عليّ بن إبراهيم القمّي ١٣٤٥ هـ. ليت الانتباه كان قبل عامين

الأحقر صدر الدين الموسوي

الأحقر عبدالرضا آل المرحوم الشيخ راضي قدس سره

الأحقر حسين الحسني الجيلاني الغروي

باسمه تعالى الأحقر عليّ الأصغر الحسيني الشهرستاني.

و النائيني أيدّ الرسالة و أكّد بمضمونه بالنص التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

«بعد السلام عليكم و رحمة الله و بركاته، فإنّ الأمر كما كتبته الهيئة العلميّة المعظّمة، و ننتظر الاطّلاع على ما يستقرّ عليه رأي العالم الإسلامي في دفع حاكمية هؤلاء المارقين على حرم الله تعالى و حرم رسوله صلّى اللهّ عليه وآله الطاهرين و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته».[١]

١. موسوعة الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين ٩ : ٤٤٢.

الأحقر محمّد حسين الغروي النائيني

١٥ شعبان ١٣٤٥ هـ.

١٨ شعبان سنة ١٣٤٥ هـ. الإخبار و إعطاء معلومات جديده حول جرائم الوهابية و إنكار هدم الحرم النبوي الشريف

و في رسالة أرسلها شرف الدين إلى ابنه السيّد محمدعلي الذي نصب كواسطة بينه و بين علماء العراق و مراجعها، أجاب على إلتماس الهيئة العلمية النجفية حيث سئلوه عن معلومات أكثر حول هدم المسجد النبوي الشريف و أخبره عمّا نفذوه في سبيل تحقيق المنشود حول البقيع، حيث كتب إليهم:

«...أخذت كتابك الحافل، بما لك من الهمم و الفضائل، مع كتب الآيتين و الحجّتين أدام الله وارف ظلالهم، ثمّ وافانا كتابكم الآخر مع كتاب الهيئة العلميّة أعزّها الله تعالى، فسرّني ما ذكرتموه من النهضة، و ساءني عدم ترتّب شيء ممّا من الآثار عليها، فكأنّا لم نصنع شيئاً. و زادني همّاً و غمّاً و كرباً أنّكم استشعرتم من كتبي ما لا نشعر به و فهمتم منها ما لا تدلّ عليه بواحدة من الدلالات استشعرتم منها تعرّض الوهابيّين (بالهدم) للحرم النبوي أعزّه اللهّ تعالى و حماه، الأمر الذي لم يقع إلى الآن منهم، و إن كان متوقّعاً في المستقبل؛ لكونه من الواجبات عندهم بحكم الضرورة من مذهبهم، لكنّهم أخّروه إذ لم تستتبّ لهم أسبابه و إنّما تستتبّ بتمويت عواطف المسلمين شيئاً فشيئاً و قد جرّبوا العواطف، فخرّبوا أوّلاً مقام حبر الأمّة و ابن عمّ نبيّهاﷺ، و فعلوا في الطائف ما فعلوا من القتل الذريع و النهب الفظيع، و ارتكبوا فيها ما ارتكبوا من الفظائع و الفجائع، فلم ينتطح في ذلك عنزان، فثنّوا بتدمير المشاهد و المعاهد و بعض المساجد بمكّة المعظّمة، فلم يروا قامعاً و لا وازعاً فهدّموا مقام سيّد الشهداء في أُحد، و مقام أمّ البشر في جدّة، فلم يجدوا حابساً لعنانهم، و لا رادّاً لعرامهم، فجاؤوا بها

في البقيع سواء شنعاء، ملء الأرض و السماء، و متى هدأت الأجراس، و خفقت الأنفاس، وثبوا على الضريح النبوي لا محالة، لا يرتاب في ذلك أحد ممّن يعرف الوهابيّين أو يعلم الضروريّات من مذهبهم و قد استاؤوا من طاغيتهم ببقاء القبّة النبويّة، و احتجّوا عليه في ذلك بأشدّ لهجة، فاضطرّوه إلى الذهاب في هذه الأيّام إلى نجد لإقناعهم في إرجاء هدمها إلى أجل قريب، إذ ليس في وسعه مصادرة الأمّة عامّة في هذه الأحوال المضطربة؛ فالمسجدان الأقدسان لم يتغيّر منهما شيء عمّا كانا عليه، فما أدري كيف استشعرتم من كتبي ما استشعرتموه، و دونكم صورة ما رفعناه إلى الآيتين، فأمعنوا النظر فيها تعلموا عدم دلالتها على شيء ممّا استشعرتموه، و لو كان الضريح النبويّ ممسوساً لكانت اللهجة في كتبنا غير ما سمعتم، كما لا يخفى.

أمّا الحكم بعدم الحجّ ما دام هذا المارق متغلّباً على الحجاز فذلك موكول إلى رأي الآيتين، و منوط بتكليفهما الشرعي، و هما أعرف بالأحكام و أرأف بالإسلام، و ما كان لأحد أن يكرههما عليه أو يضطرّهما إليه، فلا تتعرّض لما لم يكن راجحاً في نظرهم». [1]

١٨ شعبان استفسار ردّ فعل العراق و إيران عن السيّد صدرالدين الصدر عبر الرسالة

إنّ هذه الرسالة تشتمل على تبيين الوهابية من حيث الماهيّة و الفكر و إظهار شرف الدين يأسه من قبل علماء الشام؛ و آماله بالنسبة إلى ما يأمل فعله في هند و اليمن و استفساره عمّا سيكون ردّ البهلوي في إيران فكتب:

«تشرّفت بكتابكم و فزت بفصل خطابكم، فشكراً شكراً، و حمداً و ثناءاً و برّاً، بادرت إلى المهمّة فكاتبت فيها مصراً، فأنا أنتظر الجواب، و دعوت علماء سوريا إليها

١. موسوعة الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين ٩ : ٤٤٧.

وحدوتهم عليها، فاعتذروا بالخوف من معرّة الثوّار، و زعموا أنّ زعماء الثورة إنّما هم من دعاة هذا المارق، و أنّهم قد ألقوا مقاليدهم إليه، و علّقوا في ثورتهم كلّ الآمال عليه، و بالغوا في الاعتذار بهذا و نحوه كلّ المبالغة، فكلامهم و إن كان لا يخلو من الحقيقة في الجملة، إلّا أنّ المانع لهم إنّما هو الإثم الذي باء به العرب دون غيرهم من المسلمين، و امتاز به القطر الشامي على سائر البلاد العربيّة، ألا و هو الانحراف عن أمير المؤمنين عليه السلام و الوغر الكامن في صدورهم من أبنائه المعصومين عليهم السلام و الحقد لأوليائهم و الودّ لأعدائهم.

فهم لا يجتمعون مع أوليائهم في معروف، و لا يفترقون عن أعدائهم في منكر، تلك شنشنة العرب منذ كانت بدر واحد و الأحزاب و السقيفة و الشورى و الجمل و النهروان و صفّين و رزيّة الطفّ، و ما بعدها بالتسلسل إلى أن كانت فاجعة البقيع التي «يشيب لهولها فود الرضيع» و قد قام اليوم من بقيّة الأمويّين ثلّة يدعون إلى سلفهم، يريدون ليعيدوها أمويّة يزيديّة، فهاموا في أودية محالّهم، و تسكّعوا في مفاوز ضلالهم، و ركبوا رؤوسهم في البغي، و بسطوا أعنّة أقلامهم في الغيّ، فخطّ «كرد» معاوية بل قرد يزيد بيده الأثيمة ما خطّ في «خطط الشام» المنتشر في هذه الأيّام و قد كانت بيني و بينه وغاً، قطعت فيها وجهته، فأخذته من بين يديه و من خلفه لكنّه ممّن: ﴿**خَتَمَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ عَلى سَمْعِهِمْ وَ عَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ**﴾.[1]

و أنشب العقور «النشاشيبي» أظفاره ليمزّق مرائر المؤمنين، و يفري قلوب أهل الدين، و لو كبحوه بردّ أباضيته و فضحوه بتزييف أضاليله لما اقتحمتهم عيون النواصب، و لا استخفّ بالافتراء عليهم كلّ كإذب، لكنّهم أمدّوا المفترين في طغيانهم و أملوا لهم «بالسكوت عنهم» في بهتانهم و قد بلغت القحة في نواصب سوريا أن

١. سورة البقرة: ٧.

أعلنـوا اليوم تفضيل معاوية ، و بذلوا نفوسـهم في سـبيل فئته الباغية ، فطاشـت «نصول» سـهامهم ، و سـفهت عقـول طغامهـم ، و كانـوا في ذلـك كالباحـث عـن حتفـه بظلفـه و الجـادع مـارن أنفـه بكفّه.

إنّ اليـأس مـن القطـر الشـامي لإحـدى الراحتـين ، و إن أظهر الشـيوخ مـن علمائه ما أظهـروه مـن المحافظة على أسـباب صداقتنا لأمور سياسـيّة اضطرّتهم إلى ذلـك ، و لا أثر لهـم في مهمّتنـا أصـلاً ، و إنّـما الأثر للعـراق و إيران و الهنـد و مصر و اليمـن و أفغان.

أمّا العراق و إيران فالأمر فيهما سهل الملتمس قريب المنال إن شاء الله تعالى.

و أمّـا أبطـال الهنـد فسـيتلقّون أوامر سـدنة الديـن في هذه المهمّة بسـعة ذرع و شـهامة طبـع ، و هـم فيهـا على جمـام من أنفسـهم ، و نشـاط مـن عزائمهـم ، فليكلّفـوا بنشر هذه الدعـوة في مـصر و أفغـان و تركسـتان و غيرهـا مـن بـلاد أهـل السـنّة ، فـإنّ كلامهم مع السـنيّين أنجـع ، و هم لهـم أطوع.

و أمّـا اليمـن فقد اعتقدت عداوة هذا المـارق ، و اشربت بغضه من أوّل أمـره ، و ازداد الـشرّ بينهـما احتداماً ، بسـوء ما صنع أخـيراً في العسـير ، حيـث ضمّها «وهـي قطعة من اليمـن» إلى جناحـه ، و ضمـن لحكّامها الأدارسـة حمايتها مـن الإمام يحيى بقوّة سـلاحه ، و مـا كان الإمـام ليعنـو لهـذا القهر و هـو أحمى أنفـاً ، و أمنع ذمـاراً ، و لا ليطمئـنّ إلى هذه الغضاضـة و هـو أكثـر مـالاً ، و أعزّ نفـراً ، فالحـرب بينهما ممّا لابـدّ منه ، و سـتدور رحاها بأقطـاب اليمن أسـود الوقائع ، و سـقاة الحتـوف ، فتطحن بـسرّ آل محمّدﷺ هـذه المارقة مـن أعدائهم إن شـاء الله تعالى.

إنّ ظـلام جـوّ السياسـة في الجزيرة بين شـيعة اليمن و هـذا المارق لفرصـة يترصّد أولو الهمـم سـنوحها ، و يترقّـب ذوو العزائـم اغتناها ، و ما هـي إلّا بريد الظفـر و رائد النجح بحول اللهّ تعـالى و قوّته.

فأيـن مـن يعـرف حقّ الفرص مـن كلّ يقظـان الجنان ، قائـم على سـاقه ، يوصل حبل

إيـران بحبـل اليمـن ، و يشـدّ عـروة الشـاه بعـروة الإمـام ، ليكـون بينهـما عهـد لا يخفر ، و عقـد لا ينقـض ، و جلالـة ملك العراق أولى من جلالة الشـاه بذلك لو لم تمنعه السياسـة البريطانيّة.

أمّـا الشـعب العراقـي و الإيـراني ، بـل عامّة الشـيعة أينما كانـوا ، فلا مندوحـة لهم عن التمسّـك بعـروة الإمـام و الاتّصال بحبلـه ، إذ ليس لمهمّتهم سـواه ، فليركبـوا إليه ظهور الآمـال ، و ليتوسّـلوا لديـه ببـذل نصرتهم لـه بالأمـوال ، و ليرهفـوا عزائمه لأخـذ ثأره ، و رفـع مـا خفضـه الناصـب من منـاره ، فـإذا حمـي الوطيس ، و احتـدم الخميـس فعليهم أن يمدّوهـم حينئـذ بالنفـس و النفيـس ، فإنّـه الأمـر الـذي لـه مـا بعـده ، و لعـلّ سـدنة الديـن و خزنـة الشرع المبـين لا يتوقّفـون في صرف السـهم الأقدس من الخمـس إلى إنقاذ مشـاعر الله و شـعائره عـزّ وجلّ.

و ليتنـي وقفـت عـلى الحـال في تبـادل المخابـرات في هذا الشـأن بـين العـراق و اليمن و إيـران و الهنـد و مـصر و أفغـان ، فعسـى أن يكـون كلّ من هـذه الأقطار أوفـد وفده إلى القطـر الآخـر ، و عسـى أن تكـون ممثّلـو العلماء قـد اختلفـت إلى ملوك الإسـلام و زعماء المسـلمين ، و عسـى أن تكـون دعاة أهـل النهضة جابـت الأمصار ، و وصلـت في دعوتها الليـل بالنهـار ، فاسـتثارت عواطـف أهـل القبلة ، و اسـتفزّت حفائـظ بني الملّـة ، و لعلّ سـدنة الديـن أيّدهـم الله كلّفـوا جلالـة ملـك العـراق بمؤازرتهـم سرّاً في هـذه النهضـة و لـو بـما يلـزم لهـا مـن المادّيّات ، و مـا المانع مـن نهـوض حكومة إيـران في واجبـات هذه القارعـة، و هـل قـرّرت ـ يـا تـرى ـ في دوائرهـا الرسـميّة أمـراً نشـيم منه مخايـل الرجاء؟ و هـل جـوّ السياسـة البهلويّة في بلهنيـة وصفـاء؟ ألتمس تفصيل ذلـك كلّـه ، راجياً رفع عريضتـي هـذه إلى كلّ مـن الآيتـين ، ثـمّ إلى قدوتنـا المـولى آيـة اللهّ الخـال الأعظم جعلت فـداءه. و أعيذكـم بالله أن تشـغلكم الشـواغل عن هـذا الخطب الهائل ، حاشـاك من ذلك و قـد قلـت فيـه ، و لله درّك مـن قائل:

و سوف تكون فاتحة الرزايا إذا لم نصح من هذا الهجوع».[1]

٢٧ شعبان ؛ جواب ثلاثة من أعلام النجف إلى شرف الدين

لقد كتب السيد محمّد مهدي الموسوي الخراساني

و محمّد مهدي الصدر

الشيخ عبدالحسين آل ياسين هذه الرسالة:

«عماد الملّة و الدين ، و كهف الشرع المبين ، و منار الهدى المستبين ، حجّة الإسلام و المسلمين ، سيّدنا السيّد عبدالحسين شرف الدين دام ظلّه و علا محلّه.

أمّا بعد ، فلمّا كان من الواجب اللازم الذي لا محيد عنه لكلّ مسلم أن لا يقف تجاه هذه الكوارث العظام و الفظائع الجسام التي قام بها طغاة نجد و عبدة الشيطان في الحرمين الشريفين مهبط الوحي و التنزيل و كنز العرفان و التأويل ، و ما أنزلوه بالمشاعر المباركة و الشعائر المقدّسة من الهتك و التحقير و التخريب و التدمير إلّا وقفة الهائج المائج ، وقفة المدافع المناجز ، وقفة البطل المقدام و الأسد الضرغام ، لتلافي الأمر و إرجاع عادية النجديّين إلى نحورهم. كيف ، و لا يمكن القرار و الصبر على بعض هذه الفجائع لمن له أدنى شعور ديني أو عاطفة إسلاميّة.

و أنت يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله لك السبق في مثل هذه الحلبات و هذه مساعيك العظيمة و أعمالك الجسيمة و نهضاتك الكبرى التي لا زلت تدأب بها في سبيل حماية حوزة الدين المنيع ، و إعزاز مقامه الرفيع ، و إعلاء كلمته و تشييد مآثره و مشاعره، لتشرق في سماء الإسلام اليوم كالقمر البازغ ، فتبعث إلى قلوب المسلمين بأشعّتها الذهبيّة من بوارق الفلاح و النجاح ما ينعش الآمال و هي رمام ، فنسأله تعالى شأنه أن يمدّكم بنصره و ظفره و تأييده و تسديده.

---

١. موسوعة الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين ٩ : ٤٤٥ .

و هـا نحـن أيضـاً قـد شـاركناكم في بعـض الأعـمال الصالحـة التـي تبـادر إلى الذهن لزومهـا و أهمّيّتهـا ، و حيـث إنّ ارتبـاط الأقطار الإسـلاميّة بعضهـا ببعـض و اطّلاع كلّ قطـر على حـال الآخر و اسـتطلاع الأفـكار و الآراء و توحيـد الغاية و العمل و الضـرب بيـد واحـدة عـلى وتيرة واحـدة ، أنجـع في طلـب المقصـود و أبلـغ في الوصـول إلى الغاية المنشـودة ، لهـذا انتدبنـا إليكـم المعتمـد الثقـة ، ثقة الإسـلام شـبلكم الكريم السـيّد محمّد عـلي دام عـزّه ليكـون واسـطة تربـط سـوريا بالعـراق ، فتجتمعـا معـاً ، و تتفاهـم فيما هو الراجـح الناجـح مـن الإقدامـات التـي توجب كسر شـوكة طغـاة نجـد و إخراجهم من الحرمـين الشريفـين ، و أن يعـرض لديكـم ولـدى سـائر حجج سـوريا و زعمائهـا و كافّة مسـلميها مـا عليـه العـراق و العراقيّون من المضـض و الآلام ، و مـا اتّخذه أولـو الأمر فيه مـن بـدء المسـألة و إلى الآن ، من الإقدامـات التي ترجّح في الذهن صلاحهـا ، و أن يطلعنا عـلى آرائكـم الصائبـة و أفكاركـم حـول هـذه المسـألة العظيمـة ، و يكون ذلك مشـفوعا بـآراء و أفـكار سـائر الحجـج و أولي النظر هنـاك ، و أن يبيّن لنـا الخطط التـي وضعتموها للسـير عليها في مقـام العمل.

و لا شـكّ بـأ نّنـا بعـون الله و قوّتـه مسـتعدّون لمعاضدتكـم و مسـاعدتكم و المـضيّ في سـبيل نجدتكـم بما أوتينـا من حول و طول ، غـير وانين و لا متسـامحين ، بإذلين في ذلك السـبيل كل مرتخّـص و غال مـن النفس و النفيـس و الله تعالى يمدّكم و يمدّنـا ، و يمدّ كلّ ناهـض من المسـلمين بـكلّ تأييد و تسـديد ، فإنّـه قريب مجيـد ، و من يتوكّل عـلى الله فهو حسـبه ، حسـبنا الله و نعم الوكيل و السـلام عليكـم و رحمـة الله وبركاته».[1]

إنّ مضمـون هـذه الرسـالة يظهـر أنّ ردّ فعـل علماء الشـام و وجهة نظـر شرف الدين بالنسـبة إليـه لم يصل إلى الهيئـة العلمية للنجف و كان لهم لحدّ تاريخ هذه الرسـالة حسـن ظن بعلماء الشـام قبـال هدم قبـور البقيع.

---

١. موسوعة الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين ٩ : ٤٤٩ .

دراسة إنجازات شرف الدين في سبيل مناهضة هدم البقيع :

في هـذه الحصّـة نـدرس نتائـج مسـاعي شرف الديـن التـي بذلتهـا في سـبيل مكافحة جريمـة هـدم البقـاع و التـي تحصـى في أربعـة أصعـدة و هي:

الأول: إعطاء المعلومات و إخبار المجتمع حول الجريمة.

الثانـي: خلق إحجـاج عام أمام هذه الجريمة في المجتمع الإسـلامي و تشـكيل مطالبة عامـة لمكافحة الجريمة.

الثالث: تعطيل الحجّ و الإضراب عنه للضغط على السعودية.

الرابـع: الهجـوم العسـكري و قلـع مادّة فسـاد الوهـابي عـن الحرمين بتجنيـد جيوش اليمـن و اسـتظهار كلّ مـن دول ايـران و العراق.

الأول و الثـاني: في مجـال إعطـاء المعلومـات و خلق الاحتجـاج العالمي ضدّ السعوديين

لقـد نجح شرف الديـن في خلق العلاقات الحسـنة بينه و بين علماء البلدان الإسـلامية مـن أرجاء العالم الإسـلامى كالهند و إيـران و العراق فـكلّ من الكتب المتراسـلة المتراكمة بينـه و بـين هذه الجمعيـات تدلّ على هـذا النجاح كـما تـدلّ المكاتبات الموجـودة بين هذه الفئـات و الجمعيـات و بـين مختلـف الـدول في هـذا المضـمار علـى تحقـق المطالبـة العامـة و الاحتجاجـات المتأججـة بـين المسـلمين التـي كان لـشرف الدين يـد كبيرة فيهـا. نعم ، كـما أنّ شرف الديـن صريـح بها آن علماء السـنة الموالية لآل البيت عليهم السلام كانوا يسـايرونه في هـذا الـدرب ؛ و لكن علماء الشـام الذيـن كانوا ينقصـون المحبة لأهل البيـت عليهم السلام آنذاك لم يشـاركوه في الأمر بذرايع سياسـية.

الثالث: في مجال تعطيل الحجّ و تحريمه

لقـد منعـت الحكومـة الإيرانيـة في سـنة١٣٤٥هـ. ق. الحجّ و لكـن لم يطـل المنع الّا

سـنة واحـدة و إن كان له تأثير حسـب تقرير (حسـين بيرنيا) القنصـول الإيراني في مصر حيـث يوكّـد لـو أنّ الحكومـة الإيرانية اسـتمرت في هذا المنع و لو لسـنة أخـرى ، كان له دوي آخـر و كانـت متمكنـة من إكـراه الحكومة السـعودية للخضوع أمـام مطالبها التي منهـا منـع الأذى عـن الحجّـاج الإيرانيـين و ثانياً التمكـن من إعـادة بناء البقـاع المطهّره في البقيع.[1]

كذلـك في الهنـد و العـراق عطّل الحـجّ إحتجاجاً على جرائـم الوهابية كـما ينقل أحد العلـماء (المرحـوم السـيّد أحمـد الشـبيري الزنجـاني) حـاول أن يحجّ مـن العـراق في نفس السَّـنة و لكـن واجـه تعطيـل الحجّ حسـب فتوى السـيّد أبي الحسـن الإصفهاني و الشـيخ محمـد حسـين النائينـي (رحمهـما الله)، فرجع إلـى إيران و حـجّ في العـام القابل.[2]

يمكـن الوصول إلى مـدى أثر هذا الاحتجاج من ردّ فعل السـلفية و محاميهم كرشـيد رضـا الـذي عـارض هـذه الموقـف بشـدة بالغة و كتبـوا عـدّة مقـالات و بيانـات لتنديده و تخطئتـه و دفاعـاً عـن جريمة السـعودية النكـرة ، إنّ رشـيد رضا حـاول التنديد بموقف العلماء و نسـبهم إلى بثّ الفرقة و الفسـاد بين المسـلمين. لقد نشر هذه المقـالات في جريدة (كوكـب الشرق) المصرية المورّخة ١٧ شـوال سـنة١٣٤٤هـ. ق.[3]

نعـم ، هـذا الموقـف التنديـدي مـن جانـب مـوالي أهـل البيـت عليهم السلام فقـد فعاليتـه بعد اكتشـاف النفط في الجزيرة العربية في سـنة ١٩٣٣م ، إذ سـدّت الحكومة السـعودية خلتها و نفقاتهـا مـن طريق بيع النفط و اسـتخلف هـذا مقام الحـجّ في توفير الميزانية السـعودية.[4] فانحـسرت مكانـة الحـجّ الإقتصاديـة لـدى هـذه الحكومـة و إن بقيـت مكانتـه الثقافيـة

١. المحقق، اسناد روابط ايران و عربستان سعودى : ٧٣ .

٢. مجلـة (حكومـت اسـلامى)، العـدد ٢٤، «**ولايـت در انديشـه فقهـى سياسـى نائينـى**» السـيد جـواد الورعي.

٣. الأمين، أعيان الشيعة ١٢ : ٤٥ .

٤. الوردي، لمحات اجتماعية ٦ : ٣٤٨ .

و العالمية على حالها لدى الدول الإسلامية.

الرابع: التجنيد لإستيصال الحكومة السعودية بالقوة العسكرية

كما مرّ كان معتمد شرف الدين في استخدام القوة العسكرية على إقدام الإمام يحيى ملك يمن الذي صالح مع آل سعود وراء الكواليس و لم يوفّق لهذا العمل بدليل ضعف القوة العسكرية و التوافق مع بريطانيا فلم يرد جواباً إلى كتاب شرف الدين الذي أرسله إليه في ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٤٥هـ. ق.(سبعة أشهر بعد الهدم).[١]

و ممّا تدلّ على التوافق المذكور بين يحيى و انجلترا، تلغرام أرسله القنصول الإيراني إلى البلاط المورخ ٩ مرداد سنة١٣٠٥ الشمسية أنّ انجلترا وظف عامله في اليمن المسمّى بجنرال كلايتون أن يسعى في حصول على توافق بين إمام يحيى و إبن سعود و أخبر أنّ ممثّل يحيى في مصر، عبد الواسع، صرّح للبريطانيين أنّ يحيى يميل إلى عقد توافق بينه و بين السعوديين مثلما فعلته انجلترا مع السعود (وثيقة رقم: ١٥٩)، هذا التوافق مسبوق بتوافق آخر بين الإمام يحيى و انجلترا حول القضية اليمنية حوالي سنة١٣٣٧ـ١٣٣٩ق.[٢] هذه الواجهة للملك اليمني في اتجاه معاكس تماماً لما كان يظهره من دعوته المجتمع الإسلامي إلى التوحيد ضدّ غطرسة الإستكبار العالمي و ما أعلنه من البيان في سنة ١٣٤١ق.[٣]

و في الواقع فإنّ الإشتباكات التي حصلت بين اليمن و السعودية في سنة ١٣٥٢ق. كشفت عن ضعف القوات اليمنية و وهنهم أمام القوات السعودية و خطا الإعتماد عليهم. ففي هذه الإشتباكات التي لم تدم أكثر من شهر لم تستطع القوات اليمنية القيام في وجه الهجوم السعودي أكثر من شهر و أجبروا بقبول الشروط السعودية

١. موسوعة شرف الدين ٩ : ٤٣٠ .
٢. الواسعي، تاريخ اليمن : ٢٦٤ .
٣. الواسعي، تاريخ اليمن : ٢٦٦ .

لقـرار وقـف إطـلاق النـار ممايعتـبر هزيمـة سياسـية نكـرة علـى اليمنـين ، و أيـن هذا الجيـش من إجتيـاح الحدود السـعودية ، و الوصول إلـى الحجاز و الحرمـين و إخراجها مـن يد السـعوديين ، كـما كان العراقيون يدعون لهم حتى في أناشـيد مواكبهـم في المحرم في العـزاء الحسـيني آنذاك.[1]

أمّـا الظـروف المسـيطرة علـى إيـران في هـذه السـنوات أيضـاً فإنهـا كانـت ظروفاً صعبـة، فالحكومـة القاجاريـة تتحـوّل إلـى الحكومـة البهلويـة ، و البـلاد كلّهـا في وضعيـة عـدم الاسـتقرار و فقـدان الأمـن ، و أصبـح رضاخـان (سردار سـپه) و بعد ذلـك كرئيـس الـوزرا و ملك المسـتقبل يحاول السـيطرة علـى الأمور ، و إبـداء وجهة مقبولـة عن نفسـه لـدى الجميع ، فـلا تمكّنه الظـروف هذه عـن إهتمام أكثـر إلى قضية البقيـع فضـلاً عن تجنيـد القوى ، و المسـاندة للدولة اليمنيـه في المواجهة العسـكرية مع السعوديين.

هـذا ، و نعلـم ممّـا أبدتـه بريطانيـا لليمنيـين أنهـا لا تسـمح لرضـا خـان في خطـوة أعظـم مـع مكانتهـا لديه و لهـا أكبر فضـل على رضـا خـان في توليتـة منصة الحكـم.[2] و لم يسـتمر مـا أبداهـا لرضـا خـان في بدايـة حكومتـه في القضية مـن نشر إعلان و تشـكيل لجنـة الحرمين ، و الإسـتنكار اللفظـي للجريمة إذ بعد اسـتوائه على العـرش الملكي ألقى البرقـع عـن وجهـه و خالـف مـا كان يبديه مـن الاهتـمام بظواهـر الشـريعة ، حيث منع الحجـاب للنسـاء و قتـل الجمعيـة الغفـيرة المجتمعـة بالحـرم الرضـوي في مشـهد ، و منع العلـماء مـن لبـس الـزي الحـوزوي التقليـدي بذريعـة إتحـاد الملابـس و مظاهـر الرجـال و كذلـك منعـه مـن إقامـة المجالـس الحسـينية ممّا أثـار علـماء الدين عليـه و سـبّب عكرة العلاقـات بينهـم ، و بالتـالي عدم إهتـمام حكومي بالنسـبة لمسـألة البقيع إلـى نهاية الحكم الرضـا خانـى المرعب.

---

١. الوردي، لمحات اجتماعية ٦ : ٣٤٣ .

٢. المدني (تاريخ معاصر ايران) ٢ :٢٣١؛ القادري (تاريخ ايران كمبريج) ٧ : ١٤٦و١٨٧و٣٣٥ .

النتيجة :

يعتبر السيد شرف الدين من أبرز الوجوه العلمية و الثقافية الذي بلغ جهده في سبيل مكافحة جريمة هدم بقاع البقيع على ساحة تنوير الآخرين ، و توعيتهم في مواجهة الوهابية و تشكيل جبهة متحدة لمطالبة منع الهدم و الضغط على السعودية بتعطيل الحجّ و محاولة السيطرة العسكرية على الحجاز بالجيش اليمني و بمساندة الحكومتين العراقية و الإيرانية و قد نجح في هذه المحاولات إلّا الأخير لأسباب ، منها عدم مساعدة الظروف السياسية و الاقتصادية المسيطرة على هذه البلاد.

المصادر :

١ . وثائق مكتبة ايران الوطنية حول البقيع التى توجد فى خزانة مكتبة الحجّ و الزيارة حوالى ٢٠٠ وثيقة منها.

٢ . الامين، محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات - لبنان - بيروت، الطبع: ١، ١٤٠٣ هـ.ق.

٣. البخارى، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، جمهورية مصر العربية، وزارة الاوقاف، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية، لجنة إحياء كتب السنة، مصر ، القاهرة ، الطبع: ٢، ١٤١٠ هـ.ق.

٤ . چارلزملويل، پيتر اوري، گاوين، هامبلي، تاريخ ايران كمبريج، المجلد السابع القسم الثالث، ترجمه تيمور قادري، الثانى، اميركبير تهران،١٣٩٣

٥ . الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة، الثانى، موسسه الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٧ ق

٦ . قاضى عسكر، السيد على، تخريب و بازسازي، مشعر، تهران، ايران، ٣، ١٣٨٦ هـ.ش.

٧. مجموعة المؤلفين، موسوعة الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ٢، ١٤٣١ هـ.ق.

٨. مجلة الحكومة الإسلامية، رقم ٢٤، «ولايت در انديشه فقهى سياسى نائينى» بقلم السيد جواد الورعى.

٩. المحقق، علي ، اسناد روابط ايران و عربستان سعودى، مركز اسنا د وتا ريخ ديپلما سي [وزارت امور خا رجه]. مركز الطبع ، ١٣٧٩.

١٠. محمد على، عبدالله، معجم المؤلفات الإسلامية في الرد على الفرقة الوهابية، مركز الزهراء الإسلامي، الاول، ١٤٣٠ هـ.ق.

١١. المدني، سيدجلال الدين، تاريخ معاصر ايران، الثالث، انتشارات جماعة المدرسين، قم، ١٣٦٩.

١٢. الواسعى يمانى، عبد الواسع بن يحيى، تاريخ اليمن، مطبعه السلفيه , القاهرة، الأول، ق ١٣٤٦

١٣. الوردي، علي، لمحات اجتماعيه من تاريخ العراق الحديث ملحق الجزء السادس، قصة الأشراف و ابن سعود الثانى، بغداد: المكتبه الوطنيه،١٩٨٠

١٤. الهاجري ، يوسف، البقيع قصة تدمير آل سعود للآثار الاسلاميه في الحجاز، الأول ، مؤسسه البقيع لاحياءالتراث، لبنان، ١٤١١ ق.

دور الهويّـة الحضارية للبقيع في التراث المشترك للمسلمين

د. محسن الألويري.[1]

ملخّص البحث :

يحتـاج العـالم الإسـلامي الآن إلى عوامـل بنـاء الهويـة أكثـر من أيّ وقت مضـى في حالتـه الحضاريـة الحاليـة. مثلـما هيـأت مسـيرة الأربعين الكـبرى قدرة اسـتثنائية و مذهلـة للهوية الإسـلامية ؛ إنّ الرؤية الجافة للسـعوديين سـببّت تجاهل الاتجاهات العامـة للمسـلمين، و اسـتنادهم عـلى معتقداتهـم فحسـب دفعتهم إلى تمييـز واضح بـين هـذا المبنى و المبـاني الدينية الأخـرى في المدينة المنـورة و أرض الحجـاز ، وتحويل مركـز الحركـة و العاطفـة هـذا إلى خـراب من حيـث المظهـر أفضل طريقـة لإحياء ذكـرى عظـماء الإسـلام في البقيـع هـي إعـادة إعمارهـا من جديـد ، و توفـير شروط ازدهـار زيارتهـا كأفضـل و أهـم مقـبرة عامة لـدى جميع المسـلمين بشـتّى اتجاهاتهم المذهبيـة و العقائديـة المختلفة.

***

١ . رئيس قسم التاريخ والحضارة ، جامعة باقر العلوم .

سؤال : أولاً ، ما هي مكانة التراث المشترك للمسلمين في البقيع؟

جـواب : المقابـر هي مكـوّن من مكوّنات البيئة البشـرية ، لاسـيما من منظـار التاريخ الاجتماعـي و التـي تلعـب دورًا مهـمًا للغايـة في تأصيـل هويـة قريـة أو مدينـة أو منطقـة تتجـاوز حـدود دولـة مّا.

لأنّ المقابـر هـي في الواقـع مـكان للتلاقي بـين الماضي و الحـاضر ، و تكـون المقابر من أهـمّ المكوّنات المادّيـة للذاكرة الجماعيـة للأفراد.

الأشـخاص الذيـن دفنـوا عـلى الأقل أحـد أحبّائهـم أو أقاربهـم أو غيرهـم ، في مقبرة يبحثـون عـن جـزء مـن ماضيهـم في تلـك المقـبرة ، وبطبيعـة الحـال ، كلـما ازداد أتبـاع الشـخصيات المدفونـة في تلـك المقابـر ، ازداد تبعا لذلـك تأثير المقبرة والـدور الذي تلعبه في تأصيـل الهوية.

عـلى سـبيل المثال ، مقـبرة وادي السـلام في النجـف ، و مقبرة تخت فـولاد في أصفهان ، و مقـبرة شـيخان في قـم ، هـي تـراث مشـترك بـين جميع الشـيعة بسـبب احتوائهـا عدد مـن أعاظـم الشـيعة و أكابرهـا. المعابد و الأماكـن المقدسـة و المقابر و الأضرحـة و البقاع المقدسـة تتمتّـع بنفس الميـزة و لهـا تأثير يتناسـب مع مدى شـعبيتها.

يبـدو أنّ بعـض المقابـر العامة ، مثل بهشـت زهـرا (جَنَّةُ الزهـراء) في طهـران ، لها دور أقـلّ مـن حيـث تأصيـل الهويـة مـن بعـض المقابـر الصغـيرة ، مثل مقـبرة شـيخان في قم المقدسـة ، عـلى الرغـم مـن سـعتها ، و ذلـك للتنـوع الفكـري و السـياسي و الاجتماعـي للمدفونـين هناك.

البُعـد الآخـر للمقابـر هـو انعـكاس الثقافـة و المعتقـدات و الاتجاهـات الثقافيـة و الاجتماعيـة للنـاس عـلى شـكل تزيـين القبـور و النقـوش عـلى صخـور القبـور و بنـاء المقـبرة، و مـا إلى ذلـك مـن مـوارد أخـرى ، و بعبارة أخـرى ، مثلما تلعـب المقابـر دورًا في منـح الهويّـة ، فـإنّ لديهـا أيضًـا القـدرة عـلى عـرض و إظهـار هويـة الأشـخاص.

و بسبب العلاقة بين الأجواء و الهوية، و لإحتواء المقابر جزء من التراث المشترك للمسلمين، أي أربعة من أبرز الشخصيات من عترة النبي صلى الله عليه وآله (وهم من أئمة الشيعة المعصومين عليهم السلام) و وجود بنات و زوجات و أصحاب النبي صلى الله عليه وآله و التابعين و العلماء و الكبار في مقبرة البقيع، تجعلها في مكانة عالية لدى مختلف المذاهب الإسلامية.

على الرغم من أنّ هذه المقبرة العامّة الإسلامية لا تعكس حاليًا قيم و معتقدات و فنون و مشاعر المسلمين بسبب هيمنة الرؤية السطحية و المتحجّرة للوهابية، إلا أنّها لا تزال تحتفظ بقدرة عالية جدًا على تأصيل الهويّة و الحضارة.

سؤال: ثانياً، ما هي الحاجة إلى حفظ وإحياء ذكرى عظماء الإسلام في البقيع؟

جواب: يحتاج العالم الإسلامي الآن إلى عوامل بناء الهوية أكثر من أي وقت مضى في حالته الحضارية الحالية. مثلما هيأت مسيرة الأربعين الكبرى قدرة استثنائية و مذهلة للهوية الإسلامية، فإنّ البقية أيضاً ستكون لها قدرة عالية جدًا في العالم الإسلامي إذا تمّ أخذها بعين الاعتبار من هذا المنظار و تمّ توفير شروط ازدهار زيارتها.

إنّ الرؤية المتشدّدة للسعوديين سبّبت تجاهل الاتجاهات العامة للمسلمين، و استنادهم على معتقداتهم فحسب دفعتهم إلى تمييز واضح بين هذا المبنى و المباني الدينية الأخرى في المدينة المنورة و أرض الحجاز، وتحويل مركز الحركة و العاطفة هذا إلى خراب من حيث المظهر، بينما إذا وصلوا إلى رشدهم و أعادوا بناء جَنَّةِ البقيع، فإنّ هذه القدرة الهائلة سيتمّ تحققّها في مؤتمر علمي تحت عنوان «العلوم الإسلامية الأخلاق و الفن في العالم الشيعي: دراسة حول المدينة المنورة»، و الذي عقد في أكتوبر ٢٠١٨م في كولونيا بألمانيا، قدمت ثلاث مقالات لعادل زيادة و آدم بوبيك و محمد زهير حسين من دول مختلفة، بيّنت دورها الملهم في عمارة مقابر البقاع الأخرى، و دورها الحالي في تأصيل الهوية و كيفية إعمارها من جديد.

فوفقاً لهذه المقالات فإنّ أفضل طريقة لإحياء ذكرى عظماء الإسلام في البقيع هي إعادة إعمارها منة جديد، و توفير شروط ازدهار زيارتها كأفضل و أهم مقبرة عامة لدى جميع المسلمين بشتّى اتجاهاتهم المذهبية و العقائدية المختلفة.

سؤال : ثالثاً، ما هي أضرار التطرّف الديني على الأضرحة المقدسة و التراث الإسلامي؟

جواب : قبل الإجابة على هذا السؤال، يجب التأكيد على أنّ إعمار البقيع من جديد يجب أن يصبح مطلبًا عامًا في العالم الإسلامي، و يجب تكرار هذا الطلب و اتباع المساعي العامّة و القانونية و السياسية. ليضطر الحكّام السعوديون في النهاية إلى قبوله. أو إن شاء الله عند رحيلهم، ستأخذ المسألة مجراها بشكل آخر.

و مع ذلك، يجب أخذ جانب الحذر أن لا يتجاوز هذا المطلب والسعي مصالح الأمّة الإسلامية، و لا يأخذ لون و رائحة الطائفية، و الانتماء الديني.

إنّ الاعتقاد الذي نؤمن به نحن الشيعة بعصمة الأئمة عليهم السلام و استمرار رسالة الرسول صلى الله عليه وآله في إمامتهم لا يجب أن ينسينا النقطة المهمة في أنّ أهل البيت عليهم السلام محبوبّون و محبوبون من قِبَل جميع المسلمين. إنّ السلوك القاسي لبعض المدعين في الدفاع عن أهل البيت عليهم السلام يجعل من الصعب إظهار عظمة و جمال مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

إنّ التطرّف الديني من جانب أيّ شخص يؤدي إلى إضعاف أو حتى تعطيل التماسك الاجتماعي في المجال الاجتماعي، و لا أعتقد أنه من غير المحتمل أن يشكك أي شخص في هذه الممارسة بناءً على التعاليم الإسلامية. و قد أظهرت التجربة التاريخية بعد انتصار الثورة أنّ بعض هؤلاء المطالبين بالدفاع عن أمير المؤمنين عليه السلام يضربون باستمرار طبول الخلاف مما يجعل عملية التماسك على مستوى الأمة الإسلامية صعبة للغاية. و لكن بمجرد انتهاء المحادثات و المعاملات الجيدة و الظروف المناسبة لتبيين

مدرسة أهل البيت عليهم السلام و الدفاع عنها في كلّ زاوية من زوايا العالم ، يقوم أولئك و باستعلاء إلى استثمار الظروف أكثر من الذين هيّؤها و يستمرون مع الأسف في اختلاق الاعذار.

و نأمل أن نشهد في أقرب وقت ممكن إعادة إعمار البقيع ، و التحرّك المكثّف لقوافل الحجّ إلى هذه المقبرة العامّة التي تحظى باهتمام و تقدير المسلمين.

***

الآثار السلبية لهدم البقيع على الوحدة الإسلامية

د. نور الدين أبولحية

الحملات الوهّابية على البقيع :

الحملة الأولى : (١٢٢٠هـ ـ ١٨٠٥م) دخل الوهابيّون المدينة المنورة بعد حصار طال سنة و نصف.

وثائق :

١ . يروي صاحب لمع الشهاب ، فيقول: (فلمّا قرب إلى المدينة أرسل ـ أي سعود بن عبد العزيز ـ إلى أهلها بدخوله ، فأبوا ، و امتنعوا من ذلك ، فحمل عليهم مراراً حتى دخلها ، فقتل منها بعض أهلها حيث سمّى أهلها بالناكثين... ثمّ إنه رتّب في المدينة أحداً من آل سعود ، و خرج إلى البقيع يريد نجداً ، فأمر بتهديم كلّ قبّة كانت في البقيع ، و تلك القبب قبّة الحسن بن علي عليه السلام ، و قبة علي بن الحسين عليه السلام ، و قبّة محمد الباقر عليه السلام ، و قبّة جعفر الصادق عليه السلام ، و قبّة عثمان.[١]

---

١ . الرّيكي ، حسن بن جمال ، لمع الشهاب في سيرة محمّد بن عبد الوهّاب ، الرياض ، دائرة الملك عبد العزيز ، ١٤٢٦هـ ، : ١٨٧ .

٢. مرّ الرحّالة (بورخارت) بالمدينة المنورة في أواخر القرن التاسع عشر و ذلك بعد تهديم الوهابيين للبقيع، فوصفها وصفاً مؤثراً جاء فيه: و لعلّه (أي البقيع) أشد المقابر قذارة و حقارة بالقياس إلى مثله في أية مدينة شرقية في حجم المدينة، فليس به متر واحد حسن البناء، كلاّ؛ بل ليست به أحجار كبيرة عليها كتابة اتُّخذت غطاء للقبور، إنّما هي أكوام من تراب أحيطت بأحجار غير ثابتة.[١]

إخراج آل سعود من المدينة المنورة:

بقيت الأمور في البقيع على حالها إلى أن سقطت دولة آل سعود على يد دولة العثمانيين، فقد عمّ الغضب الإسلامي سائر البلاد الإسلامية، و ارتفعت وتيرة المطالبات الشعبية بتحرير الأماكن المقدسة من القيود السعودية، و إعادة الهيبة و الاحترام إليها، كما كانت فيه على الدوام. و قد شجعت هذه الأجواء الدولةَ العثمانية على التفكير في استردادها، و لذلك فقد طلبت من واليها على مصر محمد علي باشا البدء في الاستعداد لاستعادة السيطرة على الحجاز في عام ١٢٢٢هـ. ١٨٠٧م.[٢]

الحملة الثانية: في ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٥م

بعد ما أن استولى آل سعود على مكّة المكرّمة و المدينة المنوّرة و ضواحيهما عام ١٣٤٤هـ، و خوفاً من غضب المسلمين في الحجاز، و في عامّة البلاد الإسلامية، و تبريراً لعملهم الإجرامي المُضمر في بواطنهم الفاسدة استفتوا علماء المدينة المنوّرة حول حُرمة البناء على القبور.

فكتبوا استفتاءً ذهب به قاضي قضاة الوهابيين مستفتياً علماء المدينة، فاجتمع مع العلماء أوّلاً و تباحث معهم، و تحت التهديد و الترهيب وقع العلماء على جواب نُوّه

١. معصوم بن رحمتعلي، تحفة الحرمين و سعادة الدارين، : ٢٥٣ ـ ٢٥٤.
٢. الدولة السعودية الأولى : ٣٠٦.

عنـه في الاسـتفتاء بحُرمـة البناء عـلى القبـور ، تأييداً لـرأي الجماعة التي كتبت الاسـتفتاء.

و اسـتناداً لهـذا الجـواب اعتـبرت الحكومة السـعودية ذلك مـبرّراً مشروعاً لهـدم قبور الصحابـة و التابعين.

مـع العلـم أنّـه إذا كان هدم القبـور واجباً شرعيـاً ، فلما ذا هدمت بعضهـا دون بعضها الآخـر؟ إذ صـبّ الوهابيـة جـام غضبهـم عـلى آثـار مراقـد و بيـوت أهـل البيـت عليهم السلام و صحابـة الرسـول صلى الله عليه وآله، و عـلى كلّ أثـر يـدّل عـلى رمزية الإسـلام.

بينما بقيت الآثار الأخرى ، منها :

مدائن صالح.

آثار اليهود في خيبر ، يحافظون عليها.

آثار بني سعود في نجد.

و أمّا الآثار السلبية :

الأثر الأول: تقسـيم المسـلمين إلى موحّدين و مشركين ، و إشـاعة الصـراع بينهـم ، تمّ ذلـك في مرحلتين:

المرحلة الأولى: إخراج الصوفية من الإسلام.

المرحلة الثانية: إخراج الشيعة من الإسلام.

الأثـر الثـاني: خـرق اتحـاد المسـلمين حـول حرمـة المدفونـين في البقيـع من الأئمـة عليهم السلام

مـع أنهـم محـل اتفاق بـين المسـلمين جميعـاً... و ما تبـع ذلك مـن غفلة الأمة عـن كبار الأئمة المدفونـين في البقيع:

١ـ قبر الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب سيد شباب أهل الجنة عليه السلام.

٢ـ قبر الإمام علي بن الحسين زين العابدين و سيد الساجدين عليه السلام.

٣ـ قبر الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام.

٤ـ قبر الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

بالإضافة إلى:

قبر إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله.

قبر سيدتنا و مولاتنا فاطمة الزهراء بنت الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله سيدة نساء العالمين، [على قول].

الأثر الثالث: خرق اتحاد المسلمين حول حرمة المدفونين من الصحابة و التابعين.

و إيهام المسلمين أنّ الشيعة لهم موقف سلبي من جميع الصحابة و التابعين.

روى مسلم في الصحيح عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله كلما كانت ليلتي منه يخرج من أخر الليل إلى البقيع فيقول: «سلامٌ عليكم دار قومٍ مؤمنين، واتاكم ماتوعدون، وانّا أن شاء الله بكم لاحقون، اللهم أغفر لاهل بقيع الغرقد.

كل الصحابة الذين ماتوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مثل: أول من دفن فيه من المسلمين أسعد بن زرارة الأنصاري.. الصحابي الجليل عثمان بن مظعون.

قبر فاطمة بنت أسد زوجة أبي طالب وأم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

قبر العباس بن عبد المطلب عمّ الرسول صلى الله عليه وآله.

قبور أُمهات المؤمنين زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله.

قبر حليمة السعدية رضوان الله تعالى عليها مرضعة رسول الله صلى الله عليه وآله.

قبر أم البنين، فاطمة الكلابية زوجة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأمّ أبي الفضل العباس عليه السلام.

قلنا إنّ المرحلة الأولى: تقسيم المسلمين إلى موحدين و مشركين، و فيها كان التركيز على الصوفية، و اعتبار الوهابية نفسها هي من يمثل التوحيد أما سائر الأمة من صوفية و مالكية و شافعية و غيرهم مشركين!

و أما المرحلة الثانية: التغاضي عن سائر المذاهب و التركيز على الشيعة و اعتبارهم وحدهم بأنهم هم الذين يعظّم القبور.

***

التطوّر و التحول في بناء و إعمار البقيع وفق التقارير التاريخية

د. عمّار أبو طالبی.[1]

ملخّص البحث :

تعدّ الدراسة التاريخية للبناء في البقيع و تطور هذا البناء من أهمّ القضايا المتعلقة بالبقيع.

تسعى هذه المقالة إلى تقديم صورة واضحة لهذا الجانب الحضاري من البقيع من خلال دراسة الأوصاف التي قدمت حول البقيع في المصادر التاريخية و مذكرات السفر. يمكن دراسة البناء في البقيع من المنظورين الكمّي و النوعي ؛ و قد قمنا نحن بالتطرق إلى القسم التطوّر الكمّي لهذا البناء. و قد حدث التطوّر الكمّي للبقيع في عدّة مراحل بحيث تغيرت المباني في البقيع من بنايات سكنية إلى مراقد و أضرحة.

و ازدادت قباب البقيع من ثلاثة في القرن السادس إلى أربعة عشر قبة في القرن الحادي عشر.

---

١. دكتوراه في دراسات الشيعة.

تظهر الدراسات التاريخية أنّ مسجد فاطمة عليها السلام (بيت الأحزان) كان المبنى الوحيد في البقيع الذي بقي مشيداً من القرن الثالث للهجرة و لغاية القرن الرابع عشر بشكل مستمر تقريباً.

الكلمات المفتاحية:

البقيع ، المراقد و المزارات ، قباب البقيع ، بيت الأحزان.

***

في القرن الأول والثاني: إلى جانب تطور البناء في البقيع، إهتم المسلمون بدفن موتاهم في البقيع.

في القرن الثالث: ما زال بعض الأشخاص يقيمون في البقيع و كان مسجد فاطمة عليها السلام أهمّ مبنى عام في البقيع آنذاك و كما اعتقد ابن شبّه ذلك.

في القرن الرابع: لم يقم في البقيع أحد و المبنى الوحيد القائم آنذاك كان مسجد فاطمة عليها السلام حتى **القرن الخامس:** بنيت أوّل المقابر آنذاك.

القرن السادس: ابن مازة في عام ٥٥٢ هـ. ق. أكّد وجود ثلاث قبب في البقيع حتى ٢٨ عاماً بعد أن أكّد أبن جبير وجود قبّة رابعة باسم (قبة مالك). يذكر ابن مازة مكاناً يدعى: (مسجد فاطمة عليها السلام) و أمّا ابن جبير فأسماه بـ: (بيت الحزن)؛ و أمّا هروي فذكره باسم: (بيت الأحزان) و شخصه كمكان دفن فاطمة الزهراء عليها السلام. و ذكرت ملاحظة مهمّة في تقارير هذا القرن بأنّ منزل أمير المؤمنين عليه السلام كان يقع في البقيع.

القرن السابع: في هذا القرن ذكرت قبّة عقيل و فاطمة بنت أسد عليها السلام لأوّل مرّة إلّا أنّه لم يرد في أي مصدر من مصادر هذا القرن عن مسجد فاطمة عليها السلام أو بيت الأحزان.

القـرن الثامـن: يعتـبر كلّ مـن الروضـة الفردوسـية ، و التعريـف ، و تحقيق النصـرة، و بهجـة النفـوس و المغانـم ضمـن أهـمّ المصـادر التاريخيـة. عـلى الرغـم مـن أنّ الروضة اقتبـس بعـض موادّه مـن إتحـاف الزائر و لكنّـه يتضمن إضافـات جديرة بالاعتبـار. و أمّا التعريـف فقـد تأثـر إلى حـدٍّ مّا من الـدّرّة الثمينـة. تحقيق النـصرة و بهجة النفـوس إضافة إلى اعتمادهمـا الكبـير على التعريـف فأنّهما كذلك جسـداً رؤية مـن الدّرّة الثمينـة. الروضة ذكـر مكانـاً بعنـوان مدفن زوجـات النبـي صلى الله عليه وآله (و قد ذكر المطـري و لأول مـرّة عن وجود حائـط حجـري ذو ارتفـاع منخفض حـول المزار.

كـما أبلـغ همـم و لأول مـرّة عن بنـاء مبني فـوق قـبر صفيّة. عـلى الرغم مـن ذكر بيت الحـزن في المغانـم إلّا أنّ الأمـر مـن الناحيـة العملية خاطئ. في هـذا القرن كذلـك لم يذكر أحـد عن مسـجد البقيع.

القـرن التاسـع: وصـل الخوارزمـي في بدايـة هـذا القـرن ، و طابق مـع ما تـمّ ذكره في التعريـف و ممّـا يعنـي إمّـا في ظرف هـذا الزمان لم يحصـل أيّ تغيـير في البقيـع أو أنّ محتواه قـد نقل مطابقـاً لمـا ذكر مـن المطري.

النقطـة الجديـدة الوحيـدة التـي أضافهـا الخوارزمـي كانـت تعريـف مـزار الصديقـة الطاهـرة في قبّـة أهـل البيـت عليهم السلام و إعـلام مدفن فاطمة بنت أسـد عليها السلام و سـتّ أشـخاص مـن الصحابة بجانـب قبر إبراهيـم. مقارنة محتوى السـخاوي و السـمهودي يوضح وفاء الوفـاء متأخر عـن التحفة. و يعـدّ السـمهودي من أهمّ شـخصيات هذا القـرن و القرون اللاحقـة حيـث إنّ كتابـه يعـدّ مرجعـاً و مسـتنداً للكتـب اللاحقـة بعـده. و هـو في هـذا الكتـاب اسـتفاد مـن المطـري ، و المراعـي، و الفيروزآبـادي ، و لكنّـه في الوقت ذاتـه يعدّ كتابـه مملـوءاً بالمحتوى الجديـد: النفي الصريح للقبّة المنسـوبة إلى فاطمة بنت أسـد عليها السلام في آخـر البقيـع ، و هـو وصـف تحديـد الموقع الجغـرافي لبيـت الأحـزان بعد أربـع قرون.

و هـذا الـكلام إيضاح نظريـة جديدة حـول صاحب القبّـة بجانب مالـك ، و تعريف

قبّة الأزواج لأول مرّة، و الإشارة إلى قبّة خربة منسوبة إلى أولاد النبي صلى الله عليه وآله لأول مرّة و التشكيك في صحّة انتسابها، و نقل وجود أربع أبنية في شرق و غرب بقعة أهل البيت عليهم السلام، و التعريف عن وجود بناء في شمال غرب بقعة عثمان، و وصف بيت أمير المؤمنين عليه السلام في البقيع بعد حدود ثلاثة قرون.

القرن العاشر: أبن حجر شكّك في صحّة انتساب قبّة فاطمة بنت أسد و عقيل و الأولى نسبت إلى سعد بن معاذ، و الثانية إلى أبي سفيان الحارث. و أيضاً الفرق الوحيد بين ديار بكري مع الأنصاري، هو تعريف بيت الأحزان و غير ذلك، فهما متشابهان في باقي الموارد المذكورة.

و بالمجموع في هذه الحقبة لم تورد أيّة محتويات جديرة بالاهتمام بالمقارنة مع القرن السابق.

القرن الحادي عشر: في هذا القرن لم يذكر أيّ أحد بيت الأحزان. و وصف سيّد كبريت للبقيع مثل وصف ديار البكري مع الاختلاف في أنّه كان أوّل شخص يذكر مسجد أبي بن كعب. نقل العباسي شبه وصف السمهودي مع الاختلاف في أنّه لم يذكر بيت أمير المؤمنين عليه السلام و قد عرف و لأوّل مرّة مكاناً يدعى بمقبرة أبي سعيد الخدري. و نقلُ الفرشي يتبنى على ثلاث ابتكارات جديدة: ذكر قبّة صفيّة، و بيّن مكاناً يدعى بقبر حليمة (على الرغم من الترديد في صحّة ذلك)، و تبيين مكان عنوانه: مزار شهداء أحد.

و بعد السمهودي (أواخر القرن التاسع) كان الفرشي أوّل شخص ذكر قبّة الأزواج مجدداً. و جدير بالذكر أنّه أشار إلى مسجد أبي بن كعب. في حال أنّ قول القيسي ليس بجديد، و أمّا العياشي فقوله مشابه لقول السمهودي مع الاختلاف في أنّه ذكر مسجد أبي بن كعب بدلاً من منزل أمير المؤمنين عليه السلام و أيضاً ذكر مقبرة حليمة السعدية.

القرن الثاني عشر: وصف البقيع في هذا القرن مشابه للقرن الحادي عشر، و لعّل

تشكيك ابن طيب الفاسي في صحّة انتساب بعض البُقَع لأصحابها و أيضاً نظر ورثيلاني بالنسبة إلى ترتيب قبور أهل البيت عليهم السلام هو الفرق الوحيد لهذا القرن عمّا سبق .

القرن الثالث عشر و الرابع عشر: عدد بُقَع البقيع في هذين القرنين لم يتغير. من القرن الأول إلى القرن الرابع ، و بعض الأشخاص كانوا يسكنون البقيع و يدفنون الأموات و يبنون المباني في ذلك الزمان. بالطبع يبدو أنّ من أواسط القرن الثاني وما بعده كان يتمّ فصل محلّ دفن الأموات عن المناطق السكنية. في مدّة القرن الثالث إلى الخامس ، البناية الوحيدة التي تمّ ذكرها هي بقعة مسجد فاطمة عليها السلام.

و بالنتيجة ، البناء و الإعمار في البقيع على مرّ تاريخ الإسلام كان يتألف من خمس مراحل.

ـ في المرحلة الأولى كان البنايات المسكونة تبدل إلى بنايات خاصة لتكريم و تعظيم المدفونين (من بيتهم إلى البقعة).

ـ في المرحلة الثانية تمّ تطوير و توسعة الآثار بشكل كمّي.

ـ في المرحلة الثالثة تمّ توسعة البنى التحتية لعديد من البنايات.

ـ في المرحلة الرابعة كان المسلمون يهتمّون على المحافظة على البنايات حيث تمّ على مرّ التاريخ إعمار و إعادة ترميم البنايات في البقيع عدّة مرّات.

ـ المرحلة الخامسة أيضاً كانت تجميل و تزيين عدّة بقعة من بُقَع البقيع.

و أمّا القبب و المنارات التي بنيت على مرّ الزمن تقسم إلى ثلاث فئات:

الأولى: إنّ انتساب القبر إلى صاحبه أمر قطعي لا شك فيه.

الثاني: القبب التي يشكّك في أصحاب قبورها.

الثالثة: القبب التي لم يذكر التاريخ أصحاب قبورها و تمّ العثور عليها في القرون

المتأخرة.

الرحّالة و المؤرخون قد كتبوا حول المدينة المنورة، و لم يكتبوا القبب و الأضرحة و بعض بناء البقيع و الحال أنّ القرائن و الشواهد تحكي وجود هذه الأبنية فيها؛ فننشرها على مرّ القرون:

عدد الأبنية و القبب في البقيع على مرّ القرون :

القرن:	٣ـ٤	٥	٦	٧	٨	٩ـ١٠	١١ـ١٢	١٣
القبب:	٠	٣	٥	٧	٧	١٠	١٣	١٤
الأبنية:	١	١	٢	٠	٣	٣	٢	١
المجموع:	١	٤	٧	٧	١٠	١٣	١٥	١٥

و المسلمون قد اهتمّوا ببناء القبب في البقيع (كما نرى في الجدول) اهتماماً خاصاً في القرن الخامس، و قد أضيف العدد من ثلاثة إلى أربعة عشر عدداً في القرن الثالث عشر.

و لقد بقي البناء الوحيد في البقيع و هو مسجد فاطمة عليها السلام أو بيت الحزن.

***

جدول توسعة البناء والقبب في البقيع على مرّ القرون

	القرون : ١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤
شهداء هَرّة													■	
شهداء أُحد											■			
أبو سعيد الخدري											■	■	■	■
قبّة على قبر العلوية											■	■	■	■
قبّة على قبر أزواج النبي									■		■	■	■	■
قبّة على قبر نافع									■	■	■	■	■	■
قبّة على قبر صفية								■	■	■	■	■	■	■
مسجد أبيّ بن كعب								■	■		■	■	■	■
قبّة على قبر فاطمة أمّ علي							■	■	■	■	■	■	■	■
قبّة على قبر عقيل							■	■	■	■	■	■	■	■
أولاد النبي						■	■	■	■		■	■	■	■
قبّة على قبر مالك						■	■	■	■	■	■	■	■	■
قبّة على قبر إسماعيل						■		■	■	■	■	■	■	■
قبّة على قبر عثمان					■	■	■	■	■	■	■	■	■	■
قبّة على قبر إبراهيم					■	■	■	■	■	■	■	■	■	■
قبّة على قبور الأئمة عليهم السلام					■	■	■	■	■	■	■	■	■	■
مسجد فاطمة عليها السلام			■	■	■	■		■	■	■	■	■	■	■
بيت أمير المؤمنين عليه السلام	■	■				■			■					
المنازل	■	■	■											
الأبنية :	كثير	كثير	١	١	١	٣	٠	٣	٣	٣	٣	٣	١	١
القبب :	٠	٠	٠	٠	٣	٥	٧	٧	١٠	١٠	١٣	١٣	١٤	١٤

المنابع :

١. آقشهري، محمد بن أحمد بن أمين، ٢٠١٠، الروضة الفردوسية و الحضرة القدسية، تحقيق قاسم السامرائي، لندن ـ انگليس، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.

٢. ابن بطوطه، محمد بن عبد الله، ١٤١٧، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، صححه عبدالهادي التازي، الرباط ـ المغرب، اكاديمية المملكة المغربية.

٣. ابن جبير، محمد بن احمد، ٢٠٠٨، تذكرة بالأخبار عن اتقافات الأسفار، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ـ دار السويدي.

٤. ابن حائك، حسن بن احمد، ١٤٢٥، الإكليل من أخبار اليمن و أنساب حمير، تحقيق محمد بن علي اكوع حوالي، صنعا، وزارة الثقافة و السياحة.

٥. ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي، ١٤١٥، الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت، دار الكتب العلميه.

٦. ابن زبالة، محمد بن الحسن، أخبار المدينة، تحقيق صلاح عبدالعزيز زين السلامة، المدينة المنورة.

٧. ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية.

٨. ابن شبه النميري، عمر، تاريخ المدينة المنورة، صححه فهيم محمد شلتوت، قم، دار الفكر.

٩. ابن عساكر، علي بن حسن، ١٤١٥، تاريخ مدينة دمشق. بيروت، دار الفكر.

١٠. ابن عساكر الدمشقي، عبد الصمد بن عبد الوهاب، بي تا ، إتحاف الزائر و إطراف المقيم للسائر في زيارة النبي ﷺ ، تحقيق حسين محمد شكري، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.

١١. ابـن مـازة، محمد بـن عمر، لطائف الاذكار، تصحيح رسـول جعفريـان، تهران، نشر علم.

١٢. ابـن نجـار، محمـد بـن محمود بـن الحسـن، ٢٠٠٦، الـدرة الثمينـة في اخبـار المدينة، تصحيـح صـلاح الديـن بـن عباس شـكر، مركـز بحـوث و دراسـات المدينـه المنوره.

١٣. ابو العبـاس الحسـني، احمـد بـن ابراهيم، بي تـا، المصابيح في السـيرة، تحقيـق عبد الله بن عبـدالله الحوثـي، يمن.

١٤. ابوطالبـي، عـمار، ١٣٩٨، واكاوى جايـگاه فرهنگـى و تمدنـى بقيـع، رسـالة دكترا، دانشـگاه اديـان و مذاهب.

١٥. الاسـكندري، نـصر بـن عبـد الرحمـن، بي تـا، الأمكنـة و الميـاه و الجبـال و الآثـار و نحوهـا المذكـورة في الأخبـار و الآثـار، ريـاض، مركـز الملـك فيصـل للبحـوث و الدراسـات الإسـلاميه.

١٦. افندي باشـا، الشـيخ عبـدالله، ٢٠٠٨، الفتوحـات الكوازيـة الي الاراضي الحجازية، بـيروت، الدار العربية للموسـوعات.

١٧. الجـاسر، حمـد، ١٣٩٣، «وصـف مكـة و وصـف المدينـة المطيبـة و وصـف بيـت المقـدس»، مجلـة العـرب، شـماره ٥ و ٦. و ٨

١٨. العيـاشي، إبراهيـم بـن عـلي، المدينـة بين المـاضي و الحـاضر، المدينـة المنـورة، المكتبة العلمية.

١٩. انصـاري الجزيـري، عبدالقـادر بـن محمـد، ١٣٨٤، الـدرر الفرائد المنظمـة في أخبار الحـاج و طريق مكـة المعظمة، القاهـرة، المطبعة السـلفية.

٢٠. انصـاري، حسـن، «ابـن نجـار، ابو عبـدالله»، در: دانشـنامه بزرگ اسـلامى (ج ٥، ص١٨٥٤). تهـران، مركـز دائـرة المعـارف بزرگ اسـلامى.

٢١. ايوب صبري پاشا، مرآت الحرمين، قسطنطنيه، بحرية.
٢٢. برتون، ريچارد ف، بي تا، رحلة بيرتون الي مصر و الحجاز، تحقيق عبدالرحمن عبدالله الشيخ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٣. بلوي، خالد بن عيسي، بي تا، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق حسن السائح، محقق، مغرب، صندوق احياء التراث الاسلامي.
٢٤. بوركهارت، جون لوئيس، ٢٠٠٧، ترحال في الجزيرة العربية، ترجمه صبري محمد حسن و عرب محمد صابر، القاهرة، المركز القومي للترجمه.
٢٥. بيهقي، احمد بن حسين بن علي، السنن الكبرى، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية.
٢٦. تقوي قزويني، سيدمحمد، سفرنامه عتبات هند و حج، تصحيح محمدعلي باقرزاده، تهران، مشعر.
٢٧. حسكاني، عبيدالله بن عبدالله. بي تا، شواهد التنزيل لقواعد التفضي، تهران، وزارة الثقافة و الإرشاد الإسلامي، مؤسسة الطبع و النشر.
٢٨. حسيني مدني، محمد كبريت، ١٤١٧، الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، بيروت، دار الكتب العلمية.
٢٩. حضيكي، احمد بن محمد، ١٤٣٢، الرحلة الحجازية، تحقيق عبدالعالي المدبر، الرباط، مركز الدراسات و الابحاث و إحياءالتراث الرابطة المحمدية للعلماء.
٣٠. خامه يار، احمد، بررسی و مقايسه دو متن كهن متعلق به مغرب اسلامی در توصيف حرمين.
٣١. خوارزمي، محمد بن اسحاق، بي تا، إثارة الترغيب و التشويق إلى المساجد الثلاثة و البيت العتيق، مكه مكرمه ـ عربستان، مكتبة نزار مصطفى الباز.

٣٢. دياربكري، حسين بن محمد، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، بيروت، دار صادر.

٣٣. سخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن، ٢٠٠٩، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، المدينة المنورة، مركز بحوث و دراسات المدينة المنورة.

٣٤. السمهودي، نورالدين علي بن عبدالله، ٢٠٠١، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفي، تحقيق قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.

٣٥. شرقي الفاسي، ابي عبدالله محمد بن الطيب، ٢٠١٤، الرحلة الحجازية، تحقيق نورالدين شوبد، محقق، ابوظبي، دار السويدي للنشر و التوزيع.

٣٦. صادق پاشا، محمد، مشعل المحمل، تحقيق محمد همام فكري، بيروت، بدر للنشر و التوزيع.

٣٧. العباسي، أحمد بن عبدالحميد، عمدة الاخبار في مدينة المختار، صححه محمد طيب الانصاري، المدينة المنورة، أسعد درابزوني الحسيني.

٣٨. عبدالجليل قزويني، عبدالجليل بن ابو الحسين، ١٣٥٨، نقض معروف به بعض مثالب النواصب في نقض (بعض فضايح الروافض)، تهران، انجمن آثار ملى.

٣٩. العبدري، محمد بن محمد، ١٤١٩، رحلة العبدري، تحقيق علي ابراهيم كردي، دمشق، دار سعد الدين للطباعة و النشر.

٤٠. علی حسين بن خيرات علی، ١٣٨٩، منازل قمريه در سوانح سفريه، تهران، نشر علم.

٤١. عياشي، عبدالله بن محمد، الرحلة العياشية، صححه سعيد الفاضلي، أبوظبي، دار السويدي للنشر و التوزيع.

٤٢. غزالي، ابو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، بيروت، دار الكتاب العربي.

٤٣. الفرشي، ١٣٩٥، ذراع مدينه. قم، نشر مؤرخ.
٤٤. الفيروزآبادي، مجدالدين محمد بن يعقوب، ٢٠٠٢، المغانم المطابة في معالم طابة، مركز بحوث و دراسات المدينة المنورة.
٤٥. قشقايى، ايـاز خـان، ١٣٨٨، سـفرنامه حـج، تصحيـح پرويـز شـاكرى، تهـران، كتابخانـه مـوزه و مركـز اسـناد مجلـس شـوراى اسـلامي.
٤٦. القيسي، ابي عبدالله محمد بن احمد، ١٩٦٨، أنس الساري و السارب من أقطار المغارب الى منتهى الآمال و المآرب سيد الأعاجم و الأعارب، صححه محمد الفاسي، فاس.
٤٧. الكاتب، عماد الدين، ١٤٢٥، تاريخ دولة آل سلجوق، تحقيق يحيي مراد، بيروت، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون.
٤٨. كرناتكي، حافظ محمد عبدالحسين، ١٣٨٩، تذكرة الطريق، صححه رسول جعفريان، تهران، نشر علم.
٤٩. كعكي، عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن ابراهيم، ٢٠١٢، معالم المدينة المنورة بين العمارة و التاريخ الجزء الخامس، المدينة المنورة، شركة سروات للطباعة و النشر.
٥٠. كعكي، عبدالعزيز بن عبدالرحمن، معالم المدينة المنورة بين العمارة و التاريخ الجزء الثالث، تاريخ و عمارة الحصون و الآطام، بيروت، دار و مكتبة الهلال.
٥١. المحلى، حميد بن أحمد، الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية، صححه مرتضى بن زيد محطوري، صنعا ـ يمن، مكتبة بدر.
٥٢. المراغي، زين الدين أبي بكر بن الحسين، تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق ابو يعقوب نشأت كمال، فيوم ـ مصر، دار الفلاح للبحث العلمي و تحقيق التراث.

٥٣. المرجاني، عبدالله بن عبدالملك، بهجة النفوس و الأسرار في تاريخ دارالهجرة النبي المختار، تحقيق: محمد عبدالوهاب فضل، بيروت، دار الغرب الاسلامي.

٥٤. المستوفي، حمد الله بن أبي بكر، تاريخ گزيده، تحقيق عبدالحسين نوايى، تهران، مؤسسه انتشارات أمير كبير.

٥٥. المطري، جمال الدين محمد بن احمد، التعريف بما انست الهجرة من معالم دار الهجرة، سليمان الرحيلي، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز.

٥٦. مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري أبوعبدالله، علاء الدين، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: أبو عبدالرحمن عادل بن محمد، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

٥٧. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، قم، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.

٥٨. مكناسي، محمد بن عبدالوهاب، رحلة المكناسي، صححه محمد بوكبوط، أبوظبي، دار السويدي للنشر و التوزيع.

٥٩. النابلسي، عبدالغني، الحقيقة و المجاز في رحلة بلاد الشام و مصر و الحجاز، صححه رياض عبدالحميد مراد، دار المعرفة.

٦٠. النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي، قم، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسسة النشر الإسلامي.

٦١. ورثيلاني، حسين بن محمد، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.

٦٢. هروي، علي بن أبو بكر، الإشارات إلى معرفة الزيارات، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.

٦٣. الهيتمي، أحمد بن حجر، الجوهر المنظم في زيارة قبر الشريف النبوي المكرم، بيروت، دار الحاوي.

***

نظرة على آراء إبراهيم بن فرحون في باب الزيارة والتبرّك

د. مجتبى الحيدري.[1]

ملخّص البحث :

من القضايا المهمة الخاصة بمقبرة البقيع ، هو استحباب أوعدم استحباب زيارة المقبرة من قِبل المسلمين.

بعد اثبات استحباب زيارة مقبرة البقيع ، يتمّ التطرق إلى كيفية الزيارة ، و في هذا الصدد فإنّ بحث هذه القضية من وجهة نظر علماء السنة هي مسألة قابلة للإهتمام.

إنّ إلقاء نظرة على كتب علماء أهل السنة في هذه الصدد يوضح أنهم و بالتأسي برسول الله صلى الله عليه وآله قد أفتوا باستحباب هذه الزيارة.

في هذا الإطار أشار برهان الدين بن فرحون و هو من علماء المذهب المالكي في قرن الثامن من الهجرة في كتابه: «إرشاد السالك إلى أفعال المناسك» إلى زيارة

---

١. دكتوراه في علم النفس .

مقـبرة البقيع بالتفصيل و أشـار إلى وجود أدعيـة الزيارة للعظماء الذيـن دفنوا في هذه المقـبرة منهـم فاطمة الزهراء عليها السلام (حسـب ما قيل إنهـا مدفونة هناك)، و أئمة الشـيعة الأربعـة عليهم السلام و إبراهيـم بـن رسـول الله ، و عظـماء آخريـن ؛ كـما و تمّ دراسـة وجهة نظـر باقـي علـماء أهل السـنة و خاصة ابـن فرحون في هـذه المقالة.

الكلمات المفتاحية:

زيارة البقيع ، أهل السنة و البقيع ، ابن فرحون ، زيارة البقيع.

***

لعـلّ عـلي بن فرحـون من أكثـر علماء أهل السـنة الذيـن تطرقـوا لقضية زيـارة البقيع وحـول كيفية الزيـارة بالتفصيل لجميع الأضرحة فيها. وسـنتطرق للبحث في هذا الشـأن أدنـاه. يطلـق لقـب ابن فرحـون على أفـراد عائلـة من الفقهـاء وعلـماء المالكية السـاكنين في المدينـة. حيـث يرجـع نسـبهم إلـى بنـي يعمـر ـ مـن قبائـل كنانـة ـ، و يسـمون أيضـاً باليعمـري. كـما يبدو أنّ اصول هـذه العائله تعود إلـى أطراف جيـان في الأندلس فانتقلوا إلـى تونس ومـن ثَمّ إلـى المدينـة المنورة.

يعتـبر برهـان الديـن بـن فرحـون أحـد أشـهر أفـراد هـذه الأسرة، أبوالوفـا إبراهيـم بـن عـلى بـن محمد، الملقـب بـبرهـان الديـن (٧٩٩ قـ. هــ(، القاضي والفقيـه وصاحب الطبقـات المالكـي من علـماء القرن الثامـن. ولد فى المدينـه بعد سـنة ٧٣٠ للهجرة ببضع سـنين و تتلمـذ علـى يـد كبـار الشـيوخ كجـمال الديـن محمـد بـن أحمـد المطـري ، و ابـن عبـدالله وادي آشي ، و عمّـه عبـدالله ؛ و يعتبر محـبّ الدين الطبري و أبـو الفتح المراغي من تلاميـذه. سـافر إلـى مصر والشـام عـدة مرات. مـن أهـم مراحـل حياته تعيينـه كقاضي للمدينـه في سـنة٧٩٣ هجرية.

كان الفقـه المالكـي آنـذاك معرضـاً للتضييـق بشـكل كبير مما قلـص من أتباعـه. لكنه

سعى كثيراً لتقوية هذا المذهب حينما كان يشغل منصب القضاء.

تُعدّ دراسة أحوال علماء المسلمين وآرائهم في المجالات المختلفة من أبرز الأعمال التي لها تأثير كبير في توسّع الثقافة الإسلامية ومعرفة تعاليم الإسلام، وهذا الأمر لا يقتصر على فئة أو فرقة مُعيّنة من العلماء في مقابل علماء سائر الفِرق الأخرى، فقد بذل كلّ عالم من علماء المسلمين من أيّ فرقة أو مذهب جهوداً عظيمة ومساعي كبيرة من أجل نشر وترويج الثقافة والحضارة الإسلاميّتيْن وتبليغ المعارف الإسلامية. ومن هنا تتّضح لنا أهمية وخطورة دراسة آرائهم لكونها تعرّفنا بماضي الحضارة الإسلامية.

ومن العلماء المسلمين الذين اجتهدوا في نشر وترويج المعارف الإسلامية إبراهيم بن فرحون أحد علماء المالكية. وفي مقالتنا هذه سنحاول تعريف شخصية هذا العالم وبيان بعض آرائه في كتابه المسمّى (إرشاد السالك في أفعال المناسك).

أ) التعريف بإبراهيم بن فرحون وأسرة «بن فرحون»:

(بن فرحون) هو اسم لأسرة مشهورة من الفقهاء والعلماء المالكية القاطنين في المدينة المنوّرة، كما يُطلَق على هذه الأسرة اسم (اليعمريّين) نظراً لنسبتهم إلى (بَني يَعمر) وهي فرع من قبيلة «كنانة» - ويبدو أنّ مسقط رأس هذه الأسرة هو ضواحي (جَيّان) في الأندلس وانتقلت بعدها من هناك إلى تونس ثمّ إلى المدينة المنوّرة. ومن أشهر شخصيّات هذه الأسرة برهان الدين بن فرحون. وأبو الوفا إبراهيم بن علي بن محمّد الملقّب ببرهان الدين (المتوفّى سنة (٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م) هو قاضٍ وفقيه مالكي ومؤلّف في طبقات الرجال. وُلِد بن فرحون في المدينة بعد سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م) بقليل وتتلمذ عند بعض المشايخ من أمثال جمال الدين محمّد بن أحمد المطري وابن عبد الله وادي آشي وعمّه عبد الله، كما يُعتبر محبّ الدين الطبري وأبا الفتح المراغي من تلاميذه. وكان لإبراهيم بن فرحون عدد من الرحلات إلى كلّ من مصر والشام

وكان مشغولاً في رحلاته تلك بالتدريس والمباحثات العلمية مع كبار العلماء المسلمين في ذلك العصر.

لكنّ أهمّ مرحلة في حياته هي سنة (٧٩٣هـ / ١٣٩٠م) عندما عُيّن قاضياً في المدينة المنوّرة، وفي ذلك العصر كان المذهب المالكي مُقيّداً للغاية في المدينة وكان أتباعه في تناقص مضطّرد، لكن، عندما تصدّى بن فرحون لمنصب القضاء بذل جهوداً كبيرة لتعزيز مذهبه وتقويته (أنظر: **دانشنامه بزرگ اسلامی**، ج٤، ص ١٥٩٣). توفّي إبراهيم بن فرحون في المدينة المنوّرة سنة (٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م) ودُفن في مقبرة (البقيع).

ب) ذكر بعض فضائل إبراهيم بن فرحون:

يُعتبر كتاب (**إرشاد السالك إلى أفعال المناسك**) أحد مؤلّفات بن فرحون وقد طُبع في الرياض (السعودية) بتحقيق محمّد بن الهادي أبو الأجفان. تحدّث المحقّق في مقدّمة الكتاب المذكور التي قاربت المئة صفحة عن شخصية بن فرحون والتعريف بها، ومن جملة ما قاله المحقّق في بيان صفات بن فرحون وفضائله:

«كان جميل الهيئة أبيض اللّون حُلو المنظر معتدل القامة، لا يلبس الثياب المصقولة و يلازم الطيلسان على العمامة؛[1] أمّا صفاته الخُلقية والعلمية فقد نوّه به مترجموه الذين أبرزوا بذلك جوانب النبوغ في شخصيته، فابن قاضي شُهبة يصفه بـ«القاضي العالم الأصيل»،[2] و التمبكتي يذكر أنّه كان جامعاً للفضائل فريد وقته... عالماً بالفقه والنحو والأصول والفرائض والوثائق وعلم القضاء، عالمًا بالرجال وطبقاتهم مشاركاً في الأسانيد، واسع العلم فصيح القلم، ذا بيان، كريم الأخلاق، بعيداً عن التصنع والرّياء، من أرقّ أهل زمانه طبعاً و ألطفهم عبارة.[3] الشيخ مخلوف يحليه بـ(الإمام

١. توشيح الديباج: ٤٥.

٢. تاريخ ابن قاضى شهبة: ٣/ ٦٢٣

٣. النيل: ٣٠

العمـدة الهمام أحد شـيوخ الإسـلام و قدوة العلماء الأعـلام ، و خاتمة الفضـلاء الكرام)،[1] و يحليـه الـزركلي بـ(العـالم البحـاث).[2] و يدلّنـا علـى روح التقـوى التـي يتمتـع بـه كثرة أوراده و ذكـره و تلاوتـه و إحيـاؤه الليل بالصلاة و العبـادة،[3] تقرباً لله سـبحانه. كان لابن فرحـون في مجـال التأليـف جهـدٌ مبـذول ؛ قال ابن حجـر: تفقّـه و برع و صنّـف و جمع؛[4] و وصـف أحمـد بابا تآليفه بأنّهـا «في غاية الإفادة لاتّسـاع علمه»؛[5] وقال عنـه مترجم آخر: فريـد وقته و نسـيج وحده ، ذو التصانيف المفيدة.[6] و لم يطبع من كتبه و يشـتهر إلّا خمسـة.

ج) آراء بن فرحون في كتاب (إرشاد السالك إلى أفعال المناسك):

يشـتمل كتـاب (**إرشـاد السـالك إلى أفعال المناسـك**) عـلى اثنيْن و عشـرين بابـاً أفرد مؤلّفـه عشريـن بابـاً منهـا لبيـان الأحـكام الفقهيـة الخاصّـة بمناسـك الحـجّ والعمـرة (وفقـاً للمذهـب المالكـي) و بعـض المسـائل الأخـرى ذات العلاقـة مثـل: آداب السّـفر إلى الحـجّ و فضيلـة الحـجّ و أركانـه و أهمية القـرآن الكريم و تلاوتـه خلال الحـجّ ، إضافة إلى موضـوع حـجّ الصبـيّ و واجبـات الحـجّ و محرّماتـه و النيّـات في الحـجّ و فضيلـة مكّة المكرّمـة و الأماكـن المهمّة و المباركة فيهـا ؛ أمّا الفصليْن الأخيريْـن فخصّصا لبيان و شرح زيـارة الرسـول الأعظـمﷺ في المدينة بعـد انتهاء مناسـك الحـجّ وكذلك زيـارة الأماكن المقدّسـة في المدينـة المنـوّرة و فضليـة المدينـة و المسـائل المرتبطة بها.

و قـد قامـت مكتبـة (العبيـكان) في الريـاض بطبـع الكتاب المذكـور بحلّة جميلة سـنة

---

١. الشجرة: ٢٢٢؛ الأعلام: ١/ ٤٧.

٢. الدعلام: ١/ ٤

٣. النيل: ٣٠؛ طبقات المالكية: ٤٣١.

٤. الدرر الكامنة: ١/ ٤٩.

٥. النيل: ٣٢

٦. الطبقات المالكية: ٤٣٠ .

(١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، و كان محقّق الكتاب قد أضاف فصليْن في أوّل الكتاب، شرح في الأوّل سيرة حياة إبراهيم بن فرحون و أسرة (ابن فرحون) بالتفصيل، بينما خصّص الفصل الثاني للتعريف بالكتاب و نسخه الخطيّة و كيفية تصحيحه و مقابلته مع تلك النّسخ.

و أمّا الموضوع الذي نروم الخوض فيه في كتاب (**إرشاد السالك إلى أفعال المناسك**) فيتألّف من قسميْن: الزيارات التي أوردها بن فرحون و الخاصّة بآل البيت عليهم السلام في البقيع، ثمّ آراء بن فرحون التي بحثها المحقّق بمنظار وهّابي.

١) منزلة آل البيت عليهم السلام عند ابن فرحون:

استخدم المؤلّف في كتابه في بيان زيارات آل البيت عليهم السلام المدفونين في البقيع أي، فاطمة الزهراء عليها السلام (طبقاً لقوله) و الإمام الحسن و الإمام زين العابدين و الإمام الباقر و الإمام الصّادق عليهم السلام، استخدم عبارات فريدة تُدهش كلّ تكفيريّ و تثير استغرابه، فعند مقايسة العبارات المُستعمَلة في تلك الزيارات مع العبارات الأخرى الموجودة في زيارات غيرهم من المدفونين في البقيع نلاحظ بوضوح عِظَم منزلة آل البيت عليهم السلام و قدرهم عند المؤلّف و إيمانه بمكانتهم السامية.

و فيما يأتي نشير إلى جانب من تلك الزيارات:

ثمّ تيامن و تقصد زيارة سيدتنا فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله و زيارة ابنها الحسن بن علي عليهما السلام، ... و اعلم أنّ]عند[في قبر الحسن عليه السلام ابن أخيه زين العابدين علي بن الحسين و أبو جعفر محمد الباقر بن زين العابدين و ابنه جعفر الصادق بن محمد الباقر عليهم السلام، فتبدئ السلام عليهم جملة، تسلم على كلّ واحد منهم فتقول:

«السلام عليكم أهل بيت النبوة و معدن الرسالة و رحمة الله و بركاته عليكم أهل البيت إنّه حميد مجيد؛ ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**

﴿وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ و السلام عليكم يا معادن الشرف و الأصالة، السلام عليكم يا مَن حيّاهم الروح الأمين، السلام عليكم يا مَن حلّاهم الكتاب المبين».

ثمّ تسلّم على فاطمة عليها السلام فتقول:

«السلام عليكِ يا أمّ الحسن و الحسين، السلام عليكِ أيّتها الزهراء البتول، السلام عليكِ يا ابنة المصطفى الرسول، السلام عليك يا مَن وصفها النبي بالجلال و الكمال و الأفضال، السلام عليك يا ذات الشرف العليّ، السلام عليك يا قرينة أمير المؤمنين عليّ، السلام عليك أيّتها الجوهرة المصونة و الدرّة المكنونة، السلام عليك و على أبنائك الطاهرين و رحمة الله و بركاته».

ثمّ تسلّم على الحسن عليه السلام فتقول:

«السلام عليك يا أبا محمّد الحسن، السلام عليك يا سبط نبيّ الهدى، السلام عليك يا قرّة عين المصطفى، السلام عليك يا بن سيف الله المسلول، السلام عليك يا ابن بنت الرسول، السلام عليك يا ابن الزهراء البتول، السلام عليك أيّها الإمام المرتضى الشهيد. السلام عليك يا سيّد شباب أهل الجنة، السلام عليك يا مَن أصلح الله به المسلمين و بشّر بذلك سيّد المرسلين، السلام عليك يا ذا المناقب التي لا تُحصى و الفضائل التي لا تُستَقصى، السلام عليك و رحمة الله و بركاته».

ثمّ تسلّم على زين العابدين عليه السلام، فتقول:

«السلام عليك يا سيدي علي بن الحسين زين العابدين، السلام عليك يا بن أمير المؤمنين، السلام عليك يا إمام العلماء العاملين، السلام عليك يا فخر العابدين، السلام عليك يا حائز الشرف المبين، السلام عليك يا سلالة النبوة، السلام عليك يا شريف الأبوّة، السلام عليك و رحمة الله و بركاته».

ثمّ تسلّم على محمد الباقر عليه السلام، فتقول:

«السلام عليك يا سيدي أبا جعفر محمّد الباقر ، السلام عليك يا ذا الشرف الأصيل و الفضل الجليل ، السلام عليك يا ابن زين العابدين ، السلام عليك يا فخر العلماء العاملين ، السلام عليك و رحمة الله و بركاته».

ثمّ تسلّم على جعفر الصادق عليه السلام ، فتقول:

«السلام عليك يا سيدي جعفر الصادق ، السلام عليك يا مَن كان له علم اهتداء و به في العلم و العمل يُقتدى».

ثمّ تقول:

«السلام عليكم أيّتها الفروع الزكية و الذوات العليّة ، السلام عليكم أيّتها النّبعات الطاهرة ، السلام عليكم أيّتها النجوم الزاهرة ، السلام عليكم ، نَفعنا الله بمحبّتكم في الدنيا و الآخرة ، أللهمّ بجاههم عندك و كرامتهم عليك تقبّل زيارتنا و ارحم ضَراعتنا».

ثمّ تدعو بما تشاء.[1]

إنّ العبارات المُستعملة في هذه الزيارات تشير بما لا يقبل الشكّ إلى إيمان المؤلّف بعظمة آل البيت عليهم السلام المدفونين في البقيع و جلال قدرهم و علوّ منزلتهم ، و تمييز الشخصيات الأخرى المشهورة المدفونة في البقيع عن آل البيت عليهم السلام و الإقرار بشفاعتهم و التوسّل إلى الله بنَيل تلك الشفاعة في الدنيا و الآخرة.

و أمّا النكتة الأخرى فإنّه يُستَفاد من كلام ابن فرحون استحباب الزيارة و السلام على المتوفّين و المدفونين و هو ما كان عامّة المسلمين يؤمنون به منذ صدر الإسلام ، فالزيارة ـ و خلافاً لِما يظنّه الوهّابيون ـ ليست مجرّد عِبرة و عِظة ، كما أنّ السلام على الموتى و الشخصيّات المعروفة و أولياء الله تعالى ليست مذمومة ـ كما يدّعي الوهّابيون ـ بل هي من آداب الإيمان التي تعلّمها جميع المسلمون منذ ظهور الإسلام حتى يومنا هذا.

---

١. ارشاد السالك الى أفعال المناسك : ٧٨٦-٧٨٩ .

٢) شبهات محقّق الكتاب على ما قاله ابن فرحون و آرائه :

أورد مُحقّق كتاب (**إرشاد السالك إلى أفعال المناسك**) بعض الشبهات عليه تنمّ بمجموعها عن نزعته الوهابية المتطرّفة:

اعتبر المؤلّف (إبراهيم بن فرحون) أنّ جميع المساجد و البُقع المباركة في المدينة منذ صدر الإسلام تستحقّ الزيارة و التقديس و قام بتعريف كلّ من تلك الأماكن في ذيل فصل واحد (بدءاً من الصفحة «٨٢٠»)، و قد انتقد المحقّق و علّق على ذلك بقوله: «اعتباره كلّ المساجد و الآثار الموجودة بالمدينة ممّا ينبغي زيارته و التبرّك به دون أن يقتصر على المسجد النبوي و مسجد (قباء) كما جاء به النصّ ، مخالفاً بذلك منهج إمام مذهبه مالك بن أنس الذي لم يقرّ زيارة مساجد المدينة غير (قباء) ـ أنظر الصفحة ٧١».

ذكر المؤلّف حديثاً نبوياً شريفاً موجزاً حول التبرّك و الاستشفاء بصعيد (صعيب)، و قال: «و من المواضع التي يُتبرّك بها ، وادي (صعيب)، فقد روى الزبير بن بكار أنّ رسول الله ﷺ: «أتى الحارث بن الخزرج فإذا هم رَوبَى ، فقال لهم: يا بني الحارث! ما لكم رَوبَى؟ قالوا: نعم يا رسول الله أصابتنا هذه الحمّى. قال: **فأين أنتم عن صعيب؟ قالوا: يا رسول الله! ما نصنع به؟ قال: تأخذون من ترابه فتجعلونه في ماء ثمّ يَتفل فيه أحدكم و يقول: بسم الله تراب أرضنا ، بريق بعضنا ، شفاء لمريضنا ، بإذن ربّنا.** ففعلوه، فتركتهم الحمّى». (: ٨٤٠). أمّا المحقّق فقد أشكلَ على الحديث المذكور قائلاً: ...كما يتحدّث عن واقع ملحوظ دون أن ينبّه عمّا يتّسم به من انحراف عن الصواب ، كما في وصفه للمتبركين بتراب وادي صعيب و استشفائهم به (: ٧١).

تحدّث المؤلّف في كلامه عن مسجد (بني ظفر) عن وجود صخرة فيه بقوله: «و روى الزبير بن بكار أنّ النبي ﷺ جلس على الحجر الذي في مسجد بني ظفر، و كان زياد بن عبيد الله أمر بقلعه حتى جاءه مشايخ (بني ظفر) فأعلموه أنّ النبي ﷺ

جلس عليه، فردّه. قال: و قلّ أن جلست عليه امرأة تريد الحمل إلّا حملت. و عنده آثار في الحرة يُقال: إنّه أثر بغلة النبيﷺ من جهة القبلة، و في غربيه أثر على حجر كأنّه أثر مرفق، و على حجر آخر أثر مجلس و أصابع، و الناس يتبرّكون بذلك»، (:٨٢٩).

أشكل محقّق الكتاب ثانية على كلام المؤلّف قائلاً: «أمّا قوله عن حجر مسجد (بني ظفر): «قلّ أن جلست عليه امرأة تريد الحمل إلّا حملت»، فهو غريب، إذ قاله مُسلِّماً ببركة الحجر. (:٧١). و أضاف المحقّق في الهامش قوله: «و الملاحظ أنّه لم تَرد آثار صحيحة في مشروعية هذا التبرّك بالمواضع، و لم يكن هذا من شأن السلف الصالح، (:٨٢٩).

ذكر المؤلّف في حديثه عن الآبار الموجودة في أطراف المدينة بئر (أريس) فقال: «منها بئر (إريس) بقباء غربي المسجد الشريف، ينزل إليها بدرج، قصدها النبيﷺ و جلس في وسط قفها و جلس أبو بكر على يمينه و عمر على يساره، ثمّ جاءَ عثمان فجلس مقابلهم. و فيها سقط خاتم النبيﷺ من يَد عثمان، فنزح البئر و تكرّروا لنزحها ثلاثة أيام فلم يجدوه. و من ذلك الوقت حصل في خلافته ما حصل من اختلاف الأمر، لفوات بركة الخاتم، (:٨٤٤).

و قد نقل البخاري الحديث المذكور في صحيحه في فصل (كتاب الفِتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر) نقلاً عن أبي موسى الأشعريّ. أشكلَ المحقّق على هذا الحديث بقوله: «و مثل ذلك في الغرابة و الانحراف عن الصراط الشرعي المستقيم ربطه ما حصل في خلافة عثمان من الفتنة الكبرى بضياع بركة الخاتم الذي سقط في بئر (أريس) بقباء. و قد كانت هذه الأوهام مصدراً لعادات سيئة انتشرت في عالمنا الإسلامي و استشرى خطرها، و حجبت الفهم السليم للشريعة الإسلامية، (:٧١ـ٧٢).

ثـمّ أضـاف في الهامـش في ذيـل كلام ابـن فرحـون قائـلاً: «لا دليـل على ما ذهـب إليه ابـن فرحـون من تفسـير الفتنة الحاصلـة في خلافة عثمان بفـوات بركة خاتـم النبيﷺ بعد سـقوطه في البئـر ، و ربـط الأحداث ببركة بعض الأشـياء قـد يكون له تأثير علـى العقيدة؛ و إنّ إيماننـا بالقـدر خـيره و شرّه يجعلنـا نتجنّـب ذلك ؛ و الفتنـة المذكورة حصلت بسـبب الدسـائس اليهوديـة و المجوسـية التي قام بها ابن سـبأ اليهـودي و أعوانـه، (: ٨٤٥).

و أمّا في الحكم على ما ذُكر فنقول:

أ) فأمّـا الإشـكال الأوّل للمحقّق عـلى كلام المؤلّف فإنّه لا مسـوّغ له أبداً ، فالمسـاجد و الآثـار الباقيـة منـذ صـدر الإسـلام و عـصر الرسـول الأعظـمﷺ و التـي كان لـهﷺ حضـوراً فيهـا فقد حظيـت بمنزلة سـامية و قدسـية فريدة بفضـل حضور النبـيّﷺ فيها و لا شـكّ في أنّ مثـل هـذا الأمر مـن شـأنه أن يضفي جلالاً و قدسـية على تلـك الأماكن لتسـتحقّ أن تُزار.

ب) و أمّـا الإشـكال الثـاني للمحقّـق فلا مسـوّغ له أيضـاً ، فإنّنـا و إن كنّا لسـنا بصدد البحـث في سـند الروايـة ، إلّا أنّـه و وفـق الحديـث المذكـور فإنّ صعيـد (صعيـب) يتميّز بقدسـية خاصّـة من قِبل الله سـبحانه و يمكـن لذلك الصعيـد أن يكون شـافياً للأمراض بـإذن الله ، مثلـما يؤمـن الشـيعة بتربـة الحسـينعليه السلام في كربـلاء لِمـا تتميّـز بـه مـن القدسـية و البركـة في شـفاء المـرضى بـإذن الله تعـالى ، و للعامّـة أيضـاً الكثـير مـن الروايـات التـي تتحـدّث ببئـر زمـزم مثـلاً و تأثيرها في قضـاء الحاجـات حيـث رُوي عن رسـول اللهﷺ قولـه: «**مـاءُ زَمـزمَ لمـا شُربَ له**» (مسـند أحمـد ٢٣ : : ١٤٠).

ت) فيـما يتعلّـق بالحجـر الموجـود في مسـجد (بنـي ظفـر) فإنّـه عـلى الرّغم مـن عدم وجـود أيّ روايـة مُعتـبرة حـول قدسـية الحجـر المذكـور فإنّه لا يمكـن قبـول حديث ابن فرحـون و الـكلام الـذي نقلـه ؛ إلّا أنّ ذلـك لا يعني بطلان التـبرّك بالأماكن و الأشـياء ، فأبنـاء السـنّة أنفسـهم يؤمنون بقدسـية الحجر الأسـود و اسـتحباب التـبرّك به.

ث) و حـول الإشـكال الأخـير الـذي أورده المحقّـق عـلى كلام ابـن فرحـون بشـأن المشـاكل التـي وقعـت في خلافـة عثـمان و سـقوط خاتم النبـيّ صلى الله عليه وآله من يَـد عثـمان في البئر و عـدم العثـور عليـه بسـبب زوال بركتـه لأجل الحـادث المذكـور ، فإنّ الحديـث في ذلك طويـل و مُفصّـل ، لكـن و قبل كلّ شيء فإنّ ظاهـر هذا الحديث يشـير إلى أنّه موضوع من جهـات عديـدة (و لسـنا نـروم في هذه المقالـة البحـث في التفاصيل).

يُضـاف إلى ذلـك و كما اعترف المحقّق نفسـه ، فإنّه لا يمكن إسـناد وقـوع الحوادث في عهـد عثـمان إلى تلك الواقعـة ، فما هو وجـه الارتباط أصـلاً بين القضية المذكـورة و وقوع الحـوادث في زمـن عثـمان؟ و مهـما يكن من أمر فـإنّ ما جاء بـه المحقّق من تسـويغ في باب علّـة وقوع الحـوادث على عَـدّان خلافة عثمان هـو موضوع و مجعول كذلـك و غير مقبول ، لذا ينبغي البحث عن سـبب الحوادث المذكورة في تصـرّفات عثمان الخاطئة و مستشـاره الفاسـد الـذي اعتمـده و هـو مـروان بن الحكـم ، و كذلـك في السـلوك المنحـرف للولاة الذيـن عيّنهم عثـمان في مختلف الولايات الإسـلامية.

و عـلى أيّ حـال فإنّـه يمكننـا اسـتنتاج نكتـة ظريفـة مـن كلام المؤلّـف (إبراهيـم بـن فرحـون) ألا و هي أنّ المسـلمين على مرّ التأريـخ كانوا يؤمنون بالتـبرّك ؛ فالأحاديث التي ذكرهـا بن فرحـون منقولة كذلك في مصـادر أبناء السـنّة ، أي أنّ الأحاديـث التي أوردها بـن فرحـون (باسـتثناء الحديـث المتعلّـق ببئـر أريس)، تشـير بوضـوح إلى إيمان المسـلمين و اعتقادهـم منـذ صدر الإسـلام بقدسـية الأماكـن و بركتهـا و إن كنّا لا نقبـل بذلك.

***

إسماعيل بن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام

محمد مهدى فقيه بحر العلوم

البقيع هي كنز من النور و مدفن الحبّ ، حيث يتمّ دفن النجوم حول أضواء أئمة البقيع عليهم السلام.

في البقيع ، بالإضافة إلى الأئمة الأربعة المعصومين ، استرخى أيضًا شخصيات بارزة و قيّمة فيه.

تربة البقيع هي التربة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله: ٧٠ ألف شخص من البقيع، وجوههم مثل القمر ليلة الرابع عشر ، سيجتمعون و يدخلون الجنّة دون حساب.

إسماعيل هو الابن الأكبر للإمام الصادق عليه السلام ، و كانت والدته فاطمة ، ابنة الحسين بن علي زين العابدين بن الحسين عليهم السلام. و هو الذي يعتبره الخلفاء الفاطميون و الأئمة الإسماعيليون سلفهم و خليفة الإمام الصادق عليه السلام.

الإيمان بإمامته هو بداية فصل الفرع الإسماعيلي عن الشيعة الإمامية. ينسب أتباع المذهب الإسماعيلي الشيعي لقبهم إليه. و بحسب المصادر فإنّ الإمام صادق عليه السلام يحبّه كثيراً.

توفي إسماعيل في قرية تُسمى بالعُرَيض بالقرب من المدينة المنورة ، و رُفعَ تابوته على أكتاف الناس ، بينما كان التشييع في مقبرة البقيع ، حيث كان الإمام الصادق عليه السلام

يمشي أمامهم في حالة العزاء.

بحسب الروايات، في الساعات التي تَلَت وفاة إسماعيل و قبل دفنه، شهد الإمام الصادق عليه السلام نحو ٣٠ من زملائه المقربين يشهدون وفاة ابنه.

و في عهد الفاطميين الذين هم من أهمّ مروجي هذه الطائفة (الإسماعيلية)، تمّ بناء مقبرة كبيرة على قبر إسماعيل. و البُهرة تنتمون إلى طائفة الإسماعيلية. و الإسماعيلية طائفة تنتسب إلى إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام و تعتبر الإمامة في نسله. فمن ثمَّ هي لا تعترف بالإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام. فالإمام بعد الإمام الصادق عليه السلام عند الشيعة الإمامية هو الإمام موسى بن جعفر عليه السلام و هذا هو جوهر الخلاف بين الإسماعيلية و الإمامية.[1]

و كان مرقد إسماعيل محاطًا بجدران بدون أبواب و نوافذ، و خارج المقبرة على بعد ١٥ مترًا من السور الغربي للبقيع، و أمام قبور الأئمة عليهم السلام. نصف المنطقة كانت في الشارع، و نصفها على الرصيف، حيث كانت تتمّ زيارة الحُجّاج من الرصيف.

و كان القبر، بحسب ما كتبه المطري، ضريحًا كبيرًا إلى الغرب من قبّة عباس عمّ النبي صلى الله عليه و آله و الأئمة الأربعة عليهم السلام.

و في القرن السابع، قال ابن جبير الرحالة (المتوفى ٦١٤هـ) في قبة أئمة البقيع عليهم السلام: «و هي قبّة مرتفعة في الهواء على مقربة من باب البقيع».[2]

و كان يزار قبر إسماعيل من قِبَل عُشّاق أهل البيت عليهم السلام، و خاصة الإسماعيليين، و كان مزدهرًا للغاية، وفقًا لتقرير من العياشي في القرن الحادي عشر الهجري.

غالباً ما كان حُجَّاج الشيعة الإيرانيون أثناء زيارتهم للمدينة المنورة، يزورون الضريح أثناء رحلة البقيع، و قام بعضهم بتسجيل أوصاف لمقامه في سفرهم. مثلاً

١. الشيعة في مصر، صالح الورداني: ١٧١.
٢. رحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبنانية: ٦٤.

فرهـاد مـيرزا ، أحد أشـهر رجـال و أمـراء في عهد نـاصر الدين شـاه القاجـار ، ذهب إلى المدينـة المنـورة عـام ١٢٩٢ هــ ، قدم خلالهـا تقريـراً عن هـذه البناية.

و لكـن في سـلطة الوهابيـين في الحجاز عام ١٣٩٤ هــ ، تمّ تدمير قُبّة مرقد إسـماعيل ، مثـل مـزارات البقيع الأخرى ، مع الأسـف.

و أثنـاء بنـاء شـارع البقيـع الغربي ، دمِّـرت المنطقة المحيطة بقبر إسـماعيل ، و بحسـب شـهود عيـان ، تـمّ العثور على جثّتـه آمنة و عطرة بعد قـرون ، و تمّ نقلهـا إلى مقبرة البقيع ، و تمّ تحديـد موقعها.

كان وفـاة إسـماعيل ابـن الصـادق عليه السلام (سـنة : ١٣٣).[1] وظهـرت بعـد وفاتـه فرقـة الإسـماعيلية ، (فهـرس الـتراث، محمدحسـين الحسـيني الجـلالي١: ١١٨)

فدفـن إسـماعيل بـن الإمـام جعفر الصـادق عليه السلام بعد ذلـك بالقـرب من شـهداء الحرَّة أو ١٠ أمتـار من قـبر حليمة السـعدية في نهايـة البقيع.

***

١. محمدحسين المظفر، فهارس رياض السالكين ١ : ٦٣٣ .

Abstracts

The Ismail Ibn Al- Emam Assadeq

Mohammad Mahdi. Faqih

The views of Ibrahim Ibn Farhun about pilgrimage and chastity

Mojtaba. Heydari

Abstract

The main question about Baqi' cemetery is whether Islam recommends to pay a visit to graves or not? If yes, it is then enough to talk about the details regarding the very visit (Ziarah). Therefore, it is important to review the ideas of Sunni Muslim scholars. Looking at the writings of Sunni scholars would prove that they passed a fatwa that visiting of the graves is recommended according to the prophetic tradition. In due respect, Borhan Al-din ibn Farhun who is a Maleki scholar of eighth century wrote in his books (A Guide for Rituals) about visiting the graves in Al-Baqi'. He also pointed to profound supplications for visiting the graves of deceased nobles who have been buried there including Lady Fatima (according to an opinion that believes she is buried there), four infallible household of holy prophet, Ibrahim (son of the prophet) and other elites. It would be the same reviewing other Sunni scholars especially Ibn Farhun.

Keywords: visiting Al-Baqi' (Ziarah), Sunnis and Al-Baqi', Ibn Farhun

Progression and change in Al-Baqi's architecture according to historical narrations

Ammar. Abu-Talebi

Abstract

History accounts the construction of Al-Baqi'one as a significant issue about it. This article tries to present a clear picture of this cultural aspect through all descriptions indicated in historical references and travelogue. We are able to study the building from two points: typical and quantitative. And we have concentrated on the latter as it has been processed through different phases from housing to domes and shrines. It begins from 3 domes in the sixth century and increased to 14 in eleventh century. It seems that Lady Fatima Mosque (house of sorrow) was the only structure in Al-Baqi'that remains from the third century till the end of fourteenth century as well.

Keywords: Al-Baqi', graves and Shrines, Domes of Baqi', the house of sorrow.

Negative impacts of destruction of Al-Baqi' for Mulism Unity

Nur-Aldin. Abu-Lihya

Abstract:

The role of Al-Baqi' as a cultural identity in Muslim heritage

Mohsen. Alviri

Abstract

Islamic world, more than any other time, needs to construct its identity. As the Arbaeen Walk is forming an extraordinary role in Islamic identity. Harsh viewpoints of the Saudis led into misunderstanding of public opinion about Muslims; as thinking mistakenly that Saudi's idea is a gist of all Muslims'. This is the very reason that they discriminated between this holy graveyard and other structures in Media and Hijaz. In addition, they turn this center of Movement and sensation into ruin in terms of its appearance. But the best way to revive the remembrance of the Noble figures in Baqi' is to renovate its construction and to provide conditions for flourishing the systematic pilgrimage as it is the most important public cemetery for all Muslims in spite of all their different denominations and ideological tendencies.

The Role of Allama Sharaf Al-Din Ameli in combating the destruction of the domes in Al-Baqi' and worldwide ingnorance

Mohammad Saeed. Nejati

Abstract

In this research we review the treatise of Allama Sayed Abdul-Husain Sharaf Al-Din about the desctruction of Al-Baqi'. In His treatise, Allama Ameli expressed the reactions of Shia scholars in regards to the great disaster. He also spread the news of it and encouraged all Muslims to unify the ranks of Muslims in denouncing this crime. He also made lots of effort to mobilize the Muslim armies to fight Saudi family; the armies were headed by Yemeni Army and supported by Iran and Iraq governments. He succeeded in achieving all his goals except the last one as the governments of Yemen, Iran and Iraq failed his trust whether because they were in concordance with Britain or suffer from seizure that hinder any sort of help. We recount those treatises related to our discussion according to a historical sequences. They are being quoted in the books or have been sent to grand scholars and politicians in Islamic world.

Keywords: Al-Baqi', Destruction of the domes, Sharaf Al-Din, Day of Destruction, Al-Imam Yahya.

Al-Baqi' Cemetery

Mohsen. Asadi

Abstract

The present article talks about Al-Baqi' cemetery from literal, social and historical viewpoints. Had not Holy prophet Mohammad attributed many great attributes and virtues and advantages to the holy place, it would have not been described so. There are blessed domes, and graves of pure and righteous people, martyrs, and more importantly those of Ahlul-Bait. It is truly the purpose of all Shia Muslims for pilgrimage in spite of their diversities and differences. They follow the tradition established by Holy prophet to pay a visit to the graves in Al-Baqi', talking and whispering with those who are buried there, asking for Allah's forgiveness, mercy and intercession in the day of resurrection. They do so to receive rewards and to do good for the deceased and most of them are not but to complete their Hajj and Umrah with a pilgrimage to the prophet's and his household's graves and other righteous people. Shia Muslims never stop the tradition despite all the pains and sorrows they feel when they see the graves of Ahlul-Bait in Al-baqi'. A group that did not understand what Islam truly is, messed with it and issued some fatwas that would only emerge from short-sighted minds. This group does not care about other scholars' ideas and their reasonings; so they violated the decency of Baqi' and disrespect its virtues and dishonor the shrines there. The ignorant extremists tried to destroy and demolish the existing shrines evoking to untrue jurisdictions. They were indifferent to the ideas of other Muslims and they went too extremes that accordingly truth only lied with their ideas and other Muslims were misguided. They started to accuse other Muslims as unbelievers to eradicate their rights and unlawfully confiscate their properties and shed their bloods.

Keywords: Al-Baqi Cemetery, Medina, the virtues and Al-Baqi', condemnation.

Reactions to the demolition of cemeteries in Baqi

Ali. Qazi Askar

Abstract

This article is talking about the destruction of the Medina by Wahhabis by means of cannons and bullets in 1890 and the reactions initiated by the Shia Scholars and the foundation of the especial committee in Iran's parliament to investigate this horrible disaster. Besides, there were other campaigns formed by scholars and diverse popular groups in Tehran. The same day, Iran experienced a complete shutdown in all universities and seminaries. Two grand scholars like late Isfahani and Naeini lead a crowded congregational prayers in Najaf, and Iran's consulate broadcast the news across the Islamic territories. There were important and serious reflections and severe complaints throughout the Muslim lands. Iran's foreign ministry put a mandate on it so that Ghaffar Khan (the due minister) to follow up the issue intensively.

Keywords: Wahhabies, the bombing of Medina, Destruction of Medina, public Reactions regarding the demolition and destruction.

Construction of the tombs and shrines for the prophets and Ahlul-Bait

Shaikh Mohammad. Qaieni

Abstract

Great scholars have discussed the issue of construction of tombs and shrines around the graves of Nobles Guardians while criticizing those who believe in legitimate prohibition of it, and who believe that it is a sign of polytheism. They are actually being deceived by some of the texts that have access to, being misguided by what they imagine to be their true knowledge, trying to destroy the remainings of the late righteous people and destructing the graves of the Noble Gaurdians. They are fundamental-literalists that resemble their ancestors who brutally destroyed the shrine of the Imam Al-Husain while disrespecting it by conducting water on his grave that it was named the lost years after. They also tried to farm his grave to fade its effects. They are alike their ancestor who run their horses on the Imam Al-Husain decent body and the hooves wanted to obliterate his body after wildly killing him, however; God the almighty did not want any of these enmities to take place. Allah (S.T) has stated in Holy Quran: "Fain, would they put out the light of Allah with their mouths. But Allah disdains save that He shall perfect His light. However much the disbelievers are averse" they intend to obliterate the remembrance of God but His gaurdians would remember Him and indeed His remembrance is much higher to be disdained. It is therefore, stable in the hearts of the believers and the oppressors would increase their lose.

Keywords: Al-Baqi', Construction of the graves, Flatness, Shrines and Domes, saddling

Dialogue with Mr. Abdol-Fattah Nawwab (the representative of the supreme leader in Hajj Organization).

Dialogue with the head of research department of Hajj Organization (Dr. Ali Akbar Ziaee).

In His name

Miqat[1] Al-Hajj

Month of Moharram, 1442

Year 28, No 54

Type: semi-annual

Scientific journal of cultural, historical, political, and social affairs in Hajj

ISSN: 2538-1733

1. A sacred boundary near Mecca which is almost the beginning of rituals.